

ثورة 1962 في اليمن وتأثيرها على السياسات الخارجية لكل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية

غازي عبد الرحمن القصيبي

كلية لندن الجامعية

1970

ملخص

كانت ثورة 1962 في اليمن تمثل محاولة من ضباط مدربين ينتمون إلى الجيش النظامي للتخلص من وضعهم الأدنى والحصول على الوضع السياسي الذي شعروا أنهم كانوا يستحقونه. خارجيا كان أولئك الضباط واثقين بشكل معقول من تدخل مصر لصالحهم؛ وداخليا رأوا تأكلا في الدعم المقدم لنظام الإمام، وهو ما قادهم لتوقع انضمام شعبي هائل. بعد انفصال سوريا في سبتمبر عام 1962 لعبت مصر دورا قويا معاديا للرجعية، في حين تبنت المملكة العربية السعودية موقفا معاديا للاشتراكية. وحين اندلعت الثورة اليمنية كانت العلاقات بين مصر والسعودية أسوأ مما كانت عليه في أي وقت مضى.

رأى الرئيس عبد الناصر في تلك الثورة حركة تقدمية شعبية مؤيدة لمصر ومعرضة للتهديد نتيجة جهد إمبريالي-رجعي منسق. وحين ثبت أن الدعم لم يكن كافيا قام الرئيس عبد الناصر بإرسال أسلحة ومستشارين، لكن كان هذا بدوره غير كاف فتم إرسال قوات قتالية. وخلال شهر واحد ارتفع عدد القوات المصرية في اليمن من مئة جندي إلى ما يقدر بأربعة آلاف جندي.

رأى الملك سعود في الثورة تمردا بقيادة مصرية من شأنه أن يمنح مصر موطئ قدم في شبه الجزيرة العربية ويشجع على التخريب. صنف الملك سعود الثورة على أنها تمثل خطرا على المملكة العربية السعودية. وقد اعتبر الدعم السياسي للملكيين غير كاف، لكن إرسال قوات لم يكن أمرا عمليا ولا مرغوبا. ولذلك فقد تدخلت المملكة العربية السعودية عن طريق دعم الملكيين عبر إمدادهم بالأسلحة والسماح لهم باستخدام الأراضي السعودية.

يقدم الجزء الأول من هذه الدراسة تحليلا لحكم الإمام والثورة التي قضت عليه، بينما يتناول الجزء الثاني العلاقات القديمة بين اليمن ومصر والسعودية. ويدرس الجزء الثالث والرابع على التوالي التدخلات المصرية والسعودية.

شكر

كان كل من الإمام أحمد البدر والدكتور رشاد فرعون والدكتور حسن صبري الخولي والدكتور محمد أحمد نعمان والسيد محمد العبيكان والسيد أحمد محمد الشامي من اللطف والكرم لأن يوافقوا على المقابلات ويجيبوا على عدد لا يحصى من الأسئلة التي كانت في بعض الأحيان محرجة. وكذلك سمح لي السيد نعمان والسيد الشامي بالوصول إلى بعض المصادر الأولية، وأرسل لي الأمير خالد السديري خطابا مطولا يحتوي على إجابات مفصلة على استبيان كنت قد أرسلته له. وتحمل السيد عبد العزيز التركي العناء من أجل تزويدي ببعض الكتب العربية عن اليمن. وقد أسهم الدكتور جمال العطيفي في تسهيل بحثي في القاهرة بصورة كبيرة. وخلال ذلك قدم السيد عبد الله السديري مساعدات أكثر من ما يمكن أن يذكر، كما أعارني السيد عبد الله العذري، والذي أجريت معه حوارا مثمرا، بعضا من الكتب التي يمتلكها. وقام السيد بي. هوربي بإعداد الخريطة، كما قرأ زميلي فرانك إيدميد الرسالة وعمل على تصحيح اللغة الإنجليزية وأبدي ملاحظات مفيدة. وكان مشرفي السيد جون برتون دائما مشجعا ومعينا.

إنني مدين جدا لكل هؤلاء وأيضا لكثيرين آخرين تشاركوا المعلومات معي لكنهم فضلوا عدم ذكر أسمائهم.



المحتويات

ملخص	
شكر	
خريطة	
الفصل	
<u>الجزء الأول ثورة 1962 في اليمن</u>	
1	خلفية تاريخية
2	نظام حكم الإمام
3	المطالب
4	الدعم
5	النظام في المعركة
6	الثورة
	<u>الجزء الثاني اليمن ومصر والمملكة العربية السعودية: العلاقات في الماضي</u>
7	اليمن ومصر
8	اليمن والمملكة العربية السعودية
9	مصر والمملكة العربية السعودية
	<u>الجزء الثالث تأثير الثورة على السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة</u>
10	الوضع
11	التدخل المصري: سرد
12	التدخل المصري: تحليل
	<u>الجزء الرابع تأثير الثورة على السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية</u>
13	الوضع
14	التدخل السعودي: سرد
15	التدخل السعودي: تحليل

الجزء الأول

ثورة 1962 في اليمن

الفصل الأول

الخلفية التاريخية

لم يكتب تاريخ كامل ومحدد لليمن بعد. فالعصور الجاهلية للبلاد – تلك الخاصة بالممالك السبئية والمعينية والحميرية المدهشة – مخفية وسط الخرافات والأساطير.⁽¹⁾ وهناك معلومات أكثر متاحة عن العصور التالية، لكن الدراسات المنهجية مقتصرة على بضعة عصور فقط. ورغم ذلك فإن هذا ليس بالمكان المناسب لمحاولة كتابة تاريخ كامل، كما أن الوقت لم يحن بعد – بالنظر إلى المصادر المتناثرة وغير المنشورة – لمثل هذه المحاولة. ولذلك فإن هذا الفصل سوف يقدم فقط سردا موجزا لتاريخ البلاد، مع تسليط الضوء على حالة عدم الاستقرار الداخلي المزمدة والتدخلات الخارجية المتكررة. وسوف يكون هناك تناول أكثر تفصيلا للتطورات خلال القرن العشرين.

وصفت الحالة السائدة في اليمن بأنها "حالة حرب دائمة مع فترات سلام قصيرة"⁽²⁾؛ كما وصفت حالته الطبيعية بأنها "فوضى"⁽³⁾. وكانت هناك على الأقل ثلاثة أسباب لهذه الحالة من عدم الاستقرار. أولا: كانت جغرافية البلاد في الغالب لا تساعد على الوحدة. شريط من الصحراء الحارة ذات الجو الخانق – تهامة – يمتد إلى الداخل من ساحل البحر الأحمر لمسافة 20 إلى 50 ميلا، وترتفع خلفه مجموعة من الجبال الوعرة التي يصل ارتفاعها في بعض المناطق إلى 10 آلاف قدم. وإلى الشرق من تلك الجبال التي تمتد شمالا وجنوبا لحوالي 200 ميل يقع وادي محوري يتراوح في عرضه بين 10 و40 ميلا، وترتفع وراءه المزيد من الجبال التي تهبط بشكل تدريجي ناحية الشرق حتى تختفي داخل رمال الربع الخالي.⁽⁴⁾ ومع وسائل اتصالات غاية في البدائية كان من المستحيل تقريبا على أية حكومة أن تمارس سيطرة فعالة، ونتيجة لذلك تطورت مجتمعات محلية ذات نظام حكم شبه ذاتي.

ثانيا: خلقت التقسيمات الجغرافية تقسيمات سياسية أيضا: سكان الجبال - أولئك الذين يعيشون في الشمال، والتهاميون - أولئك الذين يعيشون في الجنوب. اعتنق سكان الشمال المذهب الزيدي بينما بقي سكان الجنوب شافعيين محافظين. وقد تفاقم هذا الانقسام الديني والجغرافي أكثر نتيجة التنافس على الموارد الشحيحة، وفي غياب وعي وطني وحكومة فاعلة، اتخذ هذا الانقسام شكلا عنيفا، وقاد سكان الجبال لمحاولة السيطرة على الجنوب واستغلاله. وثمة عامل اجتماعي جعل الاختلافات بين الشمال والجنوب أكثر وضوحا. كانت غالبية سكان

الشمال من القبائل، وقد جعلتهم طبيعة مجتمعهم القبلي أكثر عدوانية وولعا بالحرب مقارنة بالمزارعين والتجار والحرفيين الذين سكنوا المدن الجنوبية.

ثالثا: قادت عدم قدرة الحكومات المتعاقبة على قمع منافسيها بعضا من أولئك المنافسين في مناسبات مختلفة إلى طلب التدخل الأجنبي. ويمكن بسهولة إثبات نظرية مودلسكي التي تقول أن "كل حرب داخلية تنشئ طلبا للتدخل الأجنبي"⁽⁵⁾ من خلال أمثلة من تاريخ اليمن. وقد بقت القوى التي تدخلت، وكان هذا عاملا آخر أسهم في عدم الاستقرار. كان الأثر الكلي هو أن اليمن لم ينعم بحكم موحد مؤثر إلا لفترة قصيرة و، بحسب بعض الكتاب، فقط في القرن العشرين تحت حكم الإمامين يحيى وأحمد.⁽⁶⁾

التدخلات الحبشية والفارسية

تحول ذو نواس - آخر الملوك الحميريين - إلى اليهودية، ونتيجة حماس اليهودي الجديد قام بحملة نشطة ضد المسيحيين بلغت ذروتها في مذبحة نجران عام 523. لجأ المسيحيون إلى الإمبراطور البيزنطي جستين الذي طلب من الحبشة - القوة المسيحية الأقرب لليمن - التدخل. وفي عام 525 وصلت القوات الحبشية التي هزمت ذو نواس وانطلقت لإقامة حكم حبشي خاص بها.

استمر الاحتلال الحبشي حتى عام 575 عندما ثار الأمير الحميري سيف بن ذي يزن - والذي ما زال يحيا كبطل مقدس في الفلكلور العربي - واتجه لفارس طالبا الدعم. وصلت القوات الفارسية وتم طرد الأحباش. وقد أنشئت إدارة مشتركة كان سيف فيها هو الحاكم الشرقي، ولكن سرعان ما تولي الفرس السيطرة الكاملة، وتحول اليمن إلى ولاية فارسية.⁽⁷⁾

الإسلام

في عام 628 اعتنق باذان- المرزبان الفارسي لليمن - الإسلام واتبعت البلاد الدين الجديد. لكن بعد فترة قصيرة من وفاة الرسول بدأ تمرد في اليمن، وهو ما يعتبره المؤرخون المسلمون ردة لكنه كان يحمل ملامح سخط سياسي من ذوبان اليمن تماما في الإمبراطورية الإسلامية.⁽⁸⁾ انتهى التمرد بعد وفاة قائده، وسرعان ما عاد اليمن إلى الحضيرة الإسلامية.

لكن الحكم الإسلامي لم يوحد البلاد بشكل فعال حتى أن البعض يقول أن "مجيء الإسلام أعطي الشعب مجالا خصبا آخر لممارسة نزعته إلى الانشقاق".⁽⁹⁾ وربما يمكن توضيح صعوبة حكم اليمن عبر تكرار استبدال الولاة، فخلال عهد الرسول فقط تم تعيين 21 حاكما للولاية.⁽¹⁰⁾

أمد اليمن الجيوش الإسلامية بجانب ضخم من القوة البشرية. خلال الحكم الأموي والمرحلة المبكرة من الحكم العباسي ظل اليمن ولاية في الإمبراطورية رغم أن الخلفاء وجدوا أن البلاد صعبة في الحكم بشكل متزايد. أثناء حكم الخليفة العباسي المأمون أصبحت سلطة الخليفة مزعزة لدرجة أن المسرح كان مهياً لظهور مجموعة متنوعة بشكل محير من الولايات الصغيرة. كان التفتيت الذي استمر لمدة قرن قد بدأ.

لن تكون هناك فائدة كبيرة من تتبع تعاقب الأسر المحلية الحاكمة. منذ عام 819 حتى عام 1517 وصلت الأسر التالية للسلطة في نوع من الترتيب الزمني إلى حد ما: بني زياد - بني يعفر - القرامطة - الإماميون - بني نجاح - الصليحيين - بني زريع - المهديون - الأيوبيون - الرسوليون - بني طاهر.⁽¹¹⁾ كانت بعض تلك الأسر يمنية بينما جاء البعض الآخر - مثل الأيوبيين - من الخارج. وقد تداخلت فترة حكم كل أسرة من تلك الأسر مع فترة حكم الأسر الأخرى، وفي كثير من الأحيان كانت تلك الأسر منخرطة في أعمال عدائية. من بين كل تلك الحكومات كانت الحكومة الوحيدة الأكثر استمراراً، والتي لعبت الدور الأهم في تاريخ اليمن، هي الإمامة، والتي تنتقل إليها الآن.

الإمامة

في عام 893 سافر وفد قبلي من صعدة في الشمال إلى المدينة ودعا يحيى بن الحسين - وهو حفيد الرسول - لكي يأتي ويتولي الحكم في اليمن. وصل يحيى ولم يجد الدعم الكافي فعاد إلى المدينة. وفي عام 897 ذهب وفد آخر وأقنعه بالعودة مره أخرى لليمن، وهو ما فعله. وعند وصوله إلى اليمن أعلن إماماً. والسبب في دعوته للذهاب إلى اليمن هو محل تكهنات. ربما يرجع إلى أن القبائل الشمالية كانت ببساطة ترغب في استخدام تأثيره الديني لتحقيق أهدافها الضيقة، أو قد يكون السبب هو أنها كانت فعلاً تأمل في أن دخول قائد جديد يتمتع بنسب شريف بالإضافة إلى قدرات شخصية سوف يساعد في تحقيق بعض الوحدة في البلاد التي كانت تعمها الفوضى. أياً كانت أسبابهم استغل يحيى - وكان زيدياً كان يؤمن بأن الإمام يجب أن يتقدم ويطلب الاعتراف - الفرصة من أجل تحقيق أهداف طائفته.

تأسست الطائفة الزيدية علي يد زيد بن علي - وهو حفيد الحسين حفيد الرسول. لم يتبع زيد الخط غير النشاط للشيعة حيث قاد انتفاضة ضد الأمويين وقتل عام 740. ورغم أن الزيدية توصف عادة بأنها طائفة شيعية فإن الوصف يكون دقيقاً فقط في حالة تبني تعريف واسع للمذهب الشيعي. على وجه الدقة لم يكن الزيديون شيعة لأنهم كانوا يؤمنون - بعكس الشيعة - أن الإمام يجب أن يتم انتخابه، ولم يكونوا سنة لأنهم كانوا يعتقدون أن شخصاً من نسل الرسول

فقط هو من يصلح لأن يكون إماماً.⁽¹²⁾ وبعد وفاة زيد بدأ أتباعه أكثر من تمرد لكن نجاحهم لم يكن حاسماً واقتصر على منطقة بحر قزوين، لذا فقد وجد يحيى الفرصة لترسيخ الطائفة بشكل قوي في اليمن.

ومنذ إعلان يحيى إماماً وحتى يومنا الحاضر كانت الإمامة جزءاً لا ينفصل من المشهد السياسي لليمن، وقد أخرجت 67 إماماً؛⁽¹³⁾ وكان هناك عدد مماثل تقريباً من المطالبين بالإمامة والذين لم يتم الاعتراف بهم بشكل عام. وبحسب أحد الآراء كان الأئمة "بوجه عام رجالاً يتحلون بالفضيلة والنزاهة بنوا أهدافهم على تشجيع الخير وتجنب الشر"⁽¹⁴⁾ وبحسب رأي آخر كانوا "همجاً ومتعصبين ويفتقرون للنخوة العربية ولا يعرفون شيئاً عن الإحسان الذي هو محور أساسي في الإسلام".⁽¹⁵⁾ لكن مثل هذه الأحكام تعكس ببساطة ميلاً سياسياً. اختلف الأئمة اختلافاً كبيراً في مؤهلاتهم وإنجازاتهم مما يجعل التعميمات الشاملة مضللة تماماً. ومع وضع ذلك في الاعتبار يمكن تقديم الملاحظات التالية:

1- منذ بداية الإمامة في اليمن أصبحت مرتبطة بشكل وثيق بالقبائل الشمالية. لم تتحقق الوحدة المأمولة. فرغم أن بعض الأئمة البارزين حققوا قدراً من النظام والوحدة لكن التنافس بين المطالبين بالإمامة - وهو عنصر متأصل في نظام الإمامة - كثيراً ما كان عاملاً فاقم من حالة الشقاق.

2- بحكم طبيعة طائفتهم وكرد فعل للأوضاع غير المستقرة في اليمن كان الأئمة عسكريين ذوي توجه ديني. واتبع التوجه الديني خطأ طائفيًا، وهو ما جعل من الصعب على غير الزيديين قبول زعامتهم. وكان التركيز على الطابع العسكري يعني أن الأئمة كانوا أفضل تأهيلاً كعسكريين مما كانوا كإداريين.

3- وجد الأئمة أنه إما من الملائم أو من الضروري أن يشجعوا الخلافات الطائفية، وهكذا كان الزيديون الذين يحاربون غير الزيديين يوصفون بأنهم مجاهدون - أي محاربون من أجل العقيدة.⁽¹⁶⁾ وفي حين أن استغلال الخلافات الطائفية ربما يكون قد ساعد في تحقيق الأهداف العسكرية للإمام إلا أنه ترك لدى الزيديين شعوراً بالاستعلاء، وهو ما أثار امتعاضاً مفهوماً عند غير الزيديين.

4- حققت الإمامة أعلى مكانة حين أصبحت مركز المقاومة ضد الأتراك، فكل الثورات الكبرى ضد الاحتلال التركي كان يقودها الأئمة. وخلال تلك الثورات نجح الأئمة في توحيد الزيديين والشافعيين وكانوا رمزا للمقاومة الوطنية. وهكذا بمجرد انتهاء الاحتلال التركي - أولاً في القرن السابع عشر وثانياً في القرن العشرين - تقدم الأئمة الذين كانوا يقودون النضال وحكموا البلاد.

الغزو والاحتلال الأجنبي

قاد صراع إمارتين في الجنوب إحداهما إلى اللجوء لصالح الدين طلبا للمساعدة.⁽¹⁷⁾ أرسل صلاح الدين جيشا بقيادة أخيه عام 1173، وبعد احتلال المدن الجنوبية بقي المصريون وأسسوا الأسرة الأيوبية التي حكمت لمدة خمسين عاما.

وقع غزو مصري آخر سنة 1515.⁽¹⁸⁾ في هذه المرة كان الإمام وقتها، والذي كان يقاتل آخر سلاطين بني طاهر، هو الذي تحالف مع المصريين. لكن لم يكد المصريون يعززون وضعهم في اليمن حتى تعرضت مصر نفسها للغزو على يد الأتراك، ونتيجة لذلك أعلنت القوات ولاءها للأتراك. وفي عام 1538 تم تعيين باشا تركي في اليمن.

لم تكن قبضة الأتراك على اليمن قوية جدا، فبعيدا عن المدن الرئيسية كانت السيطرة التركية غير مؤثرة تماما. وبرغم التعزيزات لم تنجح القوات التركية في إخضاع الشمال. وفي عام 1589 اندلع تمرد واسع بقيادة الإمام القاسم.⁽¹⁹⁾ أجبر الأتراك على عقد هدنة جعلت الإمام مسيطرا بصورة فعلية على الشمال. وفي عام 1630 رحل الأتراك تماما عن اليمن.

عندئذ ظهرت الإمامة باعتبارها السلطة الأهم في اليمن. ولمدة تقارب القرنين كانت البلاد مستقلة وتمتعت بالرخاء الذي حققته تجارة البن، لكن الحرب الدائمة بين الخصوم المتنافسين من المطالبين بالإمامة استمرت، ولم يعدم الزعماء المحليين الفرص لتأكيد استقلالهم. وقعت أهم تلك الخطوات عام 1727 حين أصبح العبدلي سلطان لحج مستقلا عن الإمام واستولي بعدها على عدن.

في بداية القرن التاسع عشر شن الوهابيون - بالتحالف مع شريف أبو عريش - هجمات على اليمن. وحين هزم محمد علي باشا والي مصر الوهابيين عقد معاهدة مع الإمام أمنت عودة الأراضي التي احتلها الشريف إلى الإمام بشرط دفع جزية. وفي عام 1832 تمرد أحد ضباط محمد علي في الحجاز وهرب إلى اليمن. وبحجة مطاردة الضابط المتمرد دخلت القوات المصرية إلى اليمن وظلت هناك حتى عام 1840.⁽²⁰⁾

في عام 1849 عاد الأتراك إلى اليمن؛ دعاهم الإمام إلى صنعاء، لكن سكان المدينة شعروا بالغضب الشديد مما دفعهم إلى مهاجمة الأتراك وإعدام الإمام. بقي الأتراك على الساحل، وفي عام 1872 استولوا على صنعاء وتقدموا لاستكمال احتلالهم، لكن هذا الاحتلال الثاني لم يكن أكثر نجاحا من الأول، وواجه الأتراك عدة حركات تمرد كان أهمها التمرد الذي قاده الإمام محمد سنة 1891.

الإمام يحيى (21)

في عام 1904 تم انتخاب الإمام يحيى بن محمد بعد وفاة والده. كان يحيى شخصا مميزا جدا، وربما كان الأكثر تميزا في تاريخ اليمن. حكم يحيى حتى عام 1948، وخلال مدة حكمه الطويلة كان عليه التغلب على المشكلات العديدة الخاصة بضمان الاستقلال وإنهاء التفتت الداخلي وتوجيه دفة علاقات اليمن الخارجية. كان التحدي الأكبر أمامه هو تحويل بلاده التي انتابها الانشقاق إلى ما يشبه الدولة الوطنية. ولا يمكن إنكار أنه نجح في تحقيق الوحدة وتأكيد السيطرة المركزية. وبنفس الدرجة لا يمكن أيضا إنكار أن الوحدة التي حققها كانت ضعيفة وأن أساليبه لم تكن دوما محمودة. كان يحيى بالتأكيد شخصا محافظا ومستبدا، لكن يجب أن نتذكر أنه عمل في إطار النظام السياسي لليمن ولهذا فمن المنطقي القول أنه لولا كونه محافظا لم يكن ليتم انتخابه إماما أبدا، وأنه لولا قسوته لم يكن ليؤكد سيطرة الحكومة المركزية أبدا. وإذا كان قد أضعف من الوحدة التي كان يسعى إليها عبر اعتماده الكبير على أتباع طائفته لكن التفسير يكمن في التجارب التاريخية للإمامة أكثر مما يكمن في التمييز الواعي من جانبه. وفي النهاية كان فشله راجعا إلى عدم قدرته على جعل حكم الإمامة القديم يتكيف مع ظروف القرن العشرين. ولكن الأمر محل الجدل هو ما إذا كان بإمكان أي رجل يعد نتاجا لمؤسسة أن يغير بشكل ناجح وجذري من طبيعة تلك المؤسسة.

كان يحيى شخصا نشيطا وعمليا وذا عزيمة.⁽²²⁾ وكان يمتلك قدرة على الإدارة العادلة القوية.⁽²³⁾ كذلك كان قائدا يتمتع بالكاريزما، وحظي حتى السنوات الأخيرة من عمره بشعبية كبيرة، خاصة بين الزيديين الذين كان تبجيلهم له لا يقل كثيرا عن التقديس.⁽²⁴⁾

وعند تولية السلطة شرع يحيى في محاربة الأتراك. في عام 1905 حاصر صنعاء ودخلها. تم جلب تعزيزات تركية فانسحب يحيى إلى الصحراء. طارده الجيش التركي الذي تعرض خلال المعركة التي تلت ذلك لهزيمة كبيرة. ثم تبني الأتراك بعد ذلك سياسة المصالحة، وعقدت مفاوضات مطولة رغم أن المناوشات البسيطة لم تتوقف. وفي عام 1911 تم التوصل إلى تسوية وأبرمت اتفاقية دعان. اعترفت الاتفاقية التي كانت لتستمر لمدة 10 سنوات بحق الإمام في إدارة الأراضي الزيدية وفقا للشريعة الإسلامية. وهكذا بينما استمر الأتراك في إدارة المناطق الشافعية تم الاعتراف بالإمام باعتباره الزعيم الديني والديني للزيديين بلا منازع.

خلال الحرب العالمية الأولى ظل يحيى غير نشيط؛ لم يكن متحمسا للتحالف مع البريطانيين ضد الأتراك. ومع انسحاب الأتراك في نهاية الحرب دخل يحيى صنعاء وتولي مسؤولية الحكم في اليمن، لكن مشاكله لم تنته بالاستقلال. كانت البلاد أبعد ما تكون عن السلام؛ كان الإدريسي أمير عسير يسيطر على أجزاء واسعة من تهامة، وكانت الحدود مع محمية عدن غير مستقرة.

تحالف الإدريسي أمير عسير مع البريطانيين أثناء الحرب. وحين انتهت الحرب سلمه البريطانيون الحديدية والأراضي المحيطة بها، والتي كانوا قد احتلوها بعد انسحاب الأتراك. كان يحيى غاضبا من هذا لكنه تحين الفرصة المناسبة. وكان تولي حاكم صغير السن وضعيف مقاليد السلطة عام 1925، إلى جانب الخلافات في أسرة الإدريسي، هو ما منحه تلك الفرصة. احتلت قواته تهامة - بما في ذلك الحديدية - عام 1925.

كانت العلاقات البريطانية-اليمنية موضوع دراسات مكثفة لدرجة أن أقل تلخيص ممكن هو المطلوب هنا.⁽²⁵⁾ كان جوهر المشكلة يكمن في اعتقاد الإمام أن جنوب الصحراء العربية هو جزء طبيعي لا يتجزأ من اليمن وأن البريطانيين هم مجرد دخلاء. وبرر البريطانيون موقفهم على أساس حقوق المعاهدة التي منحها لهم الزعماء المحليون الذين كانوا لزم من طويل مستقلين عن اليمن. وهكذا كان الإمام يأمل في إقناع البريطانيين بصحة مطالبه كان البريطانيون يحاولون إقناعه بالتنازل عن تلك المطالب. وفي محاوله للتوفيق بين المتناقضين استخدم كلا الطرفين الهجمات الحدودية وتبادل الاتهامات والتهديدات والوعود والمفاوضات، وأخيرا تم توقيع معاهدة صنعاء عام 1934. وكانت المعاهدة بمثابة تحسina لعملية التسوية، ولذا فإنها بشكل متعمد لم تتضمن التنازل عن المطالب الخاصة بالأراضي سواء لبريطانيا العظمى أو اليمن، إنما وضعت لضمان بقاء الحدود لمدة 40 عاما كما كانت وقت التوقيع.⁽²⁶⁾ وبعد توقيع المعاهدة تحسنت العلاقات الأنجلو-يمنية، رغم أنه فيما بعد نشأت المزيد من المشكلات كما سنرى.

لم تتوقف حملات يحيى من أجل إخضاع البلاد بأكملها لسيطرته حتى منتصف الثلاثينات. كانت القبائل قد اعتادت منذ زمن طويل على أن تتخذ قراراتها بنفسها. طورت القبائل أسلوب حياتها الخاص، بما في ذلك القوانين القبلية التي لم تكن دائما متوافقة مع الشريعة الإسلامية، وكانت تستاء من محاولات أي حكومة مركزية لفرض إرادتها عليها. لم ينجح الأتراك في الحصول على أكثر من الولاء العادي من القبائل، وكان وجودهم في المناطق القبلية التي تعذر عليهم الوصول إليها رمزيا فقط. لكن يحيى كان مصمما على إنشاء سلطة مركزية فعالة، وكان وجود المجتمعات القبلية التي تتمتع بالاستقلال متعارضا مع خطته. كان عليه أن يلجأ للإجراءات العسكرية وسرعان ما أصبح النمط الذي اتبعه واضحا؛ تم إرسال قوات زيدية موالية يقودها سيد⁽²⁷⁾ محل ثقة. جري سحق المتمردين وأخذ رهائن لضمان حسن السلوك، وعين إداريون محليون كانوا مسئولين أمام الإمام فقط. وبالتدريج بدأت القبائل تقبل على مضض بسلطة الإمام.

كان توسيع يحيى لسلطته ناجحا حتى اصطدم بجار قوي - الملك عبد العزيز بن سعود - والذي كان أيضا يعمل على توسيع سلطته. وانتهى الصدام بهزيمة اليمن، وكان يجب أن يتوقف توسع يحيى عند الحدود الجديدة بين اليمن والسعودية والتي حددتها اتفاقية الطائف عام 1934.⁽²⁸⁾

كانت المشكلة الأولى التي واجهت يحيى في سياسته الخارجية هي تنظيم علاقته بالشمال الذي كان تحت الحماية البريطانية. وكان مقتنعا تماما بمشروعية مطالبه الخاصة بالمناطق الواقعة تحت الحماية، وفي نفس الوقت كان غير قادر على الوصول إليها. اضطر يحيى إلى القبول بالتسوية التي تمثلت في معاهدة 1934 مع بريطانيا. وكانت علاقاته الدولية الأخرى مدفوعة برغبة في ضمان الاعتراف الدولي، إلى جانب الحصول على السلاح والسلع التي كان يحتاج إليها. تم توقيع معاهدة مع إيطاليا عام 1926، ومع الاتحاد السوفيتي عام 1928، ومع العراق عام 1931، ومع هولندا 1933، ومع السعودية 1934، ومع إثيوبيا 1935، ومع بلجيكا 1936، ومع الولايات المتحدة عام 1946. كذلك انضمت اليمن إلى جامعة الدول العربية والأمم المتحدة، لكن يحيى كان دائما حذرا من النفوذ الأجنبي فلم يقيم علاقات دبلوماسية كاملة أبدا ولم يسمح لأي ممثل أجنبي بالإقامة في اليمن.

أدرك يحيى الحاجة إلى يمينيين مدربين لشغل الوظائف الإدارية فأسس مؤسستين في العشرينيات: المدرسة العلمية - وهي مدرسة للعلوم، ومكتب الأيتام وهو عبارة عن مدرسة للأيتام. كان لدي المدرسة الأولى منهج شامل وتم تجهيزها لتخريج كبار الإداريين، بينما قدمت المدرسة الثانية تدريباً أولياً يكفي للإعداد للوظائف الإدارية الدنيا. كان طلاب المدرسة الأولى ينتمون لأسر غنية، فكانوا أبناء سادة أو قضاة،⁽²⁹⁾ في حين كان طلاب المدرسة الثانية إما أيتاما أو ينتمون إلى أسر تفتقر للثروة أو المركز الاجتماعي. تضمن هذا النظام المزدوج للتعليم الذي كان يميل إلى استمرار التحيز بذور الاستياء والثورة فيما بعد. وكان العديد من الضباط الذين شاركوا في ثورتي 1948 و 1962 من خريجي مدرسة الأيتام.⁽³⁰⁾

ثورة 1948

كانت ثورة 1948 نتاج تحالف بين ثلاث مجموعات: الليبراليين، ومجموعة من أسر السادة، وضباط الجيش. قدم الليبراليون الحراك، وقدمت أسر السادة قواتها ومكانتها، وجعل الضباط قطاعات من الجيش تميل إلى جانب الثورة.⁽³¹⁾

الليبراليون

كان للحركة الليبرالية في اليمن جذور أدبية. ففي أواخر الثلاثينيات فتحت الكتب الحديثة التي دخلت إلى اليمن بشكل أساس على يد الحجاج عالما جديد من الأفكار أمام الشباب اليمني الذين كانوا بالفعل غير راضين عن التعليم التقليدي الذي اعتمد بصورة أساسية علي المخطوطات القديمة.⁽³²⁾ بدأت نهضة أدبية، وكانت صحيفة الحكمة اليمنية هي المنتدى الذي دعا من خلاله الكتاب والشعراء الشباب إلى الإبداعات الأدبية. وفي عام 1940 توقف طبع جريدة الحكمة بحجة ارتفاع أسعار الورق، لكن السبب الحقيقي كان يرجع إلى أن الإمام يحيى لم يرغب في تشجيع الخط الحديث للصحيفة.

وبالتدريج اكتسبت هذه الحركة الأدبية المحضة إحياءات سياسية. قارن المفكرون الشباب - الذين امتلكوا عندئذ رؤى اكتسبوها من الكتب الحديثة - بين أحوال اليمن وأحوال الدول الأخرى، وتوصلوا لاستنتاج مفاده أن الطبيعة المحافظة والمستبدة لحكم الإمامة كانت هي سبب تأخر اليمن. وترجمت الأفكار الليبرالية نفسها في مطالب سياسية بإصلاح نظام الإمامة. لم يكن الليبراليون ينتمون إلى طبقة أو طائفة بعينها، فقد ضموا الزيديين والشافعيين والسادة وغيرهم، كما كانوا ينتمون إلى عائلات متنوعة بشكل كبير من حيث الوضع الاجتماعي والدخل. كان الشيء الوحيد المشترك بينهم هو إيمانهم بالتقدم والحدثة.

بعد أن أصبح الليبراليون ذوي توجهات سياسية انتقلوا إلى عدن حيث سمحت لهم الحرية السياسية بشن حملتهم ضد نظام الحكم اليمني. حظي الليبراليون بدعم مادي من التجار اليمنيين في عدن لأنهم كانوا ساخطين على شبه احتكار الإمام يحيى للتجارة الخارجية لليمن. وفي عام 1947 شكل الليبراليون حزب الأحرار اليمنيين الذي تحول فيما بعد إلى الجمعية اليمنية الكبرى.

ومن خلال مقالات في مجلتهم صوت اليمن، إلى جانب كتيبات ومنشورات، انتقد الليبراليون نظام حكم الإمام يحيى. وفي أحد الكتيبات أشاروا إلى أن "ميزانية اليمن هي سر عليه حراسة مشددة لا يسمح لأي أحد بالاطلاع عليه"؛⁽³³⁾ وأنه "لا يوجد مدير للأمن ولا حتى شرطة نظامية"؛⁽³⁴⁾ وأن "ما يعادل 10 ملايين جنيه مصري كان يتم جمعها من الرعايا الفقراء باسم الدين".⁽³⁵⁾ ورغم ذلك لم يطالب الليبراليون أبدا بإلغاء الإمامة؛ كانت الجمهورية تعتبر هدفا أكثر ثورية مما يمكن قبوله في اليمن. لكن الليبراليين لم يكونوا من السادة وبالتالي لم يكونوا مؤهلين للإمامة.

أدرك النظام في اليمن المخاطر السياسية للحراك في عدن. وفي إبريل عام 1946 وصل الأمير أحمد ولي العهد لمحاولة كسب دعم الليبراليين. وعد أحمد بأن تقوم الحكومة بتبادل البعثات الدبلوماسية مع الدول العربية والإسلامية، وكذلك باستغلال ثروات البلاد

المعدنية، ونشر التعليم. لكن ذلك لم يعجب الليبراليين، وحتى حين ذهب الأمير أحمد بنفسه سعياً لمقابلة قادة الليبراليين - أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري - في منازلهم رفضوا مقابلته.⁽³⁶⁾

حدث تطور غير متوقع عندما انضم الأمير إبراهيم - أحد أبناء الإمام يحيى - إلى الليبراليين في نوفمبر 1946. كان إبراهيم قد وصل إلى استنتاج مفاده أنه على الأسرة الحاكمة أن تقوم بإصلاح نفسها لكي تستمر. حاول أن يقنع أخوته بأن يقوموا بالقبض على والدهم والإعلان أنه مختل عقلياً، ثم يطلبوا من الشعب انتخاب إمام جديد. في البداية استحسن بعض الأمراء الفكرة لكنهم تراجعوا عنها فيما بعد. ترك إبراهيم اليمن بدعوى العلاج ووصل إلى عدن ليتولي قيادة الليبراليين. بدأ انشقاق إبراهيم نقطة تحول في تاريخ الحركة الليبرالية. وقد أدّى إلى اهتمام كبير في صحف وإذاعات العالم العربي، وأمد الليبراليين بقائد مؤهل لأن يصبح إماماً.⁽³⁷⁾

أسر السادة

في عام 1923 أعلن الإمام يحيى ابنه أحمد ولياً للعهد. كان ذلك انحرافاً عن التقاليد الزيدية التي نصت على انتخاب الإمام ولم تعترف بتوريث الإمامة. كان قرار يحيى يعني أنه منذ ذلك الوقت ستحتكر أسرته - حميد الدين - الإمامة. غضبت أسر السادة الأخرى التي كانت لديها تطلعاتها الخاصة من هذا القرار، لكن نظراً لأن يحيى كان في أوج قوته، ولأن مهمة توحيد اليمن لم تكن قد اكتملت بعد، لم يكن هناك ما يمكن القيام به. كانت الخلافة تعتبر فرصة بعيدة أكثر مما ينبغي القلق بشأنها.

من بين الأسر التي غضبت من هذا القرار كانت أسرة الوزير هي الأبرز. كان قد خرج منها أئمة في الماضي، وخلال حكم يحيى حصلت على الثورة والمكانة. عهد يحيى إلى أفراد من أسرته بقيادة حملته وشغل المناصب الإدارية العليا. في أوقات مختلفة كان عبد الله بن أحمد الوزير هو القائد العسكري في اليمن، وممثل يحيى في المفاوضات اليمنية السعودية عام 1934، ونائب الملك في الحديدة. وكان علي الوزير نائب الملك في تعز، كما كان عبد القدوس الوزير محافظاً لدمار.⁽³⁸⁾ برزت أسرة الوزير باعتبارها المنافس الرئيسي لأسرة حميد الدين.

مع اكتمال الوحدة في نهاية الثلاثينيات حول الإمام يحيى - الذي كان قد تقدم في السن - اهتمامه إلى مسألة الخلافة. ورغم أنه قد سبق الاعتراف بأحمد بشكل رسمي كولي للعهد لكن منافسيه في داخل وخارج الأسرة كانوا عديدين. شرع يحيى في مصالحة هؤلاء المنافسين لقبول

خلافة أحمد،⁽³⁹⁾ لكنه أدرك أن الخطر الأكبر كان يأتي من أسرة الوزير، فبدأ في تحييدها. حل عبد الله بن الإمام محل عبد الله الوزير في الحديدة، وعين أحمد نائباً للملك في تعز.⁽⁴⁰⁾ أصبح عبد الله الوزير قائدا للأسر التي عارضت خلافة أحمد. لم يكن هناك أي شيء في شخصية أو تاريخ عبد الله يوحى بأي ميول ليبرالية، كذلك لم يكن هو أو أي من الأسر التي كان يمثلها مدفوعين بأي إيمان حقيقي بالإصلاح أو التقدم. كان رد فعلهم ببساطة هو رد فعل النخبة التي حرمت من حقها التاريخي في الحكم، أو على الأقل نصيبها في السلطة. وقد برهن على ذلك موقف تلك الأسر من الحركة الليبرالية.

من الداخل رحبوا بالحركة دون تقديم أي دعم علني أو سري لها، لأنهم أدركوا أنها قوضت معنويات الإمام وأبنائه، وبالتالي مهدت لهم الطريق إلى العرش... تفضلوا بقراءة الأدب الذي أنتجه الليبراليون واعتبروا أنه يكفي أنهم لم يبلغوا السلطات عن الأشخاص الذين حصلوا من خلالهم على هذا الأدب.⁽⁴¹⁾

لكن هذا الموقف السلبي تغير مع انشقاق الأمير إبراهيم وانضمامه إلى الليبراليين. كانت أسر السادة تخشى من احتمال أن يصبح إبراهيم إماماً، فاتصلوا بالليبراليين واقترحوا عليهم العمل معاً بشرط ألا يسمح لأي فرد من أسرة حميد الدين بأن يصبح إماماً. وافق الليبراليون الذين كانوا يفتقرون إلى قاعدة داخل اليمن.

ضباط الجيش

بينما كان الليبراليون مدفوعين بشكل أساسي بإيمان فكري بالتقدم، وكانت أسر السادة مدفوعة بالرغبة في السلطة، كان ضباط الجيش يمثلون غضب طبقة اجتماعية نتيجة وضعها المتدني. كان أولئك الضباط بشكل رئيسي من خريجي مدرسة الأيتام، وكانوا أبناء التجار البسطاء. تلقى الكثير منهم تدريبهم في العراق.⁽⁴²⁾ وكان يتم اختيارهم للسفر للخارج لأن الإمام يحيى كان يعتقد أنهم غير خطرين سياسياً، فنظراً لأن وضعهم الاجتماعي كان متدنياً كان يفترض أنهم لا يمتلكون أي طموح سياسي.

وقد عمقت إقامة الضباط في العراق - وهو بلد متقدم نسبياً - شعورهم بالظلم. وعند عودتهم كانوا محل شك وخضعوا لمراقبة وثيقة. وفي عام 1938 تم سجن بعضهم بتهمة نشر أفكار "هدامة".⁽⁴³⁾ ولم تساعد حقيقة أن الجيش النظامي الذي ارتبطوا به كان ذا معايير متدنية للغاية وأنه لم يكن ينظر إليه باعتباره مؤسسة مرموقة على تهدة غضبهم. وبالإضافة إلى ذلك ضم الجيش اليمني ضابطاً ثورياً عراقياً - جمال جميل - كان متورطاً في انقلاب عام 1936

في العراق وبالتالي اختار البقاء في اليمن، وهو ما أمد الضباط بقيادة. وهكذا كان الضباط مهياين وقادرين على الإلقاء بثقلهم خلف الثورة.

الثورة والثورة المضادة

في عام 1947 اكتمل التنسيق بين المجموعات الثلاثة. تشكل التحالف من خلال الالتزام ب "الميثاق الوطني المقدس" الذي طرح خطة لنظام إمامة دستوري. كان يحيى قد أصبح مريضا واهنا وأصبحت قبضته على الحكم ضعيفة بشكل متزايد. وفي يناير سنة 1948 تعرض يحيى لمحاولة اغتيال فاشلة. وظنا منهم أن المحاولة نجحت نشر الليبراليون في عدن نبأ وفاة يحيى وانتخاب عبد الله الوزير إماما. استدعي يحيى عبد الله الذي أنكر أي مسؤولية عن الخبر المنشور وأقسم بالولاء ليحيى وقام بنشر مقال في صحيفة الحكومة يؤكد فيه ولاءه ليحيى وأحمد. (44) لكن يحيى كان قلقا بما يكفي لجعله يطلب من أحمد الحضور إلى صنعاء. وبهدف استباق نتائج وصول أحمد وربما توليه السلطة، وجه الثوار ضربة أخرى في فبراير 1948. تم اغتيال يحيى وأطلق الرصاص على اثنين من أبنائه. أعلن عبد الله إماما في صنعاء وتشكلت حكومة جديدة. (45)

أعد كمين لأحمد في تعز ولكنه نجح في الهروب متنكرا في زي عامل. وتوجه أحمد إلى حجة في الشمال – وهي مدينة حصينة في الشمال كان حاكما لها في السابق. فكر لفترة قصيرة في مغادرة اليمن وطلب اللجوء في المملكة العربية السعودية، (46) لكنه غير رأيه بعد ذلك وقرر الترتيب لثورة مضادة. استغل أحمد غضب القبائل من اغتيال يحيى، بالإضافة إلى عدائهم التقليدي لسكان المدن، وبدأ في تكوين قوة قبلية. كان الثوار مستقرين في صنعاء وتعز والحديدة، لكن خارج تلك المدن لم يكن الموقف واضحا. قرر الحكام تبني موقف التآني والانتظار. كذلك لم ينجح الثوار في تأمين الدعم الدولي. لجأوا إلى جامعة الدول العربية طلبا للاعتراف، وقررت الجامعة إرسال وفد لدراسة الوضع في اليمن وتقديم تقرير مباشر. توجه الوفد أولا إلى السعودية والتقى بالملك عبد العزيز الذي أقنع الوفد بالبقاء في الرياض. كان أعضاء الوفد منقسمين في مواقفهم تجاه نظام حكم الثوار، وقبل أن يتمكنوا من الوصول إلى قرار بالتوجه إلى اليمن انهار النظام الجديد.

زادت الاحتكاكات الداخلية من الصعوبات التي واجهها الثوار:

في البداية كان الخلاف بشأن من يقوم بماذا ومتى. كانت صعوبة السفر من عدن إلى اليمن تعني أن المتمردين وصلوا متأخرين إلى مواقعهم المحددة في الأقاليم. ودفع الخوف من سيطرة زملائهم على

العاصمة الكثير منهم إلى ترك مواقعهم سريعا بعد ذلك. وخلال عدة أيام لم يكن هناك أعضاء من حزب الأحرار اليمنيين في الأقاليم نهائيا. تركت البلاد تماما - باستثناء المدن الكبرى - لعناصر الثورة المضادة الذين تجولوا بحرية دون أن يقابلوا بأي مقاومة.⁽⁴⁷⁾

بدأت قوات أحمد في السير نحو صنعاء، وبسهولة هزمت الحملات التي أرسلها الوزير لوقف تقدمها. وفي 14 مارس سقطت صنعاء وسمح لقوات أحمد القبلية بنهبها. ألقى القبض على المتآمرين وتم الاعتراف بأحمد إماما، حيث جعل من تعز عاصمة له.

(1) انظر:

محمد محمود الزبيري، "اليمن القديمة بين الأسطورة والتاريخ"، العربي (نوفمبر، 1980)، ص 52-56.

(2) Ameen Rihani, Arabian Peak and Desert, (London: Constable & Co. Ltd, 1930), p.109.

(3) Harold, Ingrams, The Yemen (London: John Murray, 1963), p. 5.

(4) Richard H. Sanger, The Arabian Peninsula (New York: Cornell University Press, 1954), p. 236.

(5) George Modelski, "The International Relations of Internal War" in James N. Rosenau (ed), International Aspects of Civil Strife (Princeton: Princeton University Press, 1964), p. 20.

(6) B.W. Seager, "The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (July-October, 1955), p. 214;

أحمد فخري، "اليمن والثورة" في الأهرام العربي (القاهرة: الجامعة العربية، 1949) ص 131.

(7) فيما يخص التدخلات الحبشية والفارسية انظر:

Philip K. Hitti, History of the Arabs (London: Macmillan & Co. Ltd., 1956), pp.62-66.

(8) محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965) ص 87.

(9) Ingrams, op. cit., ...

(10) أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1963) ص 175-174.

(11) Jane Smiley Hart, "Basic Chronology for a History of the Yemen", The Middle East Journal (Winter-Spring, 1963), pp. 146-147;

عدنان الترسيبي، اليمن وحضارة العرب (بيروت: مكتبة الحياة، لا يوجد تاريخ) ص 92-99.
(12) محمد جواد مغنية، الشيعية والتشيع (بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب، لا يوجد تاريخ) ص 36-35.

توجد مناقشة واضحة للاختلافات بين عقائد الزيديين والسنة والشيعية في

al-Mansurbillah Abdullah B. Hamza, al-Ikd al-Thamin MS British Museum OR 3976.

(13) لقائمة بالأئمة انظر:

شرف الدين، المرجع المذكور، ص 256-259.

(14) أحمد محمد الشامي، "إرث تاريخي"، في عبد الله الحسني (طبغات) مؤتمر حرص (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1966)، ص 23.

(15) Lord Belhaven, The Uneven Road (London: John Muarray, 1955), p.74.

(16) تقليدياً، إن لم يكن حديثاً، اعتبر الأئمة غير الزيديين كفار التأويل – أي أولئك الذين يقترب تفسيرهم للإسلام من الكفر. انظر:

محمد محمود الزبيري، الإمامة وخطورتها على وحدة اليمن (بيروت: الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ)، ص 12.

(17) حسين بن أحمد الراحي، بلوغ المرام (القاهرة: سي. إي. ألبرتيري، 1939)، ص 18.
(18) انظر:

Lein Obele Schuman, Political History of the Yemen the beginning of the 16th Century (Amesterdam: V.R.B. Kleine, 1960).

(19) انظر:

A.S. Tritton, The Rise of the Imams of Sana (London: Oxford University Press, 1925).

(20) انظر:

Abdel Hamid El-Batrik, "Egyptian-Yemeni Relations (1819-1840) and their Implications for British Policy in the Red Sea", in P.M. Holt (ed), Political and Social Change in Modern Egypt (London: Oxford University Press, 1968), pp.281-290.

(21) للتغطية الأكثر شمولاً لفترة حكم الإمام باللغة الإنجليزية والعربية على التوالي انظر:

Manfred W. Wenner, Modern Yemen (Baltimore: The John Hop.kins Press, 1968)

السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1963).

(22) الريحاني، المرجع المذكور، ص 221.

(23) Harold F. Jacob, Kings of Arabia (London: Mills & Boom Ltd., 1923), p.247.

(24) Ingrams, op. cit., p.28.

(25) على سبيل المثال، انظر:

Tom Hickinbotham, Aden (London: Constable & Co., 1958);
Bernard Reilly, Aden and the Yemen (London: Her Majesty's

Stationary Office, 1960); Gillian King, Imperial Outpost-Aden (London: Oxford University Press, 1904); Reginald Sorensen, Aden, the Protectorates, and the Yemen (London: Fabian International and Commonwealth Bureaux, 1961); Gordon Waterfield, Sultans of Aden (London: Oxford University Press, 1968); Tom Little, South Arabia Arena of Conflict (London: Pall Mall Press, 1967).

(26) Eric Marco, Yemen and the Western World (London: C. Hurst & Co., 1968), p.60.

(27) المصطلحات "سيد" و"هاشمي" و، الأقل تداولاً، "شريف" كانت تستخدم في اليمن للإشارة إلى شخص من نسل الرسول.

(28) انظر أدناه ص 166-167.

(29) انظر أدناه ص 85-86.

(30) نعمان، المرجع المذكور، ص 50-51.

(31) لوصف لثورة 1948 انظر:

Majid Khadduri, "Coups and Counter-Coups in the Yemen, 1948", International Affairs (January, 1952, pp. 59-68; Wenner, op. cit., pp. 97-108; Ingrams, op. cit., pp.70-75;

شرف الدين، المرجع المذكور، ص 325-330؛ أحمد محمد الشامي، إمام اليمن أحمد حميد الدين (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1965) ص 170-174؛ نعمان، المرجع المذكور، ص 57-63.

(32) نعمان، المرجع المذكور، ص 48.

(33) اليمن ظاهره وباطنه (القاهرة، غير منشور، 1946)، ص 18.

(34) نفس المرجع، ص 19.

(35) نفس المرجع، ص 24-30.

(36) نعمان، المرجع المذكور، ص 58.

(37) المرجع المذكور، ص 58-59.

(38) Wenner, op. cit., p. 90.

(39) انظر:

Ingrams, op., cit., p. 71.

(40) الشامي، إمام اليمن، المرجع المذكور، ص 172.

(41) نعمان، المرجع المذكور، ص 60.

(42) لقائمة بأسماء ضباط الجيش الذين تلقوا تدريباً في العراق انظر:

Wenner, op., cit., p. 58.

(43) شرف الدين، المرجع المذكور، ص 248.

(44) المرجع المذكور، ص 327.

(45) لمزيد من التفاصيل انظر:

Wenner, op., cit., pp. 97-100.

(46) انظر أدناه ص 168.

(47) Wenner, op., cit., p. 107.

الفصل الثاني

نظام حكم الإمام

كان نظام الحكم اليمني في الفترة موضوع الدراسة - 1948-1962 - نتاج تاريخ طويل ومضطرب. تحولت الإمامة عام 1918 من مؤسسة دينية طائفية تعرضت سلطتها الدنيوية لتحديات من الحكومات المنافسة على مدى ما يزيد على قرن إلى أعلى سلطة دينية ودنيوية في البلاد. كانت هناك حاجة لبعض التعديلات في كل من النظرية والتطبيق من أجل التكيف مع الوضع الجديد. وهكذا أصبح الإمام ملكا أيضا، ولم تعد واجباته ومسئوليته مقتصرة فقط على الطائفة الزيدية التي كان يترأسها، لكنها امتدت للمجتمع ككل، رغم أن نصف المجتمع تقريبا لم يعترف بمركزه الديني. أدخل نظام البكورية للمرة الأولى على يد الإمام يحيى واتباعه ابنه أحمد هذه السابقة، لكن الإمامة أخفقت في تقديم نظرية جديدة متماسكة. لم يستمر دستور 1948 بعد الثورة التي أنتجته، لذا يجب أن يمضي تحليلنا لنظام الحكم⁽¹⁾ قدما دون الاستفادة من أي وثائق دستورية، كما ينبغي أن نأخذ في الاعتبار ليس فقط النظرية الأصلية للإمامة لكن أيضا الطريقة التي عملت وتغيرت بها في التطبيق.

القيم والمبادئ⁽²⁾

مهام الإمام

حكم كل الأئمة باسم الله وطالبوا بالدعم كمسلمين مخلصين هدفهم الأساسي هو إتباع شرع الله، وبالتالي كانت المهمة الأساسية للإمام هي العمل على تطبيق الشريعة.⁽³⁾ وحتى عام 1961 ذكر كاتب يمني في وثيقة شبه رسمية أن المسؤولية الأساسية للإمام هي حماية البلاد "من عبادة الأصنام والشرك ومظاهر الردة الأخرى المستندة إلى الخرافات".⁽⁴⁾ لم يكن الإمام مسئولا أمام شعبه وإنما أمام الله. ومن الواضح أن الإمام أحمد آمن أيضا بأن الإمام كان قابلا للعزل فقط بواسطة الله. فتعليقا على انقلاب 1955 قال أنه لجا إلى الله لإنقاذه بسبب نواياه الطيبة تجاه شعبه وبلاده. كذلك فقد طلب من الله أن "يخلص البلاد منه" لو كان يعلم أن نواياه كانت خلاف ذلك.⁽⁵⁾

وتوجد أقرب إشارة لما كان الإمام يتصور أنها مهامه في خطاب الإمام أحمد في الذكرى الرابعة عشرة لتوليته السلطة. احتوى ذلك الخطاب - والذي أعاد تأكيد اختيار أحمد لابنه البدر باعتباره الإمام القادم - على المبادئ التي كان على الأخير إتباعها. وكانت تلك المبادئ كما يلي:

1- أن يتحلى بالنزاهة؛

- 2- أن يعمل على نشر الخير وتجنب الشر؛
- 3- أن يحرص على تطبيق الشريعة والالتزام بخطها القويم في جميع الأوقات؛
- 4- أن يساعد المظلوم ضد الظالم؛
- 5- أن يعطي الأولوية للأشخاص الذين يتمتعون بالأخلاق والإيمان والفضيلة؛
- 6- أن يضع كل شخص في منزلته وموقعه المناسبين؛
- 7- أن يصون حقوق الشعب: الفقير والغني - الحاكم والمحكوم؛
- 8- أن يحترم حقوق عائلته وأقاربه وأن يكون لهم أبا وأخا ومعينا.⁽⁶⁾

المبادئ الثلاثة الأولى - بالإضافة إلى المبدأ الخامس - هي ذات طبيعة عامة وارتباط مباشر بالدين. ويحدد كل من المبدأين الرابع والسابع العدالة باعتبارها ذات قيمة كبيرة، كما يشير المبدأ السادس إلى أن بعض الناس متساوون أكثر من غيرهم، بينما يؤكد المبدأ الثامن على أهمية جعل الأسرة الحاكمة سعيدة.

كان الوصول المباشر للإمام - وهو قاعدة هامة من قواعد النظام - نابعا من مبدأ العدالة. وعني كل من المبدأين السادس والثامن بشكل عملي بهيمنة السادة بينما بقيت المبادئ الأخرى المتعلقة بدعم الدين فضفاضة وغير محددة. ونتيجة لذلك لم يكن ممكنا تحديد هل - ومتى - أخفق الإمام في القيام بواجباته، كما لم يكن من حق أي شخص أن يشير إلى مثل هذا التقصير.

عمليا اعتبرت جهود الإمام أحمد لتحسين أوضاع شعبه مظهرا من مظاهر كرمه وليس بمثابة قيامة بواجباته ببساطة، فما كان الفقراء يحصلون عليه لم يكن حقهم وإنما كان إحسانا من الإمام:

إنه (الإمام أحمد) يخرج بنفسه بينما يتجمع الفقراء حوله من كل ناحية. ولأنه يتمتع بالتواضع والكرم والعطف فهو يجلس محاطا بالمال والملابس ويعطي كل شخص حسب وضعه بيده الشريفة، وفي بعض الأحيان كان يلبس الأطفال الأيتام بنفسه.⁽⁷⁾

كان ينظر للعلاج على نفقة الدولة باعتباره منحة، وقد نشرت عدة خطابات في الصحف اليمنية تعبر عن الامتنان للإمام على هذا العلاج.⁽⁸⁾ وحتى توفير مستشفى يضم المستلزمات الأساسية كان يعتبر نوعا من الكرم من جانب الإمام.⁽⁹⁾

حجم المشاركة الشعبية

نصت نظرية الزيدية في الحكم على أن المرشح للإمامة يجب أن يستوفي أربعة عشر شرطاً.⁽¹⁰⁾ وكان الشرط الأبرز من بين هذه الشروط هو الانتماء لأهل البيت - أي أن يكون من نسل الرسول - والقدرة على اللجوء للسيف، وامتلاك المعرفة اللازمة.⁽¹¹⁾ كان الإمام ينتخب بواسطة مجمع انتخابي يتكون من علماء الدين وكبار السادة. وضم تاريخ اليمن حالات عديدة تم فيها انتخاب ابن الإمام عند وفاة والده، ولكن قبل الإمام يحيى لم يتم أي إمام بتسمية ابنه كخليفة له أثناء حياته. كان يتم إتباع مبدأ الانتخاب بشكل عام، ولم يحتكر أي فرع من السادة الإمامة.

أسست نظرية الزيدية ديموقراطية محدودة كان فيها منصب الإمامة محصوراً في نسل الرسول. وقد فرض التأكيد على القدرة على اللجوء إلى السيف قيوداً أخرى. وفي الواقع كان ذلك يعني أن الأقوى - وليس بالضرورة الأفضل - هو من يحصل على المنصب. كذلك كان يعني أن الإمام كان يعيش في خوف وشك دائمين بسبب منافسيه الآخرين من السادة الذين لو نجح أي منهم في إزاحته سيتم الاعتراف به باعتباره الإمام الشرعي.⁽¹²⁾ كان تاريخ الأئمة - بحسب وصف مبالغ فيه لأحد الليبراليين اليمنيين - هو "إمام يقتل إماماً ثانياً، وإمام ثالث ينتقم للمقتول فيقتل القاتل، وإمام رابع يهرب لقتل الثالث، وهكذا."⁽¹³⁾

خالف الإمام يحيى التقاليد وأعلن ابنه أحمد ولياً للعهد. أبقى على المراسم الرسمية للانتخاب، لكن الانتخاب كان يشير ببساطة إلى الإذعان لقرار الإمام. شعر السادة بالاستياء من هذا التعدي على حقوقهم،⁽¹⁴⁾ وكانت ثورة 1948 إلى حد كبير انعكاساً لهذا الاستياء. رغب الإمام أحمد بدوره في الاعتراف بابنه البدر كخليفة له أثناء حياته، ومرة أخرى كان الاستياء من هذا القرار هو العامل الرئيسي في انقلاب عام 1955.

وهكذا أفسح مفهوم الديمقراطية المحدودة الطريق أمام التوريث، فتم القضاء تماماً على المشاركة الشعبية التي كانت متدنية في البداية. لم يحرم الناس فقط من إبداء أي رأي في اختيار الإمام وإنما لم يكن لهم أيضاً الحق في الحكم على الطريقة التي تدار بها الحكومة. لم يسمح بإنشاء الأحزاب واتحادات العمال، كما حظرت الإضرابات.⁽¹⁵⁾ كان احترام مبدأ الشورى نظرياً فقط لكن في الواقع احتكر الإمام السلطة. صار الإمام الذي كان غير معصوم في النظرية الأصلية معصوماً بشكل عملي. أطلق على أي معارضة اسم عصيان، وهي جريمة تركت عقوبتها لتقدير الإمام.

طبقت قاعدة "الفائز يأخذ كل شيء" فيما يخص منصب الإمام. اعتبر القمع العنيف للمعارضين تقليداً راسخاً، وكان ينظر لحكم اليمن باعتباره مهمة خطيرة تتطلب القسوة، بما في ذلك سفك الدماء.⁽¹⁶⁾ وهكذا برر الإمام أحمد إعدام شقيقين عقب انقلاب 1955 قائلاً: "لم يكن

بوسعي أن أفعل شيئاً آخر. أقسم لو أن ابني فعل نفس الأمر فلن أتردد في إعدامه وفقاً للشرعية الإسلامية.⁽¹⁷⁾ وأعلن أحمد في خطابة الشهير عام 1959:

أقسم بالله أنه لو تأكد لي بشكل موثوق أن أي شخص - أبيض أو أسود، مهما يمكن - يعكر صفو الأمن أو يهدد الضعفاء أو يعصى الأوامر أو يستخف بشرعية الله فسوف أقطع رأسه بالسيف. أكرر: ليجرب من لا يصدق: ها هو الفرس وها هي ساحة المعركة.⁽¹⁸⁾

السياسة المحافظة

كانت سياسة الإمام يحيى الثابتة هي الانعزالية، وكانت "عاطفة الحكم" لديه هي إعادة إحياء الإسلام،⁽¹⁹⁾ وآمن أن الاتصال الوثيق مع الغرباء كان سيضر بتحقيق هذا الهدف. وبالإضافة إلى ذلك فقد شهد تاريخ اليمن عدة تدخلات خارجية تم تبريرها بوجود تحالف بين القوة التي قامت بالتدخل وبين فصيل في البلاد. عزم يحيى على ألا يسمح بمثل هذه التدخلات بأن جعل من المستحيل على أي قوة أجنبية أن تجد لها موطأ قدم داخل البلاد أو أن تنشئ اتصالاً مباشراً مع أي فصيل من شعبه.

كانت السياسة المحافظة في الداخل نتاجاً طبيعياً لسياسة الانعزالية، فمع منع تأثيرات التحديث لم يجد الناس خياراً سوى الاستمرار في نمط حياتهم التقليدي. راقى السياسة المحافظة للقوى المؤثرة في المجتمع اليمني، فتنبى الزعماء الدينيون المتشددون تلك السياسة من أجل حماية الإسلام من الأفكار الجديدة التي اعتبروها كفراً.⁽²⁰⁾ كذلك أيدتها القبائل لأنها لم تتدخل في "فرديتهم المبالغ فيها"⁽²¹⁾ ولا في استقلاليتهم القوية. والأهم من ذلك هو أن السادة الذين وجدوا أنفسهم الطبقة الأكثر تميزاً في المجتمع أيدوا النظرة المحافظة من أجل منع أي تغيير في الوضع القائم.

وما بدا كسياسة أصبح بالتدريج قيمة هامة من قيم النظام الحاكم. كان ينبغي أن يكون التقدم حذراً، كذلك كان التغيير الجذري مستبعداً وأي خروج على الخط المحافظ كان يجب أن يتم تبريره والدفاع عنه:

يأخذ جلالته (الإمام أحمد) رأي وثقة العلماء والشيوخ في الاعتبار لأنه يعرف الشخصية اليمنية وتمسكها بالتقاليد والعادات... أي شخص يجهل نفسية اليمنيين سوف يعتقد على نحو خاطئ أنه من الممكن تغيير الأحوال بجرة قلم... لقد وقف اليمني المحافظ أمام الأتراك المسلمين وقاتل من أجل تقاليده وعاداته. إن حقيقة كونه عارض

خططهم لشق طرق رئيسية في صنعاء هي دليل كافي على أنه لا يقبل مشروعات التطوير بسهولة... (22)

المساواة: الحقيقة والخيال

كان نظام الإمامة عاجزا بسبب حقيقة إن الشافعيين - وهم نصف السكان - لم يعترفوا بمكانة الإمام الدينية التي كانت أساس سلطته الدنيوية، ورغم ذلك لم يبذل أي جهد لضم الشافعيين لعملية اختيار الإمام. كان من المستحيل تحت حكم الإمامة تخيل رؤية شافعي يحتل أعلى منصب في البلاد. قلل النظام من حجم المشكلة الخاصة بالشافعية ببساطة عن طريق التظاهر بأنها غير موجودة.

نودي بالمساواة بين الجميع بغض النظر عن الاختلافات الطائفية باعتبارها أحد المبادئ التوجيهية "شعب واحد وجيش واحد ودم واحد وقرآن واحد. لا تستطيع أي قوة تغيير ذلك... الكل يمنيون ولا يوجد فرق بين الزيدي والشافعي"، (23) مثلما أعلن الإمام أحمد. "نحن لا نبني طائفة أو أسرة حاكمة إنما نبني شعبا بأكمله"، (24) كما قال ولي العهد البدر الذي أكد "عن حاجة إلى الوحدة... لا شمال ولا جنوب، ولا زيدي ولا شافعي". (25) بالنسبة للحكومة الكل هم فئة واحدة وليس فئات عديدة،" (26) حسبما أكد مقال في جريدة النصر.

لكن المساواة كانت من خيالات النظام. فرغم أن الشافعيين كانوا ممثلين تمثيلا جيدا في مستويات الإدارة الدنيا لكن المناصب العليا كان يشغلها الزيديون، وعادة لم يكن هناك أكثر من ممثل واحد للملك من الشافعيين. لم يتم تعيين وزير شافعي في حكومة 1955، بينما عين واحد فقط في حكومة 1961. وكان القضاة - وهم الذين حصلوا على تعليم ديني عالي وشغلوا المناصب المهمة - من الزيديين بشكل أساسي. كذلك كانت القوات المسلحة بالكامل تقريبا من الزيديين. والأهم من ذلك هو أن الأغلبية العظمى من السادة - وهي طبقة النخبة التي قدر عدد أفرادها بـ 200 ألف - كانوا من الزيديين، فالسادة "حكموا أغلب الأقاليم والولايات وأشرفوا على جمع الضرائب وتحكموا في الوصول إلى إحسان الإمام". (27) "ليس من المبالغة القول أن اليمن تحت حكم الأئمة الزيديين كان يدار إلى حد كبير لصالح هذه النخبة...". (28) ولكن حيث يقال أن معظم الذين تمتعوا بالامتيازات كانوا من الزيديين فهذا لا يعني تأكيد الفكرة الشائعة في الكتابات الغربية أن الزيديين ككل كانوا متميزين. كان أغلبية الزيديين يعاملون بنفس الطريقة التي كان الشافعيون يعاملون بها.

2- القواعد (29)

الوصول المباشر للإمام

استلزمت مهمة الإمام في الحفاظ على الدين - بما في ذلك تطبيق العدالة - إلى جانب هيكل السلطة في النظام - والذي منح الإمام سلطة لا نظير لها في الأنظمة الأخرى - أن يكون من السهل الوصول إلى الإمام. وكانت القاعدة الأهم في اللعبة بالنسبة لنظام حكم الإمام هي أن أي نتيجة ذات أهمية تأتي فقط من الإمام. وفي نظام حد بشكل قوي من المشاركة الشعبية كان المظهر الوحيد للديمقراطية هو أنه بإمكان أي فرد في الرعية أن يتواصل بشكل مباشر مع الإمام، سواء عن طريق البرقيات أو الخطابات أو من خلال اللقاء المباشر:

إنه (الإمام أحمد) يظهر بنفسه للشعب، ويأخذ الخطابات التي تحتوي على شكاوي، ويرد عليها بيده، ويقف كل من الظالم والمظلوم متساويين أمامه، وهو يحمي حقوق الضعيف. ويمكن أن يوقف سيارته الخاصة محتاج أو أرملة أو طفل. وبينما يسير في موكبه الرسمي فإنه يرد على كل شخص لديه حاجة. وهو لا يجلس على عرش مزين بالجواهر وإنما... على مقعد حجري أمام منزله. ويدخل الشعب لرؤيته بدون عوائق أو حواجز. وهو يبتسم بينما يصفحونه... (30)

أدت سهولة الوصول إلى الإمام عدة وظائف. فقد مكنت الإمام من معرفة مطالب شعبه، ومنحت الرعية الرضا النابع من معرفة أن مطالبها تصل إلى صانع القرار الأول في البلاد، وعوضت بشكل جزئي عن الهيكل البدائي للحكومة. كذلك فقد عززت صورة الإمام باعتباره الأب الكريم الذي تظل أبوابه دائما مفتوحة أمام أولاده. ولهذا فليس من المستغرب أنه حتى أصبحت هذه القاعدة غير سارية فإن دلالتها كانت بعيدة المدى بالنسبة للنظام.

غياب الأحزاب ومجموعات المصالح المنظمة

مع تقييد حرية التنظيم كان على كل شخص تقديم مطالبه كفرد وليس كجزء من مؤسسة أكبر. ولأن القيم التي تبناها نظام الحكم لم تعترف بأية اختلافات طائفية فقد كان من غير الوارد مثلا أن تحصل مطالب الشافعيين أو الزيديين على الدعم من المؤسسات الشافعية والزيدية على التوالي.

لم يعترف النظام بأي مؤسسة تجرؤ على تمثيل أعضائها، وهكذا لم يستطع المزارعون والعمال والتجار طلب دعم أي جماعة ضغط رسمية. كان رئيس الدولة "إمام كل الشعب"، ولم يقدم أي تشجيع للمؤسسات السياسية أو الدينية أو المهنية.

كان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو القبائل التي شكلت مجتمعات مترابطة، وكانت إلى حد ما بمثابة دول داخل الدولة. لكن الصراعات الفئوية داخل القبائل، بالإضافة إلى الصراعات بين القبائل المختلفة أضعفت من الوحدة القبلية وأعاقت ظهور كتلة قبلية واحدة مؤثرة. كان بإمكان الإمام التعامل مع كل قبيلة على حدة، وهو ما فعله في الواقع.

الحد الأدنى من التوقعات

في عصر التوقعات جاهد نظام الإمام لتقليل توقعات اليمنيين إلى الحد الأدنى. أعطي الفقر والعفة أولوية على الثروة والفساد. لم يكن من الممكن تحقيق التوقعات الكبرى بدون معدل أكبر من التطور الاقتصادي الذي لم يكن فقط يقتضي إعادة تنظيم جذري للحكومة، لكنه كان يستلزم اللجوء للمساعدة الأجنبية على نطاق واسع مع ما يرافق ذلك من تأثيرات أجنبية. "أنا أفضل أن أظل أنا وشعبي فقراء نقتات على الحشائش على أن أسمح بدخول الأجانب إلى البلاد أو تقديم تنازلات مهما كان حجم الثروة أو الفائدة التي سيجلبها دخولهم إلى البلاد،" (31) كما قال الإمام أحمد. "اليمن سوف يرفض المساعدة بأي صورة وسوف يرتاب دوما في المساعدات والعقود التي يقدمها الغرب وعملاء الاستعمار، وسوف يكون راضيا بالوتيرة البطيئة بينما يحافظ على شرفه واستقلاله." (32)

وعد الإمام أحمد أنه يوما ما ستتطور البلاد وسيتم استغلال ثرواتها المعدنية. (33) وكان بإمكانه أن يضيف أنه حتى يأتي ذلك اليوم فإن المطالب المبالغ فيها ستكون مستبعدة. قال أحمد مخاطبا جنود الجيش أنه كان يود أن يرفع رواتبهم، ومضى يقول: "ولكن كيف يمكن أن نفعل ذلك بينما موارد اليمن ما زالت تخلو من حبة ذرة أو قمح وما إلى ذلك؟" (34) فإذا كانت المطالب الخاصة بزيادة الأجور قد رفضت بهذا الشكل فمن الواضح أن المطالب الأكثر طموحا والمتعلقة بالخدمات الاجتماعية أو العمل العام كانت ستذهب أدراج الرياح.

الحد الأدنى من النتائج

حتى مع أقل المطالب كان اليمنيون يقتربون من النظام مع قليل من الأمل في تحقيق تلك المطالب. كانت الحكومة عديمة الكفاءة للغاية، فالقيام بالأمور كان استثناء أكثر منه قاعدة. كان المسؤولون الحكوميون غير مباليين، وقد أضعف الفساد المستشري آلية العمل التي لم تكن تتمتع بالكفاءة أصلا.

وقد ميز نقص الكفاءة كل نشاط حكومي ووصل لمرحلة كانت حتي متطلبات الحكومة المادية تتوافر بواسطة أحد التجار.⁽³⁵⁾ وصف دبلوماسي أمريكي عمل لمدة سنتين في اليمن هذه الحالة من غياب الكفاءة بشكل ملأئم:

في بلد يضم 4.5 مليون نسمة كانت الخدمات الاجتماعية تتكون من دار للأيتام وثلاث مستشفيات كانت الظروف فيها مروعة، إلى جانب القليل من المدارس الحكومية. لم تكن هناك أي خدمات صرف صحي، وفقط في تعز وجد نظام للمياه العمومية كان يتكون من ماسورة بسعة 4/3 بوصة تصل إلى مصبات عمومية مركزية موضوعة فوق الأرض. كانت الكهرباء متوفرة لحوالي 3 في المائة من السكان، وكانت أسعارها باهظة.⁽³⁶⁾

جعلت لامبالاة وتراخي المسؤولين الحكوميين الأمور أسوأ: كانت المياه مختلطة بالطين،⁽³⁷⁾ وفقد 45 ألف جوال من الدقيق.⁽³⁸⁾ كان يتم تزوير جوازات السفر.⁽³⁹⁾ كذلك فإن بعض المشروعات العامة أسئى استخدامها وتعرضت للنهب.⁽⁴⁰⁾ وفي إشارة إلى نائب الملك في تعز قالت صحيفة سبأ أنه كان "واحدا من القلائل الذين يجدون متعة في التأثير على مصالح الناس".⁽⁴¹⁾

بالطبع من المستحيل أن نجد حكومة لا يوجد بها فساد، ولكن في اليمن كان الفساد شائعا جدا ومسلما به لدرجة أنه كان قاعدة تقريبا. "بطبيعته وفطرته لا يثق اليمني أنك ستحل مشكلته ما لم تأخذ رشوة مقدما."⁽⁴²⁾ ورغم الحرية المحدودة كانت الصحف اليمنية قادرة على لفت الانتباه إلى انتشار الرشوة.⁽⁴³⁾ وأعرب ولي العهد البدر عن قلقه من حجم الفساد داخل الحكومة.⁽⁴⁴⁾

ومع وجود مرافق محدودة للغاية كان يديرها مسئولون يتميزون باللامبالاة والفساد لم يكن غريبا أن تكون معظم المطالب في صورة مظالم ضد عمل النظام نفسه.

الهيكل الخاص بنظام الحكم

الهيكل الرئيسي للسلطة⁽⁴⁵⁾

لم يكن هناك أي نظام قانوني أو إداري يحدد كيفية تنظيم الإدارة الخاصة بالسلطة في اليمن، ومحاولة تطبيق مبادئ الإدارة المدنية على طريقة الإدارة التي كانت سائدة في اليمن هي محاولة لا طائل منها. حين تولى الإمام يحيى السلطة فإنه ورث بعضا من أساليب الحكم من

الأتراك واستخدم بعض الأنظمة التقليدية لكنه أدخل عليها بعض التحسينات. وبقي هذا الترتيب ساريا - مع بعض التعديلات الطفيفة - خلال فترة حكم الإمام أحمد.

إداريا كانت البلاد مقسمة إلى 7 لواءات (محافظات) يرأس كل منها نائب. وكان اللواء يتكون من عدة أفضية (مديريات) كانت بدورها مقسمة إلى عدة نواحي (مدن) وعزل (قرى). كان الرؤساء الإداريون للمديريات عاملين (ولاة) بينما رأس القرى الشيوخ. وفي كل تقسيم إداري كان المسؤولون الأكثر أهمية - بجانب الرئيس الإداري - هم القضاة وجامع الضرائب ورئيس الشرطة وأمين الخزانة - وهو المسئول عن الفرع المحلي للخزانة العامة.⁽⁴⁶⁾ على المستوى الوطني كان يساعد الإمام هيتان: الوزارة والمجلس الملكي. وكانت المناصب الوزارية شرفية فقط لأنه لم توجد أية وزارات بالمعنى المفهوم للكلمة. وكان أعضاء المجلس الملكي مساعدين شخصيين للإمام ولم يمنحوا أي سلطات محددة.

يمكن ملاحظة ملمحين مثيرين للاهتمام في الهيكل الخاص بالسلطة. أولا: لم يعكس هذا الهيكل بوضوح هيكل السلطة الحقيقي، وهو ما يظهر في حقيقة أن القبائل رغم قوتها وأهميتها السياسية لم يكن لها نصيب معادل لذلك في هيكل السلطة.⁽⁴⁷⁾ وثانيا: أن دور الإمام كان هاماً لدرجة أن أي دراسة للحكم في اليمن تصبح دراسة لسلطات الإمام وكيف كان يمارسها.

الدور الفريد للإمام

من الصعب تماما من الناحية العملية إيجاد نظام يتمتع فيه شخص واحد بكل هذه السلطات مثلما كان الحال بالنسبة للإمام. في النظام اليمني كانت السلطات التشريعية والقضائية والإدارية متركزة في يديه. بصفته التشريعية كان يقوم بتفسير الشريعة الإسلامية،⁽⁴⁸⁾ وتوجيه المحاكم،⁽⁴⁹⁾ كما كان يمتلك السلطة الوحيدة لإصدار المراسيم والقوانين. وبالنسبة لوظيفته القضائية كان يقوم بتعيين القضاة والنظر في بعض القضايا بنفسه.⁽⁵⁰⁾ كذلك احتفظ لنفسه بحق الاستئناف النهائي. وكرأس السلطة التنفيذية كان يعين كل مسئول في الحكومة ويراجع كل المصروفات ويهتم بأدق تفاصيل الإدارة.⁽⁵¹⁾

لم يتم تفويض أي شخص في هذه الوظائف، وأصر الإمام أحمد مثل والده على القيام بتلك الوظائف لأقصى درجة ممكنة. وقد لاحظ وروي زوار اليمن هذه السمة بقدر مبرر من الدهشة. كان يتم توزيع المخزون بواسطة الإمام نفسه.⁽⁵²⁾ "كان الملك يحدد شخصيا ما إذا كان مدرس في مدرسة ما في مديرية نائية يحتاج إلى عشرة أوعية إضافية من الحبر لفصله أم

لا".⁽⁵³⁾ وبالنسبة للوصفات الطبية التي تعطى للمرضى الذين يتلقون العلاج في المستشفيات على نفقة الدولة كان يجب أن يصدق عليها الإمام بنفسه.⁽⁵⁴⁾

لم يكن هذا مبالغاً فيه. توجد أدلة كافية للإشارة إلى حجم ولع الإمام بالتعامل مع كل التفاصيل. حفر بئر،⁽⁵⁵⁾ وتوسعة مبنى حكومي،⁽⁵⁶⁾ وإصلاح مدرسة،⁽⁵⁷⁾ - كل ذلك احتاج لأوامر الإمام. ذات مرة نشرت صحيفة سبأ منشدة من ممرض يطلب من الإمام قبول استقالته.⁽⁵⁸⁾

كان غياب القوانين الإدارية، إلى جانب الحدود غير الواضحة لسلطة الإمام، يعني عملياً أن سلطات الإمام لم تمارس وفقاً لأساليب محددة. لم تكن المطالب تسير عبر قنوات منظمة حتى تصل إلى الإمام. كذلك لم تكن أوامر الإمام تنقل عبر إجراءات رسمية. وهكذا لم يكن من غير المعتاد بالنسبة للإمام أن يوجه أحد الولاة مباشرة ويتجاهل رئيسه الإداري - نائب الملك.⁽⁵⁹⁾ كذلك كان من الشائع أن يتجاهل أي عضو في النظام المسؤولين الأقل ويرفع طلبه مباشرة إلى الإمام.⁽⁶⁰⁾

التوقعات الثقافية فيما يتعلق بالأدوار الخاصة بالسلطة

علت التجارب التاريخية أعضاء النظام السياسي اليمني ألا يتقوا في كل السلطات. كانت الصراعات المتواصلة على السلطة في اليمن تنتهي دائماً بنخبة تحل محل نخبة أخرى، ولم يؤد ذلك لأي نتائج مفيدة بالنسبة لأعضاء النظام السياسي ككل. خلال العقدين الأولين من القرن العشرين كانت الإمامة مشغولة بضمان استقلال البلاد، وفي العقود التالية انشغلت بتدعيم سلطة الحكومة المركزية. لم يكن هناك وقت لكي تتأصل فكرة أن الحكومة لها مهمة إيجابية أبعد من مبدأ دعه يعمل الخاص بحماية الحدود وحفظ السلام الداخلي. وحاول النظام في البداية التصدي لتلك الفكرة عندما اندلعت الثورة.

لم يشعر من شغل منصب الحكم بأنه ملزم بالعمل نحو تحقيق رفاهية شعبه، كما لم يتوقع الشعب منه أن يفعل ذلك. لم يكن من قبيل المصادفة اللغوية أن الالتماسات التي تلقاها الإمام كان يطلق عليها دائماً اسم شكاوي. احتاج حفظ النظام العام إلى الأموال التي كان يتم الحصول عليها فقط من خلال جمع الضرائب. وهكذا لم يكن مسئولو الحكومة يبدون أكثر من مجرد "سلطة لفرض الضرائب".⁽⁶¹⁾ ويصنف هيوارث دن مسئول الدولة إلى ثماني فئات:

1- المقيمون أو عاملو المحافظات

2- القضاة

3- جامعوا الضرائب

4- حراس السجن

5- مسئولو الجمارك

6- القوات المسلحة

7- أمناء الخزانة

8- المدرسون

ويمضي معلقاً:

من بين الطبقات الثمانية كان هناك سبعة منخرطون في الأعمال الأكثر أهمية المرتبطة بجمع الضرائب: 3 و 5 يجمعون الضرائب؛ 6 يتابعون المتهربين من الضرائب حتى يدفعوا أو يتم القبض عليهم وتسليمهم إلى 2 و 4؛ 1 يقدمون تقارير ويسلمون إيصالات الضرائب إلى الإمام.⁽⁶²⁾

هذا يتجاهل حقيقة أن أفراد القوات المسلحة كانوا أيضاً مسؤولين عن الأمن وأنه كان على القضاة حل القضايا. ولكن هذه الفقرة تساعد في توضيح نوعية التوقعات الثقافية المرتبطة بالأدوار الخاصة بالسلطة.

4- أهم ثلاثة أشخاص شغلوا أعلى منصب في السلطة

يتناول هذا الجزء أهم ثلاث شخصيات شغلت أعلى منصب في السلطة على مستوى اتخاذ القرارات، وقد تم اختيارهم ليس فقط لأنهم يضمون اثنين من الأئمة في الفترة محل الدراسة ولكن لأن كل واحد منهم مثل اتجاهها قويا في النظام. كان البدر يرمز إلى الاتجاه الليبرالي الذي هدف لتحديث الإمامة بطريقة سلمية وتدرجية، وكان الحسن هو المتحدث الرسمي باسم المحافظين الذين أرادوا إبقاء الوضع القائم بكل تفاصيله، بينما مثل أحمد جهود النظام للتكيف مع الضغوط المتباينة للاتجاه الليبرالي والاتجاه المحافظ والاتجاه الثوري بدون تغيير طبيعة النظام. وباختصار رغب البدر في إدخال تغييرات في كل من السياسات والنظام، في حين لم يرد الحسن أي تغييرات في أي منهما، بينما كان أحمد على استعداد لتجربة سياسات جديدة ولكن ليس هياكل جديدة للسلطة.

أحمد

ولد أحمد - وهو الابن الأكبر للإمام يحيى - عام 1895،⁽⁶³⁾ وقضى طفولته المبكرة مع جده الإمام محمد. تلقى أحمد تعليماً مكثفاً في الدين والأدب على أيدي معلمين يزيديين وشافعيين، وفي عام 1923 تمت تسميته ولياً للعهد.⁽⁶⁴⁾

عين الإمام يحيى أحمد كقائد عسكري واعتمد عليه كثيرا أثناء مرحلة توحيد البلاد. وأخذت الحملات أحمد إلى الكثير من المناطق القبلية المتمردة في أنحاء البلاد.⁽⁶⁵⁾ وقد حقق أعظم شهرة ما بين عامي 1928 و1929 حين سحق تمرد قبيلة الزرانيق. وخلال تلك الحملات اكتسب شهرته بالشجاعة والقسوة والصمود، والتي استمرت حتى أيامه الأخيرة. لم تكن علاقة أحمد بوالده جيدة دائما، وهو أمر لا يبدو غريبا في ضوء شخصيتيهما المسيطرتين. في بعض الأحيان - على سبيل المثال أثناء الحروب السعودية-اليمنية - طفت على السطح خلافات قوية، ومع ذلك ظل إعجاب وإخلاص أحمد لوالده ثابتين، كما أن الأب لم يدخر جهدا لضمان خلافة أحمد له.

اتحدت قسوة أحمد عقب ثورة 1948 وانقلاب 1955 مع دوره العسكري السابق لينتجا صورة الطاغية المتعطش للدماء. وعزز مظهره - الذي كان قويا ومخيفا - من تلك الصورة. وبالإضافة إلى ذلك فقد جرى التركيز على غرابة أطواره بشكل مبالغ فيه، حيث أحاطه إيمان بعض من رعاياه الأكثر جهلا بقدراته الخارقة⁽⁶⁶⁾ بهالة من المهابة والغموض. وكان الأثر الكلي لذلك أن أصبح ينظر إلى أحمد بشكل عام على أنه شخصية من ألف ليلة وليلة - ملك-كاهن غير عقلاني "كان يفترض بصورة شائعة أن هوايته المفضلة هي تنظيم ومشاهدة عمليات قطع الرؤس."⁽⁶⁷⁾

ورغم هذا الشعور الشائع فإن شخصية أحمد كانت من أكثر الشخصيات تعقيدا حيث اجتمعت فيها القسوة والرقّة جنبا إلى جنب. أهدر طاقته الهائلة في التفاهات، ومنعه شكه وعدم ثقته من تكريس نفسه لمهام القيادة البناءة. كان أحمد ليصبح إماما عظيما في المراحل الأولى عندما كانت قيادة المخلصين ضد الأعداء الخارجيين والداخليين هي كل ما كان متوقعا من الإمام أن يقوم به، ولكن كقائد للبلاد في مرحلة حديثة عانى أحمد من قصور خطير. لم يكن هناك أي شيء في التدريب الذي حصل عليه يؤهله لكي يستوعب مبادئ مثل التحديث أو الرفاهية أو التطور الاقتصادي بشكل كامل. لم يحصل أحمد على فائدة السفر⁽⁶⁸⁾ أو القراءة المتنوعة. كان تعليمه مقتصرًا تماما على الدين والأدب.⁽⁶⁹⁾ ربما لم يكن أحمد "نسخة طبق الأصل من والده"،⁽⁷⁰⁾ لكنه آمن بشدة بأنه يستطيع تحقيق تطور حقيقي داخل الإطار الذي رسمه والده. استمر شبح النفوذ الأجنبي الذي كان يطارد والده في مطاردته، ويتكشف ارتبأكه ولا مبالاته بصورة لافتة للنظر في رده على مستشار كان يحثه على إجراء إصلاحات: "ماذا تريد منا أن نفعل؟ نحضر النصارى إلى هنا؟"⁽⁷¹⁾

لا يمكن إنكار حقيقة أن أحمد أراد فعلا تحسين أحوال مواطنيه، لكن أوجه قصوره الشخصي و- الأهم من ذلك - القيود التي فرضها عليه النظام الذي أراد ان يحتفظ به بلا مساس

أعاقته في كل خطوة. كان نجاحه في الحفاظ على النظام انتصارا باهظ الثمن. لم يكن عليه فقط اللجوء إلى القمع المفرط، لكن بمجرد أن اختفي وجوده المهيمن من المشهد كان على ابنه أن يجني الحصاد المر.

البدر

ولد محمد البدر - أكبر أبناء الإمام أحمد - عام 1928. طلق أحمد أم البدر بينما كان لا يزال صغيرا، وقضى معظم طفولته بعيدا عن والده. تلقى البدر التعليم الديني على يد مدرسين خصوصيين، وحين كان في فترة المراهقة بدأ يميل إلى الكتب والمجلات الحديثة. ولأنها كانت نادرة ويصعب الحصول عليها في ذلك الوقت بدأ أحمد نعمان - والذي أصبح فيما بعد أحد القادة الليبراليين - يهتم بتعليم الأمير الصغير ويقترح عليه ما يقرأه.

ومن خلال قراءاته بدأ البدر تدريجيا يتبنى الأفكار الليبرالية، وفي الأربعينات ترك اليمن في رحلة طويلة أخذته إلى لبنان ومصر. تلقى في مصر دورة في أكاديمية عسكرية، وحين أنهاها تلقى تدريباً أكثر ضمن الحرس الملكي المصري، وفي نفس الوقت كان يحضر بعض المحاضرات في جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة الآن) كمستمع⁽⁷²⁾. وقد عززت هذه الخبرات نظريته الليبرالية وجعلته عازما على فعل أقصى ما في وسعه لتحديث اليمن.

وأثناء ثورة 1948 خضع البدر الذي كان في صنعاء للشوار. وبعد تولي أحمد السلطة عين البدر نائبا للملك في الحديدة. وفي بداية الخمسينات ترسخت سمعته كأمر مستتير ذي عقلية حديثة، وبدأت العناصر الليبرالية في الانضمام إليه. وفي عام 1955 أصبح البدر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للدفاع والشئون الخارجية. سافر كثيرا وأخذته رحلاته إلى عدة دول في الشرق الأوسط والكتلة الشرقية. حولته اتصالاته بالرئيس عبد الناصر إلى نموذج لفكرة الزعيم المصري الخاصة بالقومية العربية التقدمية، وهي القضية التي تبناها بحماس.

لم يكن البدر قادرا على ممارسة عقيدته الليبرالية إلا في مجال العلاقات الخارجية، حيث لم يمنحه الإمام أحمد أي قدر من السلطة إلا خلال فترة قصيرة عام 1959 حين كان الإمام في اليمن. وخلال تلك الفترة أدخل البدر بعض الإصلاحات، ولكن التجربة توقفت حين عاد والده وتراجع عن كل الإصلاحات. وفقط عند وفاة أحمد تولى البدر السلطة، ولكن حينها كان الوقت قد فات، فبعد توليه السلطة بأسبوع أطاحت الثورة بنظام حكمه.

ولأنه كان خجولا ومهذبا فقد طغت عليه شخصية والده المسيطرة. كان مستتيرا بدرجة أكبر مما يسمح له بتبني وجهة نظر والده، وكان مخلصا بقدر أكبر مما يمكن أن يسمح له بالتمرد. حاول البدر الاحتفاظ بدعم والده وفي نفس الوقت الإبقاء على صورته الليبرالية.⁽⁷³⁾

وخلال ذلك أثار استياء المحافظين وشك الليبراليين الذين أصبحوا أكثر ثورية. وفي نهاية المطاف لم يكن ثوريا بما يكفي لجذب الثوار ولا محافظا بما يكفي للحصول على الدعم الكامل للعناصر المحافظة في النظام.

الحسن

ولد الحسن - ثالث أبناء يحيى - عام 1902، وخلال مسيرته السياسية كان محافظا شديد التعصب.⁽⁷⁴⁾ عين رئيسا للوزراء ونائبا للملك في صنعاء عند تولي أحمد السلطة، واستخدم الحسن نفوذه الكبير في معارضة التحديث.⁽⁷⁵⁾ ورغم أنه لم يشترك في انقلاب عام 1955 فقد أعفي من مناصبه بعده بفترة وجيزة. وحتى عام 1962 أبقى الحسن خارج البلاد في مهمات دبلوماسية باستثناء زيارات قصيرة، حيث قضى معظم وقته في نيويورك كرئيس للبعثة اليمنية في الأمم المتحدة.

لم تكن أهمية الحسن نابعة من شخصيته التي كانت محافظة وبلا هوية، وإنما من دوره باعتباره الشخص المفضل للمحافظين. جذبه تقليديته الثابتة لدعم القوى الأكثر محافظة: زعماء القبائل والعلماء وغالبية السادة. أدرك أحمد الخطر المحتمل الذي مثله الحسن كمنافس للبدر، ونجح في تحييده فقط من خلال إبقائه بعيدا عن البلاد.

(1) "نظام الحكم كمجموعة من القيود المفروضة على التفاعل السياسي في كل الأنظمة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مكونات: القيم (الأهداف والمبادئ)، والقواعد، وهيكل السلطة"،

David Easton, A Systems Analysis of Political Life (New York: John Wiley & Sons. Inc., 1967), p. 193.

(2) القيم "تعمل كحدود واسعة فيما يخص ما يمكن أن يعتبر مسلما به في توجيه السياسة اليومية بدون انتهاك المشاعر العميقة للقطاعات المهمة في المجتمع"، نفس المرجع. إنها "تفرض قيودا على الأهداف التي يمكن تكريس الطاقات والموارد لها." نفس المرجع، ص 194.

(3) جمال الدين هيوارث دن، اليمن (القاهرة: مكتبة النهضة، 1952)، ص 17.

(4) A.H. Sharafaddin, Yemen (Rome: Daily American Commercial Printing Section, 1961), p.58.

(5) النصر، 14 أغسطس، 1955، ص 8.

(6) انظر النصر، 26 أكتوبر، 1961، ص 16.

(7) النصر، 4 يناير، 1958، ص 8.

(8) انظر، على سبيل المثال، النصر، 2 فبراير، 1957، ص 3.

(9) النصر، 16 فبراير، 1956، ص 2.

(10) أحمد حسين شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي المجلد الرابع. (القاهرة: مطبعة الكيلاني الصغير، 1967، ص 160-162؛ ناجي حسن، ثورة زيد بن علي (بغداد: مكتبة النهضة، 1966)، ص 167.

(11) R. Strothman, "Zaidiya", Encyclop.edia of Islam vol. IV. (London: Luzac & Co., 1929), p. 1179.

(12) نفس المرجع.

(13) عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن، (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 70.

(14) يقول محمد نعمان أن كل سيد في اليمن فكر في نفسه باعتباره إماما محتملا. كان ابن أحد السادة يتحدى غيره من أبناء السادة أن يقسموا أنهم لن يصبحوا أئمة لكن لا يقبل أي منهم التحدي. انظر محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965)، ص 38.

(15) محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1965)، ص 92.

(16) يتضح هذا الاعتقاد جيدا في قصة من الفلكلور اليمني. طلب ملك حميري وهو على فراش الموت من ابنه أن يزور إحدى الساحرات ويفعل كل ما تطلبه منه. وحين رآها الابن طلبت منه أن يجلس على كرسي ملئ بالثعابين وأن يأكل من طبق يحتوي على رؤوس مقطوعة وأن يشرب الدماء – وقد رفض الابن أن يقوم بأي من هذه الأمور. ثم طلبت منه أن يقتل أول شخص يراه في قصر والده. وعند عودته كان أول شخص يراه هو شقيقه فلم يقتله. وحين حكي الابن كل هذا لوالده قال له: "أنت أخطأت حين لم تنفذ أوامر الساحرة. لقد حاولت أن تجعلك تفهم عن طريق التشبيهات. ألا تعرف أن الشخص الذي يريد أن يحكم حمير (أي اليمن) لابد أن يتحمل لدغ الثعابين وأن يسفك الدماء ويصادر الممتلكات؟ وبالنسبة لأخيك لو لم تقتله أنت فسوف يقتلك هو." انظر أحمد محمد الشامي، قصة الأدب في اليمن (بيروت: المكتب التجاري،

(1965)، ص 23. ويتضح استمرار هذا التقليد في شكوى الإمام أحمد المتكررة في السر "أنا جالس على ثعابين"؛ أحمد حسن الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.

(17) النصر، 14 أغسطس، 1955، ص 8.

(18) النصر، 15 أغسطس، 1959، ص 8. الجملة الأخيرة تمثل تحدياً للنزال.

(19) Harold, F. Jacob, Kings of Arabia (London: Mill's & Boom Ltd., 1923), p. 136.

(20) في البداية اعترض الزعماء الدينيون على استخدام الإمام لسيارة ذات محرك؛ انظر سلفاتورى أبونتي، حديث اليمن السعيدة، ترجمة طه فوزي، (بيروت: دار الآداب، لا يوجد تاريخ)، ص 108.

(21) Harold, Ingrams, The Yemen (London: John Murray, 1963), p. 36.

(22) النصر، 13 سبتمبر، 1955، ص 4.

(23) النصر، 3 سبتمبر، 1956، ص 8.

(24) النصر، 4 يوليو، 1959، ص 12.

(25) النصر، 30 يوليو، 1959، ص 2.

(26) النصر، 10 نوفمبر، 1955، ص 7.

(27) William R. Brown, "The Yemeni Dilemma" The Middle East Journal (Autumn, 1963), p. 35.

(28) Manfred, W. Wenner, Modern Yemen (Baltimore: The John Jop.kins Press, 1967), p. 33.

(29) القواعد "تحدد أنواع الإجراءات المتوقعة والمقبولة في معالجة وتنفيذ المطالب": Easton، المرجع السابق، ص 193.

(30) النصر، 4 يناير، 1958، ص 8.

(31) نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا يوجد تاريخ)، ص 228.

(32) النصر، 13 سبتمبر، 1955، ص 1.

(33) الإيمان، 15 ديسمبر، 1955، ص 1.

(34) النصر، 14 أغسطس، 1955، ص 8.

- (35) يذكر براون أنه في عام 1961 "طلب من أحد التجار إنشاء مبنى السفارة اليمنية في صنعاء"؛ Brown، المرجع السابق، ص 358.
- (36) نفس المرجع، ص 357-358.
- (37) سبأ، 28 يونيو، 1956، ص 8.
- (38) سبأ، 10 سبتمبر، 1959، ص 8.
- (39) سبأ، 9 أكتوبر، 1959، ص 5.
- (40) النصر، 17 مارس، 1957، ص 6.
- (41) سبأ، 7 مارس، 1957، ص 1.
- (42) سبأ، 8 أبريل، 1960، ص 3.
- (43) انظر، على سبيل المثال، سبأ، 17 مارس، 1960، ص 2.
- (44) النصر، 21 مايو، 1959، ص 8.
- (45) يشير هيكل السلطة إلى "الأنماط الرسمية وغير الرسمية التي توزع وتنظم فيها السلطة فيما يتعلق باتخاذ وتنفيذ القرارات - الأدوار وعلاقاتها التي توزع وتمارس السلطة من خلالها"، Easton، المرجع السابق، ص 193.
- (46) القطار، المرجع السابق، ص 89.
- (47) انظر أدناه ص 148.
- (48) على سبيل المثال، انظر لقرار الإمام بمنع الزواج بين الأقارب بالتبني في سبأ، 5 يناير، 1961، ص 7.
- (49) بعد محاولة اغتيال الإمام أحمد عام 1961، أخبر قضاة تعز الذين أحيلت إليهم القضية لاحقاً أن المحاولة كانت مدبرة، النصر، 16 أبريل، 1961، ص 1.
- (50) لقضية قدمت للإمام انظر سبأ، 30 أغسطس، 1956، ص 4.
- (51) محمد عنان غالب، اليمن (بيروت: دار الكتاب العربي، 1966)، ص 75.
- (52) Heather Seager, "Guests of the Imam", Blackwood's Magazine, (June, 1955), p. 484.
- (53) Claudine Fayein, A French Doctor in the Yemen, translated by Douglas McKee, (London: Robert Hale Ltd., 1957), p. 48.
- (54) إيفا هوك، سنوات في اليمن وحضرموت، ترجمة خيرى حماد، (بيروت: دار الطليعة، 1962)، ص 115.
- (55) النصر، 21 أكتوبر، 1956، ص 3.

- (56) نفس المرجع.
- (57) النصر، 20 ديسمبر، 1956، ص 3.
- (58) سبأ، 13 ديسمبر، 1956، ص 3.
- (59) انظر، مثلاً، النصر، 25 أبريل، 1957، ص 6.
- (60) انظر أدناه ص 59-60.
- (61) غالب، المرجع السابق، ص 107.
- (62) J. Heyworth-Dunne, "The Yemen", Middle Eastern Affairs, (February, 1958), p. 55.
- (63) النصر، 4 يناير، 1958، ص 1.
- (64) النصر، 5 ديسمبر، 1957، ص 8.
- (65) أحمد محمد الشامي، إمام اليمن أحمد حميد الدين، (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1965)، ص 64-81.
- (66) انظر
- Peter Sommerville-Large, Tribes and Tribulations, (London: Robert Hale, 1967), p. 27.
- (67) Ingrams, op. cit., p. 1.
- (68) حدث أول اتصال لأحمد بالحضارة الحديثة حين زار عدن عام 1946. كان متأثراً بما رآه هناك لدرجة أنه عند عودته أصبح مقتنعا بفائدة إدخال الكهرباء وشق الطرق الحديثة.
- (69) حوارات أحمد مع الضيوف والرفقاء، مثلما أوردت الصحف اليمنية، تناولت باستمرار الأمور الأدبية أو الدينية.
- (70) الإيمان، 13 يناير، 1956، ص 2.
- (71) نعمان، المرجع السابق، ص 74.
- (72) الإمام أحمد البدر، مقابلة، الطائف، 18 - 12 - 1969.
- (73) من هنا جاء التعليق أنه "حين يتحدث مع الليبراليين يلعن الإمام وحين يتحدث مع الإمام يلعن الليبراليين"؛ انظر البيضاني، المرجع السابق، ص 222.
- (74) B. W. Seager, "The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (July – October, 1955), p. 224.
- (75) انظر أدناه ص 101-102.

الفصل الثالث

المطالب

لا تجعل البيانات المتوفرة ولا نطاق الدراسة من الممكن القيام بتحليل شامل للمطالب⁽¹⁾ في النظام السياسي اليمني، وسيقتصر هذا الفصل على تلك المطالب الموجهة للإمام وطريقة تعامله معها. في أي نظام آخر سيكون قصر الدراسة على تعامل أعلى سلطة لصنع القرار مع المطالب أمرا غير ملائم تماما، لكن ليس هذا هو الحال في النظام السياسي اليمني، فكما رأينا كان دور الإمام شاملا لدرجة أن الأفراد كانوا يميلون إلى أن يوجهوا إليه شخصيا تلك المطالب التي كانت لتأخذ مسارا مختلفا في أنظمة أخرى. وبالطبع فإن هذا لا يعني أن كل

المطالب كانت تتحول إلى قرارات ملزمة من الإمام نفسه، لكنه يعني أن التمايز الهيكلي في اليمن لم يصل إلى مستوى التعقيد الذي تسير فيه هذه المطالب عبر سلسلة من الآليات المنظمة قبل أن تصل نسبة صغيرة منها فقط - تلك التي تمت معالجتها بشكل رسمي - إلى الإمام. الكثير من تلك المطالب تفادي كل أنواع التنظيم وانتقل مباشرة من أصحابها إلى الإمام. "يجب أن يوجه أصحاب المطالب أنفسهم نحو النظام الفرعي الذي يصدر القرارات السلطوية." (2) وقد كان الكثير من اليمنيين يعتقدون أن الإمام كان يمثل هذا النظام الفرعي في اليمن.

لم تكن هناك أي حواجز هيكلية تمنع تحول الرغبات إلى طلبات. (3) وبمجرد تسييس المطالب كان الأفراد بشكل غريزي تقريباً يلجأون إلى الإمام متوقعين قرارات ملزمة. (4) وكانت هناك أسباب عديدة لهذا. تقليدياً منذ إدخال نظام الإمامة في اليمن تمتع الإمام بالحرية في التصرف في أموال الزكاة - أي عائدات الضريبة الدينية التي كانت تمثل أهم مصدر لإيرادات الدولة. وكان يجب أن يتم تقديم أي مطلب يشتمل على تخصيص أموال لأي غرض إلى الإمام، واستمر هذا التقليد حتى القرن العشرين. كان الإمام هو المسؤول الوحيد عن إدارة الخزانة والتي كان - لجميع الأغراض العملية - من الصعب تمييزها عن أمواله الخاصة. وهكذا فإن أي قرار يتضمن إنفاق المال كان يجب أن يصدره الإمام. وبالإضافة إلى ذلك شجعت قاعدة الوصول المباشر للإمام الأفراد على تجاهل المسؤولين الأدنى وتقديم طلباتهم إلى الإمام مباشرة. كان المسؤولون يعتبرون فاسدين وغير مباشرين، بينما كان الإمام تقياً وعادلاً؛ ولأن عدداً كبيراً من المطالب شمل شكاوى من السلطات، كان فقط من الطبيعي التواصل مع الشخص الذي كان قادراً وحده على معالجة الشكاوى. ولا داعي للقول أن النتيجة كانت وضع عبء هائل على عاتق الإمام وجعل الأداء القوي المستمر من جانبه ضرورياً لعمل النظام بأكمله. وفي كل مرة كان أداء الإمام قاصراً كان النظام يعمل تحت ضغط.

تأثير القواعد الثقافية

رغم أن قاعدة ثقافية واحدة - الوصول المباشر للإمام - كانت تميل لتشجيع زيادة عدد المطالب فإن القواعد الثقافية الأخرى عملت في اتجاه معاكس. ومثلما أشرنا في الفصل الثاني فقد حاول النظام تقليل المطالب عن طريق خفض التوقعات إلى الحد الأدنى. (5) استبعدت النظرة المحافظة المطالب الخاصة بالتغيير الجذري، وكذلك لعب الدور الدين دوراً حيوياً في كبح جماح الطلبات، فالرغبات التي اعتبرت متعارضة مع الإسلام - مثل الرغبات المتعلقة بتحرير المرأة أو إدخال دور السينما أو البارات - لم يكن لها نصيب في أن تتحول إلى مطالب. وكانت قيم النظام تميل إلى منع مطالب معينة. وهكذا لم يكن من المسموح التعبير عن المطالب الخاصة

بتمثيل أوسع أو حرية تنظيم أكبر أو تقليص سلطات الإمام، ولكن حقيقة أن تلك المطالب كان ينظر إليها باستنكار لا تعني أنها لم تكن موجودة، وإنما كان يتم التعبير عنها عادة عن طريق العنف والأنشطة الثورية.

وتأثير القات يستحق التأمل، فمضغ أوراق القات كانت ولا تزال عادة منتشرة لدى الصغار والكبار، الرجال والنساء، أفراد القبائل وسكان المدن. ورغم أن الجهات الطبية لم تتفق على التأثير الدقيق للقات فإن مستخدميه يقولون أنه يسبب شعورا بالنشوة والسعادة. ومضغ القات هو عملية تستغرق وقتا حيث تبدأ بعد الغداء وتستمر حتى وقت متأخر من الليل. ولم تتم دراسة التداعيات السياسية لهذه العادة، ولكن يبدو من المعقول القول أنه طالما كان تعاطي القات يستهلك وقتا طويلا كان يمكن قضاء جزء منه في الأنشطة السياسية - ومن بينها صياغة المطالب - فإن تعاطيه ساعد على تقليل حجم المطالب. وبالإضافة إلى ذلك فمن خلال إيجاد شعور بالنشوة والسعادة وبالعالم خيالي يكون فيه كل شيء مثاليا كان القات يميل إلى جعل تأخر اليمن أكثر احتمالا قليلا، وكذلك جعل التغييرات الجذرية والمطالب الخاصة بتلك التغييرات تبدو أقل إلحاحا - إن لم يكن أقل ضرورة.⁽⁶⁾

عدم ملائمة القنوات الخاصة بالمطالب

كانت المطالب تصل للإمام عبر ثلاث قنوات: اللقاء المباشر، والبرقيات والخطابات، والصحافة. كان بإمكان كل شخص في اليمن التواصل مع الإمام وتقديم مطالبه له نظريا. مثل اللقاء المباشر قناة كان بإمكان جميع أصحاب المطالب استخدامها ولكن عمليا كانت هناك عدة جوانب قصور في تلك القناة. كان على الشخص الراغب في مقابلة الإمام شخصيا السفر إلى مقر إقامة الإمام في تعز أو الحديدة. كان السفر داخل اليمن صعبا ومكلفا، وبالإضافة إلى ذلك كان عليه أن ينتظر جلسة عامة يسمح للجميع بحضورها. كانت مثل تلك الجلسات العامة تعقد بمعدل مترجع بينما كبر الإمام أحمد في السن وصارت صحته أضعف. وحتى حين كانت تلك المطالب تنجح الوصول إلى الإمام فإن القيود الخاصة بالوقت جعلت من المستحيل على الإمام أن يمنح الاهتمام اللازم لكل مطلب.⁽⁷⁾

كانت الخطابات تمثل وسيلة أخرى لنقل المطالب إلى الإمام، لكن إرسال خطابات تضمن نفقات في صورة طوابع إلى جانب، في بعض الأحيان، أجرة الكاتب العمومي الذي كان يكتب الخطاب. في ظل الظروف البريدية في اليمن لم يكن هناك أي ضمان بوصول آمن - ناهيك عن سريع - للخطاب. لم يكن لدى الحكومة اليمنية نظام إيداع أو أرشفة منظم، وهكذا فحتى لو وصل الخطاب إلى الإمام كان من الممكن تماما - بل وحتى من المحتمل - أن يهمل أو

يفقد نهائياً. ضمنت البرقيات وصولاً أكثر أمناً وسرية بدرجة كبيرة لكنها كانت أكثر تكلفة. لو كان هناك رد متوقع من الإمام كان يجب أن تكون البرقية مصحوبة برد مدفوع مقدماً.⁽⁸⁾ وقد أدى هذا الشرط فائدة مزدوجة حيث دعم إيرادات الحكومة كما قلل من حجم المطالب.

قدمت الصحافة قناة أخرى. بدأت صحيفة الإيمان الحكومية عام 1926 واستمرت حتى عام 1937. وظهرت صحيفة الحكمة عام 1934 وتوقف إصدارها عام 1940. وفي عام 1948 أسس الإمام صحيفة رسمية أخرى - النصر - استمرت في الظهور حتى انهيار النظام. وإلى جانب ذلك كانت هناك صحيفة سبأ وهي صحيفة خاصة بدأت في الظهور في بداية الخمسينات. وكذلك كانت جريدة الطلعة جريدة أخرى صدرت لفترة قصيرة ما بين 1959-1960.⁽⁹⁾ نجحت الصحافة في توفير قناة تنقل المطالب خلالها. وهكذا يجد المرء مطالب بخدمات عامة أفضل،⁽¹⁰⁾ وضوابط بلدية وطبية أكثر صرامة،⁽¹¹⁾ وإجراءات أمنية أكثر كفاءة،⁽¹²⁾ وسياسات اقتصادية أكثر فاعلية.⁽¹³⁾ لكن الصحافة كقناة لتوصيل المطالب كانت تعاني من عدة مشكلات؛ كان جمهور القراء محدوداً بدرجة كبيرة، ولم يكن هناك صحفيون محترفون، وكان التهديد خطراً دائماً.⁽¹⁴⁾ أجبرت صحيفة الطلعة⁽¹⁵⁾ - والتي كانت أجراً الصحف اليمنية - على التوقف بعد إصدار 11 عدداً فقط.

كان من الواضح أنه مع كل هذه الجوانب من القصور في القنوات لم تستطع الكثير من المطالب الوصول إلى الإمام. حاول البدر تحسين قدرة القنوات عن طريق إنشاء "مجلس تمثيلي" لمساعدته عام 1959، إلى جانب إدخال حزمة من الإصلاحات شملت مجالس بلدية منتخبة عام 1962. في البداية قضى الإمام أحمد على تلك الإصلاحات ثم أطاحت الثورة بالنظام نفسه.

المطالب التي لم تجري معالجتها

أدى الوصول المباشر للإمام إلى وضع كانت فيه المطالب تصل إلى الإمام بدون معالجة كافية. وبشكل مثالي "سيتم جمع المطالب الأولية لعدد من الأشخاص ودمجها وتوحيدها في مجموعة واحدة من المطالب التي بدورها يمكن أن يجري تعديلها عدة مرات قبل أن تصل إلى مرحلة المخرجات."⁽¹⁶⁾ لكن في اليمن لم يكن يتم توفير مثل هذه المعالجة، وبالتالي كان من الممكن أن يصل مطلب شخصي واحد للإمام مباشرة.

كان على الإمام أن يتفاعل مع تلك الطلبات التي لم تتم معالجتها، ولأن كل يوم كان يجلب معه مطالب جديدة كان ينبغي أن يتم اتخاذ قرارات سريعة يومياً. كان يتم التعامل مع تلك المطالب على النحو التالي:

يتكون المجلس من حوالي 50 رجلا يجلسون القرفصاء على أرائك مستندة إلى الجدران... لو كان الرد (على خطاب أو برقية) إيجابيا فإن الملك يكتبه بنفسه ثم يعطي الورقة التي تحمل الختم الأحمر الخاص به إلى عضو المجلس المسئول عن تنفيذ ما فيها. لو كان الرد سلبيا فإنه فقط يرمي بالورقة على الأرض... تستمر هذه الطريقة في التقييم مصحوبة باقتباسات مناسبة من القرآن بسرعة مذهشة. يبدو أن الملك بإمكانه فحص ما يزيد عن مائتي برقية في جلسة واحدة.⁽¹⁷⁾

وكما كان متوقعا أدت ضرورة تحويل المطالب الأولية إلى نتائج ملزمة في وقت قصير إلى قرارات لم تتم دراستها بعناية. ومن الصعب التحقق من مصداقية العديد من الروايات حول ما يمكن أن يطلق عليه القرارات "غير العقلانية" من جانب الإمام.⁽¹⁸⁾ لكن الروايات التالية المقدمة من أجناب غير متحيزين تحمل علامات المصداقية. تم تكليف مهندس معماري لبناني ببناء أول مبنى بالخرسانة المسلحة في تعز. أصر المقاول اليمني على وضع الأساس بالطين بحسب التقاليد المحلية ووضع الخرسانة فقط على الأرض بحيث "تكون ظاهرة". وحين اعترض المهندس تمت إحالة الموضوع إلى الإمام الذي قدمت إليه معلومات خاطئة تماما فتبنى موقفا ضد المهندس.⁽¹⁹⁾ وتعلق قرار متسرع آخر بمصنع نسيج بتكلفة مليون دولار. فمن أجل الحفاظ على أعمال التصدير الخاصة بهم، أقنع بعض التجار الإمام بأنه سيخسر العائدات لو لم يتم شحن القطن إلى الخارج، وبالتالي لن يتم جمع ضريبة التصدير. وهكذا "فقد الإمام اهتمامه بالمصنع ولم يتم اتخاذ الخطوات النهائية لجعل المصنع يعمل."⁽²⁰⁾ ويقول طبيب ألماني أن الوصفات الطبية التي كانت تقدم للإمام لإقرارها كانت تعاد أحيانا مع التعليق التالي: "يمكن استخدام الأقراص بدلا من الحقن."⁽²¹⁾

لم تكن هذه القرارات ناتجة عن الغباء؛ وفقا لكل الروايات كان الإمام أحمد شخصا عبقريا تقريبا. كان الخطأ يكمن في استمرار آلية إدارية فيها لم "يكن أي إجراء - مهما كان صغيرا - يمكن أن يتخذ بواسطة أي مسئول بدون تصديق صريح من الإمام."⁽²²⁾ ولأنه كان على الإمام أن يحل عشرات المشكلات يوميا، لم يكن بإمكانه أحيانا تجنب اتخاذ قرارات متسعة وغير مدروسة جيدا.

الضغط الحجمي

يحدث الضغط الحجمي عندما "تصبح مدخلات المعلومات التي تحمل المطالب أكبر من اللازم بالنسبة لأعضاء النظام المسؤولين عن معالجتها من أجل تحويلها المحتمل إلى

قرارات." (23) وبرغم تأثيرات الموانع الثقافية للمطالب والقنوات غير الملائمة فإن حجم المطالب التي كانت تصل إلى الإمام كان أكبر مما يمكن التعامل معه بشكل فعال. كان الإمام أحمد يتلقى في المتوسط ألف رسالة وبرقية يوميا. (24) كان المحتوى متنوعا؛ كانت هناك التماسات من أشخاص يطلبون المساعدة المادية للزواج أو للسفر أو للتكيف مع ظروف المرض أو البطالة، وكانت هناك مظالم عامة ومحددة، إلى جانب طلبات من المسؤولين الأقل بقرارات من الإمام بشأن موضوعات إدارية مختلفة. ولا يمكن النظر إلى كل تلك الخطابات والبرقيات باعتبارها تحمل مطالب؛ كانت هناك على سبيل المثال قصائد تمتدح الإمام أو تحتفي بمناسبات دينية أو وطنية، ولكن بقدر ما كانت الأغلبية العظمى منها تحتوي على طلبات بنوع معين من التخصيص الرسمي للموارد فإنه يمكن بشكل ملائم اعتبارها تحتوي على مطالب.

كان التفاعل مع تلك المطالب يستغرق في المتوسط من أربع إلى سبع ساعات يوميا، (25) وكان على الإمام الاهتمام بأمور أخرى كذلك. ومن الواضح أنه كان يواجه عبئا زائدا من المطالب، لكن حين كانت صحة الإمام جيدة كان بإمكانه مراجعة كل المطالب والتوصل إلى قرارات بشأنها. وكما رأينا كانت بعض القرارات متسرعة لكنها كانت مع ذلك ملزمة. حدث الإجهاد الحقيقي حيث تدهورت صحة الإمام. ومن المحتمل أنه نتيجة إدراك العواقب المقلقة لأي تراجع في أداء الإمام كانت صحة الإمام تعطى أهمية هائلة. (26) سعت الصحافة الحصول على معلومات حول صحة الإمام من أي مصادر متوفرة ومضت في طريقها لتؤكد لقراءها أن الإمام كان في أفضل وضع ممكن. (27)

كان من النادر الكشف عن شكاوى الإمام الصحية بشكل علني، لكن من الواضح أنه كان يعاني من الروماتيزم وأنه كان عليه قضاء عدة شهور كل عام في الحديقة طلبا للعلاج في ينابيع المياه الساخنة. ولكن الأخطر من هذا أو من أي مرض آخر كان إدمان أحمد للمورفين، وكان هذا الإدمان هو ما أثر سلبا على أدائه. بدأ أحمد في استخدام الأفيون عام 1948 للتخفيف من آلام ما بعد الجراحة، وبالتدريج أدمن تعاطيه. وفي عام 1955 أصبح معتمدا عليه تماما. وبرر شقيقه عبد الله توليه منصب الإمامة أثناء انقلاب 1955 بقوله أن صحة الإمام لم تعد تمكنه من القيام بمهامه. (28) وبجهد مضني وعزيمة قوية قاد أحمد نفسه للتخلص من تلك العادة خلال الشهور التي تلت الانقلاب، لكنه تعرض لانتكاسة بعد ذلك بعام. وبحلول مارس 1959 وصل إدمانه لدرجة خطيرة حتى أنه اضطر للسفر إلى روما للعلاج. وعاد أحمد معافى ونشيطا وأظهر عند عودته حيوية استمرت حتى إصابته في محاولة اغتيال عام 1961. ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته جعلته إصابته - بالإضافة إلى إدمانه المتكرر - عاجزا تماما تقريبا.

وهكذا في 1955-1959 وفي الفترة بين 1961-1962 كان أداء الإمام أحمد أقل من المستوي المطلوب للتعامل مع عبء المطالب المتزايدة. وخلال تلك الفترات تركت الرسائل والبرقيات لتتكدس حتى امتلأت غرفة بأكملها. عندها كان الإمام يطلب من مساعديه تصفحها واستخراج الخطابات والبرقيات التي اعتبروها مهمة بما يكفي لأن يوجه إليها اهتمامه وتم إحراق الباقي.⁽²⁹⁾

ضغط المحتوى

تفاقم الضغط الناتج عن حجم المطالب فقط بسبب الضغط الحادث بسبب محتوى بعض تلك المطالب:

كان التنوع في المحتوى فيما يتعلق بخصائص مثل التعقيد والجدال واستنزاف الموارد المحدودة أو القدرة على اجتذاب اهتمام الأعضاء الأقوياء سياسيا يعني أن بعض المطالب ربما تحتاج إلى وقت أكثر من غيرها لمعالجتها.⁽³⁰⁾

سببت المطالب التالية إجهادا لأن تحقيقها تطلب إعادة تنظيم - إن لم يكن للنظام ككل فعلى الأقل لنظام الحكم. وبسبب حساسيته، ونتيجة لتمسكه الشديد بالنظرة التقليدية المحافظة للإمامة، كان الإمام أحمد معارضا لأي نوع من التغيير في الهياكل القائمة. وهكذا لم يكن من الممكن تحقيق تلك المطالب. ورغم ذلك فقد ظلت حية وكانت، في التحليل النهائي، مسئولة عن تراجع التأييد، وهو ما شجع الضباط على القيام بثورتهم.

المطالب بإصلاح النظام الضريبي

ربما كانت حقيقة أن المطالب الخاصة بضرائب أقل يتم تحصيلها بطريقة أكثر إنسانية لم تتحقق هي أهم عامل أسهم في الشعور بعدم الرضا تجاه النظام. فبينما كانت تتبنى أقلية أكثر ثقافة نسبيا المطالب الخاصة بالتحديث فإن المطالب المتعلقة بالضرائب كانت تصدر عن الكثير من الأشخاص. "بالطبع لم تكن الغالبية العظمى من السكان مهتمة بالسياسة طالما كان بإمكانها كسب لقمة العيش."⁽³¹⁾ ولأن الضرائب كانت تؤثر على إيرادات هذه الغالبية العظمى فقد اكتسبت أهمية خاصة لم تكتسبها الأفكار المجردة مثل الديمقراطية.

كانت الضرائب تعتبر ظالمة من أكثر من ناحية. أولا كانت هناك الكثير من الضرائب. نظريا كانت كل الضرائب مستمدة من القوانين الإسلامية الخاصة بالزكاة لكن عمليا استغلت الحكومة اليمنية مفهوم الزكاة.⁽³²⁾ ورغم أن الوصف التالي للضرائب المختلفة المرتبطة بالزكاة كتب في العشرينات لكنه بقي مطبقا على الوضع أثناء حكم الإمام أحمد:

الزكاة لها فروع مثل الإخطبوط. العشور التي يتم جمعها بشكل عيني في صورة حبوب بما فيها البن، والعشور التي يتم جمعها نقدا على المنتجات القابلة للتلف بما فيها القات، والعشور المفروضة على المواشي والحيوانات المنزلية عينيا أو نقديا - أيهما كان أكثر فائدة للدولة، والعشور في التجارة والصناعة... لكن حتى الزكاة هي متعددة لأنه بالإضافة إلى العائد السنوي الذي تبلغ قيمته 21½% هناك ما يسمى زكاة الجسم... إلى جانب زكاة الحلي... وكذلك تلك الخاصة بالجهد.⁽³³⁾

وبالإضافة إلى كل هذه الضرائب الدينية كانت هناك أيضا بعض الضرائب "الدنيوية". انتقد الإمام يحيى الأتراك لفرضهم ضرائب ليس لها سند في الإسلام، ورغم ذلك فعندما تولى السلطة أبقى على تلك الضرائب التي أدخلها الأتراك، كما استحدث ضرائب جديدة.⁽³⁴⁾ كان مجموع الضرائب الدينية وغير الدينية كبيرا حقا بالنسبة لبلد فقير مثل اليمن.⁽³⁵⁾

كانت أساليب التقدير سبب استياء شديد، وفي هذا الشأن كان المزارعون هم أكثر من عانى. كان مقدار الضرائب "مصدر عذاب المزارع اليمني".⁽³⁶⁾ لم يكن التقدير خاضعا لأي قانون أو إجراءات منظمة وإنما كان عشوائيا بحيث ترك مساحة كبيرة للظلم والفساد. عادة كان يتم إرسال المقدر وفي صحبته موظفون وجنود، وكان المزارعون مسئولين عن طعامهم وإقامتهم. بالكاد كان التقدير الذي كان يتم في مرحلة مبكرة من الموسم دقيقا؛ كان معظم المقدرين يميلون للمغالاة من أجل الحصول على رضا رؤسائهم، وكان للحكومة حرية قبول أو رفض التقدير المقدم. ولو رفضت الحكومة التقدير أو اشتكى المزارعون من أنه كان أكثر من اللازم كان يتم إرسال مشرف، ومرة أخرى يقدم المزارعون الطعام والمأوى. ولو صدقت الحكومة على التقدير الجديد تعتبر المسألة منتهية، ولو لم تصدق عليه يتم اعتماد أعلى تقدير في السنوات السابقة.⁽³⁷⁾ وفي النهاية كان المزارع العادي يدفع 25% أو أكثر (من المحصول) إلى جانب رشاوى كبيرة للمقدر.⁽³⁸⁾

كانت طريقة جمع الضرائب قاسية حيث كان يتم إرسال الجنود لإبلاغ المزارعين أن الدفع مطلوب في أقرب فرع للخزانة العامة، أو كان يتم إرسال جامعي الضرائب بصحبة جنود من أجل التحصيل بشكل فوري. وفي كلتا الحالتين كان المزارعون هم من يتحملون النفقات.⁽³⁹⁾ كانت القرى التي تخفق في دفع المبالغ المطلوبة تتم معاقبتها عادة بإجبارها على إيواء وإعاشة القوات حتى يتم دفع الضرائب.⁽⁴⁰⁾

اكتسبت مشكلة الضرائب تعقيدا أكبر لأن أكثر الشكاوى كانت متعلقة بالسلوك القاسي للجنود - الذين كانوا من الزيديين - جاءت من المزارعين الشافعيين. بالنسبة لمنتقدي الإمام فإن هذه الحقيقة أثبتت أن الإمام كان يميز الزيديين ويحاول بذور بذور الشقاق بين الطائفتين.⁽⁴¹⁾ وبالنسبة لمؤيدي الإمام فرغم اعتراضهم على المظالم التي تعرض لها الشافعيون فإنهم فسروا الأمر بشكل مختلف. بحكم علاقتهم بالإمامة كان الزيديون متقبلين تماما لفكرة دفع الضرائب للإمام؛ لم يكن تقدير وجمع الضرائب يمثلان مشكلات خطيرة. لكن الشافعيين الذين افتقدوا تلك العلاقة أبدوا معارضة لفكرة الدفع، وبالتالي اعتبرت الأساليب القاسية ضرورية لانتزاع الضرائب.⁽⁴²⁾

سارع معارضو النظام إلى استغلال حالة الاستياء من الضرائب. ولأن الزكاة كانت فريضة إسلامية لم يكن بإمكانهم الحديث عن إلغائها، وبدلاً من ذلك فقد طالبوا بالدفع الطوعي بحيث يقوم كل شخص بتقدير قيمة زكاته. وقد ظهرت هذه المطالب أولاً في الأربعينيات،⁽⁴³⁾ ثم أثبتت بقوة عام 1962.⁽⁴⁴⁾

بلا شك كان الإمام أحمد واعياً بحالة عدم الرضا بسبب الضرائب وحاول التعامل مع المظالم، فعمل بعض الاستثناءات المحددة، لكن هذه الإجراءات كانت على أفضل تقدير مفتقرة للحماس. وبحسب البدر الذي كان حساساً جداً تجاه المظالم المتعلقة بالضرائب فإن المكاسب التي يتم الحصول عليها من النظام القائم كانت مسئولة إلى حد كبير عن إحجام الإمام عن تغييره. في كل مرة كان الإمام يفكر في جعل الدفع اختياريًا كان أولئك الذين يستفيدون من النظام يقنعونه بأنه في تلك الحالة لن يدفع أي شخص، وهو ما سيعني أن فريضة دينية كانت ستهمل. وفي عام 1958 - وبعد جهود متواصلة من البدر - قرر الإمام تجربة الدفع الاختياري وتم الإعلان عن هذا. طلب أولئك الذين استنكروا هذا القرار من المزارعين ألا يأخذوه على محمل الجد. اعتبر المزارعون أن القرار يفوق حد التصديق وخشوا من أنه سيكون عليهم أن يدفعوا الضعف وبالتالي كانت المبالغ التي دفعوها بشكل اختياري أقل بكثير مما كان يجب أن تكون. وبالإضافة إلى ذلك كان المحصول سينا في ذلك العام فكانت العائدات قليلة، وقرر الإمام أحمد التخلي عن التجربة.⁽⁴⁵⁾

اشتركت عوامل أخرى مع المكاسب التي كان يتم الحصول عليها في جعل النظام يستمر. كان الإمام أحمد متردداً في التدخل في المؤسسات التقليدية.⁽⁴⁶⁾ كان الجانب الأكبر من إيرادات الدولة يأتي من الضرائب، وفي غياب مصدر بديل لم يكن من الممكن تحمل خطر تراجع الإيرادات. وعد الإمام أحمد بأنه بمجرد أن يتم استغلال ثروات البلاد المعدنية سيتم

تخفيف عبء الضرائب.⁽⁴⁷⁾ وقد عنت حقيقة أن أكثر الذين كانوا يعانون - أي الفلاحين - لم يكونوا مهمين من الناحية السياسية أنه كان يمكن تأجيل مطالبهم إلى أجل غير مسمى.

المطالب الخاصة بإصلاح جهاز القانون والنظام

أدت حالة عدم الرضا عن آلية تنفيذ القانون إلى مطالب تدعو إلى إصلاحات بعيدة المدى. وهكذا كانت هناك مطالب بوضع حد لانتهاكات الجنود،⁽⁴⁸⁾ وبسيطرة أكثر فاعلية على الجريمة.⁽⁴⁹⁾ لكن الأهم بكثير من هذه المطالب كانت المطالب الخاصة بإصلاح المحاكم. اشتهرت المحاكم اليمنية بالفساد،⁽⁵⁰⁾ وكانت هناك أسباب مفهومة لهذه الحالة من عدم الرضا:

في كثير من الأحيان كان يبدو غرض المحاكم هو استمرار الدعاوى بلا نهاية بدون إصدار حكم لصالح أي طرف. لم يكن من غير المعتاد أن يظل خلاف بسيط حول حقوق المياه أو تقسيم ممتلكات موروثية محل دراسة لمدة ست سنوات، بينما يبقى أطراف القضية أو ممثلوهم جالسين يوميا خارج المحاكم يتوسلون للقضاة ويقدمون لهم رشاًوى من أجل إصدار حكم.⁽⁵¹⁾

وكما هو الحال بالنسبة للمطالب الخاصة بإصلاح الضرائب لم يرق الإمام أحمد بأي شيء لتلبية المطالب المتعلقة بإصلاح المحاكم، فأى جهد في هذا الاتجاه كان سيؤدي لمعارضة المؤسسة الدينية التي كانت تسيطر على المحاكم.

المطالب الممنوعة

مثلما أشرنا سابقاً فإن قيم النظام حظرت كل المطالب التي كانت تنادي بمشاركة شعبية أوسع؛ لم يكن من المسموح التعبير عن مطالب تدعو لأي تغيير أساسي في النظام لكن منع تلك المطالب لم يتسبب في القضاء عليها. كل ما فعله هذا المنع كان تحويلها إلى مطالب عنيفة.

ومثلما يمكن أن يتوقع المرء⁽⁵²⁾ قادت عدم ملائمة القنوات - جنباً إلى جنب مع الضغط الذي سببه حجم ومحتوى المطالب - بالإضافة إلى قمع مطالب سياسية معينة إلى ظهور مطلب بإزالة النظام. وتشكل قصة نجاح هذا المطلب قصة الثورة التي سيتم تناولها في الفصل السادس.

(1) "يمكن تعريف المطلب على أنه تعبير عن الرأي بشأن ما إذا كان يجب أو لا يجب القيام بتخصيص سلطوي من جانب أولئك المسؤولين عن عمل ذلك."

David Easton, A Systems Analysis of Political Life (New York: John Wiley & Sons. Inc., 1967), p. 38.

(2) Ibid, p. 117.

(3) "حين تكون درجة التمايز الهيكلي بين النظام السياسي وبقية المجتمع منخفضة ستصبح القدرة على تحويل الرغبات إلى مطالب موزعة بشكل واسع عبر النظام."

Ibid, p. 91.

(4) الميل لرفع المطالب التي يمكن التعامل معها بسهولة بواسطة المسؤولين الأقل إلى الإمام يتضح في قصة يرويه أمين الريحاني. شكى أحدهم إلى الإمام يحيى من حمار جاره الذي كان يركل الحائط طوال الليل. حل الإمام يحيى بنفسه المشكلة بأن أمر "بأن يتم تقييد الحمار من المغرب حتى الفجر."

Ameen Rihani, Arabian Peak and Desert, (London: Constable & Co. Ltd, 1930), p.225.

وحتى في النظام الجمهوري استمر الميل لتوقع قيام رأس الدولة بتسوية كل المشكلات. شكى الرئيس السلالة من أن "... معظم الناس ما يزالون يرفضون أن يطيعوا حتى أصغر أمر ما لم أوقع عليه شخصيا."

National Geographic Magazine (March, 1964), p. 421.

(5) انظر أعلاه ص 43-44.

(6) ربما الإدراك غير الواعي لدور القات في كبح جماح المطالب – وبالتالي التخفيف غير المباشر من إجهاد النظام – هو الذي قاد منتقدي الإمام إلى إدانة هذه العادة وإرجاع انتشار استخدامها إلى تشجيع الأئمة المتتاليين. انظر، على سبيل المثال، محمد السيد أيوب، اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة (القاهرة: دار المعارف، 1963)، ص 97. ورغم أنه لا الإمام يحيى ولا الإمام أحمد حاولا إثناء اليمنيين عن استخدام القات لكن لا يوجد دليل على أنهما شجعا على استخدامه. والمناقشات التي سمح بها مع وضد استخدام القات في الصحافة اليمنية أثناء حكم الإمام أحمد بحيث لم تكن لدى الإمام سياسة محددة تجاه القات.

(7) لوصف للجلسات العامة للإمام أحمد انظر أحمد فريد رفاعي، رحلتي إلى اليمن العربية السعيدة، (القاهرة: مطبعة محمد على صبيح وأولاده، لا يوجد تاريخ)، ص 26.

(8) Claudine Fayein, A French Doctor in the Yemen, translated by Douglas McKee, (London: Robert Hale Ltd., 1957), p. 47.

(9) أثناء الحرب العالمية الثانية أصدرت مجموعة صغيرة من الكتاب جريدة مكتوبة باليد، البريد الأدبي؛ انظر محمد محمود الشامي، قصة الأدب في اليمن (بيروت: المكتب التجاري، 1965)، ص 254.

(10) سبأ، 21 يوليو 1956، ص 1؛ 8 مارس 1956، ص 8؛ 26 مارس 1959، ص 1؛ النصر، 18 مايو، 1961، ص 8؛ 29 يونيو 1960، ص 6؛ 24 مارس 1960، ص 8.

(11) سبأ، 28 يونيو 1956، ص 1؛ النصر، 12 يناير 1961، ص 7؛ 6 أكتوبر 1960، ص 8؛ 14 أبريل 1960، ص 8؛ 28 يوليو 1960، ص 6.

(12) سبأ، 30 أكتوبر 1958، ص 6؛ 26 فبراير 1959، ص 12؛ 16 أبريل 1959، ص 4؛ النصر، 10 مارس، 1960، ص 3؛ أغسطس 1960، ص 3.

(13) النصر، 16 يونيو 1960، ص 6؛ الطلیعة، 25 أكتوبر 1959، ص 1؛ 1 نوفمبر 1959، ص 1؛ 15 نوفمبر 1959، ص 8.

(14) ذكر رئيس تحرير سبأ مرة أن مسئولاً حكومياً هدده بالقتل، سبأ، 8 أبريل 1960، ص 8.

(15) تعليقاً على أحوال اليمن المتخلفة ذكر مقال في الطلیعة: "تجاربنا السابقة لا تسمح لنا بالانتظار..." الطلیعة 26 أكتوبر 1959، ص 1. وأكد مقال آخر: "إن استقلالنا سيكون سلبياً ومحدوداً وضعيفاً ما لم تتغير ظروفنا المتأخرة بسرعة وبشكل جذري." الطلیعة، 15 نوفمبر 1959، ص 8.

- (16) Easton, op..., cit..., pp. 132-133.
- (17) Easton, op..., cit..., pp. 47-48.
- (18) انظر، على سبيل المثال، عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 43-49. يرجع البيضاني القرارات غير العقلانية للإمام إلى إيمان الإمام بضرب الرمل وعلم التنجيم والروحانية. ورغم أن هذه الفكرة عن أحمد شائعة لكن لا يمكن إثباتها.
- (19) Fayein, op..., cit..., p. 64.
- (20) William R. Brown, "The Yemeni Dilemma", The Middle East Journal (Autumn, 1963), p. 357.
- (21) إيفا هوك، سنوات في اليمن وحضرموت، ترجمة خيرى حماد، (بيروت: دار الطليعة، 1962)، ص 115.
- (22) H.B. Sharabi, Governments and Politics of the Middle East in the Twentieth Century (Princeton: D. Van Nostrand Company, Inc., 1962), p. 245.
- (23) Easton, op..., cit..., pp. 58.
- (24) أحمد حسن الشامي، مقابلة، لندن، 28-2-1969.
- (25) المرجع السابق.
- (26) "يبدأ المرء عادة الحوار بالسؤال عن صحة الإمام..."
- Fayein, op..., cit..., p. 65.
- (27) سألت إحدى الصحف اليمنية ذات مرة الوزير السعودي في اليمن عن صحة الإمام، انظر النصر، 24 نوفمبر، 1957، ص 6. وفي نفس العدد وصف تعليق تقليدي الإمام بأنه "ينبض بالقوة والحيوية والشباب"، ص 1.
- (28) انظر أدناه ص 195.
- (29) من الواضح أن حرق الالتماسات المحتوية على مطالب كان ممارسة غير مقصورة على الإمام. ذكرت صحيفة سبأ قصة رجل "يوقف أصحاب الالتماسات ويأخذها منهم ويتظاهر بأنه يسلمها إلى صاحب الجلالة الإمام ثم يأمر بحرقها"، 21 فبراير 1957، ص 8.
- (30) Easton, op..., cit..., pp. 66-67.
- (31) Harold, Ingrams, "The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (January, 1946), p. 68.

(32) B. W. Seager, "The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (July – October, 1955), p. 217.

(33) الريحاني، المرجع السابق، ص 125.

(34) إبراهيم علي الوزير، بين يدي المأساة (بيروت: دار الأندلس، 1963)، ص 53.

(35) محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1965)، ص 239-243.

(36) Seager, op., cit., pp. 218.

(37) محمد عنان غالب، اليمن (بيروت: دار الكتاب العربي، 1966)، ص 111.

(38) Brown, op., cit., pp. 352.

(39) غالب، نفس الموضوع.

(40) Brown, loc., cit., pp. 352.

(41) انظر العطار، المرجع السابق، ص 240.

(42) الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.

(43) انظر الوزير، نفس الموضوع.

(44) البيضاني، المرجع السابق، ص 165.

(45) الإمام محمد البدر، مقابلة، الطائف، 18-2-1969.

(46) بحسب أحد الكتاب فإن الإمام أحمد قال لبعض أصحاب المطالب أنه لا يستطيع إلغاء أية ضريبة كانت سارية في عهد والده، الوزير المرجع السابق، ص 90.

(47) الإيمان، 15 ديسمبر، 1955، ص 1.

(48) انظر سبأ، 26 فبراير، 1959، ص 2.

(49) سبأ، 17 يناير، 1956، ص 6.

(50) انظر سبأ، 16 أكتوبر 1958، ص 8. لاحظ أحد زوار اليمن أن "غالبية المنازل الفاخرة كانت مملوكة للقضاة مما يدعو للإحياء بأن العدالة هي سلعة تدر عائدا جيدا تماما."

Ingrams, op., cit., p. 62.

(51) Brown, op., cit., pp. 351.

يقول نعمان أن بعض القضايا ظلت معلقة لما يزيد على 30 عاما، وهو يرجع ذلك إلى سياسة الإمام يحيى المتعمدة والخاصة بإبقاء الناس مشغولين بمشكلاتهم الشخصية. انظر محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965)، ص 30.

(52) "... لو كان يعتقد أن شاغلي المناصب... لا يحتمل أن يستجيبوا للمطالب فإن أصحاب تلك المطالب ربما يدعمون مطلباً قوياً ينادي باستبدال هؤلاء الأعضاء."

Easton, op., cit., pp. 39.

الفصل الرابع

الدعم

لم يأت الدعم الذي مكن نظام الإمامة من الاستمرار من فئة أو طائفة أو شريحة واحدة من السكان، فكما اعترف أحد الخصوم اللدودين للنظام: "كل الملوك... لا يستطيعون البقاء على عروشهم إلا على أساس تماهي طبقي أو عرقي مع مجموعة تشترك في الغنائم... ما عدا الأئمة في اليمن الذين لم يشعروا أبداً بالحاجة لهذا."⁽¹⁾ سيبدو من الخطأ القول بأن نظام الإمامة استمر بسبب الدعم الذي قدمه الزيدون، فمعظم أولئك المسؤولين عن سقوط النظام كانوا من الزيدون. كذلك فإن الادعاء بأن الدعم القبلي وحده هو الذي أبقى الإمامة هو أيضاً خطأ تماماً، فبعض القبائل لم تكن مهتمة بمصير الإمامة بينما كان البعض الآخر معادياً لها. وإعطاء كل الأهمية لدعم السادة لا يقدم تفسيراً مناسباً؛ لم يكن السادة فقط بدون أي قوة عسكرية وإنما كان بعضهم معارضين للإمام - إن لم يكن للنظام. لكن قول هذا لا يعني إنكار أن المشاعر الدينية والولاءات القبلية والاهتمامات الطبقية لعبت معاً دوراً في إيجاد دعم لنظام الإمامة. الفكرة هي أن الإمام لم

يكن بإمكانه في كل الأحوال الاعتماد على الدعم المطلق لأي من تلك المجموعات السابق، فالاحتفاظ بمستوى كاف من الدعم كان عملية دقيقة أوجبت استخدام أساليب ووسائل متنوعة. ويهتم هذا الفصل بتلك الأساليب والوسائل، جنبا إلى جنب مع الأفراد ذوي الصلة بالسياسة.

المجموعات وثيقة الصلة بالسياسة

1- القبائل

لسوء الحظ فإن البيانات الخاصة بالقبائل اليمنية شحيحة للغاية.⁽²⁾ تقريبا كل المعلومات المتوفرة تقتصر على إحصاء القبائل وتحديد مواقفها وتوجهاتها الطائفية. وحتى هذه المعلومات ليست حديثة، حيث أن أكثر مصدر موثوق هو دليل بريطاني صدر عام 1917.⁽³⁾ لذلك يجب أن يكون أي تقييم للقبائل مبدئيا لحين إجراء أبحاث أكثر تحديدا.

مع الاستثناء البسيط لبعض القبائل البدوية في الشرق فإن القبائل اليمنية مستقرة. ومن بين مجموع القبائل أقل من الخمس هم من الشافعيين.⁽⁴⁾ ومن بين القبائل الزيدية قبيلتان - حاشد وبكيل - كانتا الأكثر أهمية من حيث الأعداد والبطون والقدرات القتالية. وكانت قبيلة الزرانيق هي أكبر وأقوى القبائل الشافعية. وبرغم الاختلافات المحلية والطائفية لكن يمكن أن يقال أن القبائل اليمنية ككل تشترك في الخصائص التالية:

1- مستوى منخفض من معرفة القراءة والكتابة: فحيث أن معظم المدارس كانت تقع في المدن لم تكن القبائل قادرة على الوصول إلى التعليم بسهولة. وحتى زعماء القبائل كانوا حاصلين على تعليم أكثر بدائية، والأقلية الذين تخطوا ذلك المستوى حصلوا على تدريبهم أثناء وجودهم كرهائن.

2- النظرة المحافظة: اشتركت كل من وسائل الاتصال البدائية ومعدلات معرفة القراءة والكتابة المتدنية وافتقار التواصل مع العالم الخارجي لتوجيه القبائل لتبني وجهة نظر محافظة.

3- احتقار سكان المدن: لم تكن هذه السمة مقتصرة فقط على القبائل اليمنية لكنها كانت منتشرة لدى القبائل الأخرى في أنحاء شبه الجزيرة العربية. اعتبر أفراد القبائل أن أسلوب حياتهم الذي يركز على الخشونة والحرية والرجولة هو أفضل بكثير من أسلوب حياة سكان المدن. كذلك فإن النظرة إلى سكان المدن باعتبارهم يتمتعون بثروات هائلة مالت إلى تعزيز ذلك الشعور بالاحتقار.

4- الاستقلال: كان تقبل القبائل للسلطة المركزية دائما مترددا وغير مؤكد، فقد جعلت سنوات من الحكم الذاتي الفعلي القبائل تميل إلى إنشاء مجتمعات ذات اكتفاء ذاتي مع قليل من الحاجة والرغبة في التفاعل مع - ناهيك عن الوقوع تحت سيطرة - العالم خارج المجتمع القبلي.

5- نقص الوعي القومي: كما هو الحال بالنسبة للقبائل الأخرى كان ولاء رجال القبائل اليمينية الأول هو للقبيلة، وكانت فكرة كونهم مواطنين داخل دولة تتمتع بولاء الجميع داخل حدودها فكرة أكثر حداثة مما يمكن أن يتم تقبله. وهكذا عند التوصل إلى قرارات سياسية كانت الاعتبارات الخاصة بالمصلحة العامة أو الوطنية نادرا مما توضع في الاعتبار بالنسبة لرؤساء القبائل - هذا إن حدث أصلا. وربما كان هذا هو السبب في نشأة المفهوم الشائع عن القبائل بأنها "بلا مبادئ" أو "مدفوعة بالمكسب فقط".

وبالإضافة إلى هذه السمات شعرت القبائل الزيدية الشمالية ببعض التماهي مع نظام الإمامة. تاريخيا كان الشمال هو مهد ومقل الإمامة، ودينيا كانت القبائل الزيدية تتبع نفس مذهب الإمام، وسياسيا كان من الأسهل على شيوخ القبائل الاعتراف بسلطة الإمام الذي يعود نسبه إلى الرسول مقارنة بشيخ آخر لا يعتبر نسبه بشكل أو بآخر أفضل منهم. لكن العلاقة التي كانت موجودة بين القبائل الزيدية والإمام يمكن وصفها بأنها كانت علاقة حب-كراهية، فرغم التماهي مع الإمامة كان من الصعب على القبائل التخلي عن نفوذها، كما أن شيوخ القبائل لم يمنحوا أدوار مهمة في هيكل السلطة. وكان نظام الرهائن مصدر استياء عميق، وهكذا كانت القبائل الزيدية عرضة لضغوط متعارضة. كانت المشاعر الدينية - إلى جانب إدراكهم بأن أي امتيازات كانوا يتمتعون بها كانت مرتبطة بالإمامة - هي ما جعلهم ميالين بشكل إيجابي نحو الإمام. وهكذا سار عوا إلى الوقوف بجانبه عام 1948 ومرة أخرى عام 1955. ومن ناحية أخرى قادتهم المظالم المتنوعة - بالإضافة إلى الدافع الغريزي المرتبط بتأكيد استقلالهم - إلى علاقات متوترة مع الإمام. وهكذا حدث التمرد القبلي عام 1959-1960.

لجأ الإمام أحمد إلى عدة أساليب لضمان تدفق الدعم من القبائل، وكان الأسلوب الأكثر أهمية إلى حد كبير هو أخذ الرهائن. كان الرهائن يتكونون من أفراد القبائل الأصغر سنا والذين ينتمون إلى أسرة شيخ القبيلة، وكان يفضل أن يكونوا من أبنائه الذين كان الإمام يحتجزهم لضمان السلوك الجيد من جانب القبيلة. وعادة كان يوجد 500 رهينة في المتوسط. وكلما ازدادت عدم ثقة الإمام في قبيلة معينة كلما كان عدد الرهائن المطلوبين من بين أفراد تلك

القبيلة. ولم يكن مطلوباً تقديم رهائن من القبائل التي كان ولاؤها للإمام مؤكداً تماماً، وكذلك من القبائل التي كانت تعيش بالقرب من المدن، وبالتالي كان من السهل الوصول إليها وإخضاعها إذا احتاج الأمر. ورغم أنه ربما ينظر إلى هذا النظام باعتباره لا إنسانياً، كما أنه كان مصدر استياء شديد من القبائل، إلا أنه قد نجح بشكل فعال تماماً، ولم يتعرض الرهائن أنفسهم لأي قسوة أو إساءة معاملة، كذلك لا يوجد دليل على أنه تم إيذاؤهم حتى في المرات القليلة التي انهار فيها عامل الردع وقامت القبيلة بالتمرد.

أسلوب آخر استخدمه الإمام كان تأليب قبيلة على أخرى. فكما لخص مثل يماني الأمر "ابق رجال القبائل منشغلين ببعضهم البعض قبل أن يشغلوك."⁽⁵⁾ وكان نظام الخطط نموذجاً لهذا الأسلوب؛ كان يطلب من القبيلة المخطئة أن تقدم الطعام والمأوى لجميع أفراد قبيلة أخرى والذين يرسلهم الإمام. وكان كرم الضيافة يستمر حتى تمثل القبيلة المتمردة لأوامر الإمام. وحين واجه الإمام مشكلات مع قبيلة حاشد أمر كإجراء مضاد بتوزيع الأسلحة على قبيلة الزرائيق.⁽⁶⁾

لكن لم يكن القمع فقط هو الأسلوب المستخدم. تم تعيين بعض شيوخ القبائل المهمة في مناصب حكومية، رغم أن ذلك لم يكن في مناطقهم القبلية، كذلك تم منح هدايا من الأسلحة من الإمام إلى شيوخ القبائل المخلصين، إلى جانب إعفاءات معينة من الضرائب في بعض الأحيان. لكن الإمام أحمد لم يشجع المنح المالية الصريحة، فحين قام البدر بتوزيع الأموال على القبائل الشمالية أثناء غياب الإمام طلب الإمام أحمد من القبائل إعادة تلك الأموال. لم يكن الدافع وراء ذلك هو البخل ولا بسبب أنه وجد الخزينة فارغة. لقد أدرك ببساطة كم سيكون الأمر مكلفاً لو أن القبائل بدأت تتوقع المنح المالية مقابل الدعم الذي تقدمه.

كان الإمام أحمد يعرف أنه من الناحية العسكرية كانت القبائل - وخاصة الزيدية - هي القوة الفاعلة الوحيدة في البلاد، وقد سعى لضمان ولائها. كانت القبائل الزيدية تعامل باحترام أكثر من القبائل الشافعية، وكان كل أفراد القوات المسلحة يؤخذون تقريباً من القبائل الزيدية، لكن الإمام أدرك خطورة الاعتماد التام على القبائل الزيدية فحرص على أن يجعل من الممكن استدعاء القبائل الشافعية لإحداث توازن في القوى. كذلك كان الإمام واعياً أن القبائل الزيدية والشافعية على حد سواء تقبلت السلطة المركزية بأكبر قدر من الممانعة، ولهذا كان حريصاً على إبقائها تحت السيطرة وعدم السماح لها بتحويل تفوقها العسكري إلى تفوق سياسي يعرض دوره للخطر.

2- القوات المسلحة

رغم أنه في النهاية كانت القبائل هي من يمسك بميزان القوة لكن القوات المسلحة كانت هي الهيئة الدائمة التي كان بإمكان الإمام استخدامها كلما دعت الحاجة. أبقى القبائل كقوة احتياطية ولم يتم اللجوء إليها إلا في حالات الطوارئ. لم تظهر قوات الشرطة بشكل بارز كمجموعة وثيقة الصلة بالسياسة؛ لم تكن الشرطة فقط سيئة التنظيم والتسليح ولكن المهام التي تعطى عادة إلى الشرطة - مثل حفظ الأمن الداخلي - أعطيت إلى جنود الجيش غير النظامي.

وعند مناقشة دور القوات المسلحة لن يكون هناك شيء أكثر تضليلاً من الإشارة إليها باعتبارها "الجيش". في الحقيقة كانت هناك ثلاثة جيوش بثلاث مؤسسات وقيادات منفصلة.⁽⁷⁾ كان الإمام وحده في وضع يؤهله لأن يعرف ما يدور داخل كل جيش من تلك الجيوش وأن ينسق بين أنشطتها. وكانت هذه الجيوش كالتالي:

الجيش النظامي

كان هذا الجيش هو جيش اليمن الدائم، وبلغ عدد أفراده حوالي 15 ألف جندي. كان الجيش الوحيد الذي يضم ضباطاً مدربين بشكل مناسب والذي كان له مظهر التنظيم الهرمي، لكن الإمام لم يكن يثق في الضباط المدربين. وقد عزز اشتراك عدد من أولئك الضباط في ثورة 1948 وانقلاب 1955 من عدم ثقته، ونتيجة لذلك كان متردداً في تقوية الجيش التطوعي، لكنه اضطر عملياً - بسبب المواجهة بينه وبين البريطانيين في عدن - إلى تزويده بالمعدات الحديثة، وحتى عندها كان حذراً لدرجة كبيرة. سمح الإمام بأن تصبح الطائرات معطلة من خلال نقص الصيانة، وكان الاهتمام غير الملحوظ من الضباط الثوريين فقط هو ما أبقى بعض الدبابات والعربات المصفحة في حالة جيدة.

وبعكس الضباط في كثير من الدول النامية لم يكن ضباط الجيش النظامي اليمني ينتمون إلى النخبة الحاكمة.⁽⁸⁾ لم تعط لهم مسئوليات مهمة ولم تبذل أي محاولات جادة لتحبيدهم. وهكذا لا يمكن فهم ثورة 1962 بشكل كامل بدون أن يوضع في الاعتبار حالة الاستياء التي شعر بها الضباط المدربون بسبب كل من أوضاعهم غير المتميزة والحالة المتدنية للجيش.

جيش الدفاع

كان هذا أقرب لمؤسسة تدريب منه لجيش دائم. نظريا كان يفترض أن يقدم تدريباً أساسياً لكل البالغين، لكن في الحقيقة كان معظم المجندين من القبائل الزيدية. وبعد برنامج تدريبي تبلغ مدته ستة شهور كان رجال القبائل يعودون للانضمام إلى قبائلهم التي ينتمون إليها. ولم تكن هناك مهام محددة لهذا الجيش، وقد بلغ عدد المتدربين فيه حوالي 15 ألف شخص.

الجيش غير النظامي⁽⁹⁾

بالنسبة للإمام كان هذا الجيش غير المعروف هو الأكثر أهمية بين الجيوش الثلاثة. لم تكن فيه أي ثكنات أو ضباط أو رتب، وكان يطلب من زعماء القبائل موضع الثقة إرسال أفراد من قبائلهم للخدمة في هذا الجيش الذي كان تحت السيطرة المباشرة للإمام. كان عدد أفراد الجيش غير النظامي يبلغ حوالي 5 آلاف فرد، وقد حظي بثقة الإمام الكاملة. اعتمد الإمام على هذا الجيش غير النظامي في جمع الضرائب وحراسة الحصون والحفاظ على الأمن الداخلي والعمل في السجون.⁽¹⁰⁾ لكن لأن هذا الجيش لم يكن لديه نظام ملائم وتسلسل واضح للقيادة لم يكن بإمكانه العمل كوحدة واحدة، ولهذا لم يكن في وضع يسمح له بمقاومة الثورة.⁽¹¹⁾

3- المؤسسة الدينية

أطلق على هذه المجموعة اسم المؤسسة الدينية بسبب عدم وجود اسم أفضل، وقد قدمت للمرشحين الوظائف العليا في الحكومة، والتي تراوحت بين مناصب الوزراء ونواب الملك نزولا إلى الدرجات العليا والمتوسطة في هرم الوظائف العامة. كان أعضاء هذه المجموعة هم من أبقى آلية العمل في الحكومة تستمر في العمل، وقد شملت مهامهم المتنوعة الإشراف على التعليم وجمع الضرائب وتحقيق العدالة. وكان كل ما مثل خصائص مشتركة بين أعضاء هذه المجموعة هو التعليم الديني العالي. وفي بلد مثل اليمن التي كان النفوذ الديني فيها متغلغلا في كل جوانب الحياة الاجتماعية كان التعليم الديني هو مفتاح التقدم والتفوق. وكانت العمامة هي رمز تلك المجموعة، ولأنها كانت علامة على التميز فقد أصبحت موضع استياء معارضي النظام.⁽¹²⁾

من حيث الأعداد وكذلك التأثير كان السادة مهيمين على هذه المجموعة.⁽¹³⁾ لم تنبع أهميتهم من غناهم أو قوتهم العسكرية وإنما من التأثير الديني لنسبهم. نظريا كان كل سيد مؤهلا لأن يصبح إماما في حالة استيفاء الشروط الأخرى. وهكذا كان الإمام إلى حد ما بالنسبة للسادة

الآخرين "الأول بين أقران متساويين". كان من الطبيعي فقط أن تتم معاملة السادة الآخرين باهتمام خاص، لكن هناك عامل آخر لا ينبغي إغفاله. تقليديا حرصت أسر السادة على إعداد أبنائها لوضعهم المتميز وأعطت اهتماما خاصا لتقديم تعليم ملائم لهم. ولأنهم كانوا مزودين بالتعليم إلى جانب المكانة وجد السادة من السهل الهيمنة على المؤسسة الدينية.

شكل القضاة عنصرا آخر من عناصر المؤسسة الدينية، وكان تعبير قاضي يشير إلى شخص عادي - أي ليس من السادة - تلقى تدريبا عاليا، حيث أنه ينتمي إلى أسرة ذاع صيتها تقليديا في مجال العلم. كان للقضاة دورهم في تحقيق التوازن مقابل تفوق السادة. على سبيل المثال عين الإمام يحيى قاضيا في منصب هام هو منصب رئيس الوزراء، واستمر الإمام أحمد في تعيين القضاة في مناصب رفيعة.⁽¹⁴⁾ وكما هو الحال بالنسبة للسادة كانت الغالبية العظمى من القضاة من الزيديين.

الاستجابات للتحفيز على تقديم الدعم

هناك ثلاث فئات واسعة من الاستجابات المتاحة أمام أي نظام. هذه الاستجابات هي: المخرجات والقمع وتحفيز النوايا الطيبة.⁽¹⁵⁾ وسوف يظهر التناول التالي كيف استخدمت هذه الاستجابات في اليمن.

1- المخرجات

عندما يواجه النظام حالة من عدم الرضا تكون "الاستجابة الأولى والأسهل والأكثر مباشرة التي يمكن اللجوء إليها للتكيف مع الموقف هي بذل بعض الجهد لتحسين كفاءة المخرجات."⁽¹⁶⁾ فتلبية المطالب بشكل مباشر يمكن أن تولد نوعا معينا من الدعم على الأقل.⁽¹⁷⁾ كان الإمام أحمد يلجأ كثيرا إلى هذا الأسلوب، ويمكن النظر إلى أعمال الخير المتنوعة في ضوء هذا؛ كان يتم توزيع الأموال والملابس على الفقراء في مناسبات سنوية وأحيانا على فترات أقصر.⁽¹⁸⁾ كذلك كانت المنح المحددة التي تقدم لبعض الأفراد المهمين من الناحية السياسية أمثلة أخرى على ذلك. على سبيل المثال جعل الإمام أحمد الطائرات متاحة لنقل المرضى المهمين إلى المستشفيات، وأحيانا كان يأمر أطباءه الخصوصيين بالاعتناء بهم.⁽¹⁹⁾ وتقع الإعفاءات من الضرائب،⁽²⁰⁾ إلى جانب الهدايا في صورة أسلحة وأموال، ضمن نفس

الفئة، وكذلك يمكن إدراج دعوات الغداء التي كان يقدمها الإمام للمسؤولين الكبار ضمن الجهود الرامية إلى تحفيز نوع معين من الدعم.

كانت الأمثلة السابقة بمثابة محاولات لجذب دعم الأفراد، وما كان أكثر أهمية هو النتائج التي هدفت إلى تحفيز دعم المجموعات الأكبر. يمكن تفسير قرار الإمام أحمد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة في اتحاد فضفاض عام 1958 باعتباره خطوة تهدف إلى الحصول على دعم الليبراليين الذين كانوا محبطين من نظامه. كانت هناك قيود متنوعة جعلت من الصعب تحقيق نتائج ترضي الليبراليين على الصعيد الداخلي، لكن لم تكن مثل هذه القيود موجودة على الصعيد الخارجي. وكما توقع الإمام كان رد فعل الليبراليين هو الدهشة الأولية التي تبعتها تعبيرات عن الدعم: "نحن ندعم هذه الخطوة من جانب الحكومة ونباركها بإخلاص ... نحن نعتبر تنفيذ هذه الاتفاقية بمثابة التحقيق الكامل لأهداف الليبراليين المخلصين"(21)

ومثال آخر للنتائج التي هدفت للتأثير على مجموعة كان قرار الإمام أحمد عام 1960 بإنشاء "لجان للتشجيع على الخير وتجنب الشر".(22) تطورت هذه اللجان لتصبح شرطة دينية، وأعطيت الحرية في التعامل مع مخالفات الشريعة الإسلامية. وقد اتخذ القرار الخاص بإنشائها من أجل اجتذاب دعم القادة الدينيين.

2- القمع

"رغم أنه قد لا يكون من المعتاد القيام بذلك لكننا ربما نرى القمع باعتباره نوعا محتملا آخر للاستجابة للتراجع في الدعم".(23) يمكن الحصول على نوع معين من الدعم عن طريق تقديم مكافآت سلبية محددة.(24) وقد لعب النظام السياسي اليمني دورا أكبر مما يمكن ملاحظته في معظم الأنظمة السياسية الأخرى. كان هناك عاملان مسئولان عن هذا: المناخ السياسي العنيف في اليمن، وقسوة الإمام أحمد.

سبق أن أشرنا إلى التقليد اليمني المرتبط بالعنف والقمع.(25) لم يكن ينظر للقمع باعتباره شرا لا بد منه يستخدم بأقصى قدر من الحرص لكنه ارتقى ليصبح قاعدة مقبولة تقريبا.(26) وتقدم أساليب جمع الضرائب ونظام أخذ الرهائن أمثلة صارخة على الطريقة التي تم بها ترسيخ القمع واستخدامه بشكل ثابت للحصول على الدعم في النظام السياسي اليمني.

وتقدم شخصية الإمام أحمد مثلاً آخر على الأهمية المعطاة للقمع، فرغم أنه كان حنوناً ورحيماً في بعض النواحي⁽²⁷⁾ لكن كانت لديه نزعة واضحة للقسوة. ويكاد يكون من المؤكد أن القصة التي تتحدث عن أنه حاول متعمداً وهو صبي أن يمتلك عيوناً بارزة مخيفة عن طريق النوم بينما هناك حبال مربوطة بإحكام حول عنقه⁽²⁸⁾ هي قصة مختلفة، لكن هناك أدلة كافية تشير إلى أنه كان يعطي أهمية كبيرة للتخويف. وحتى أثناء حياة والده كان أحمد معروفاً بقسوته. ويقول أحد الكتاب أنه رأى برقية يقول فيها الإمام يحيى لأحمد أن الناس قد ضاقوا ذرعاً بقسوته.⁽²⁹⁾

من الصعب تماماً فصل الحقيقة عن الخيال فيما يخص "المجازر"⁽³⁰⁾ التي ارتكبتها الإمام أحمد، لكن الأدلة الموثقة كافية لتوضيح ميل الإمام إلى القمع العنيف. فبعد ثورة 1948 أعدم 30 شخصاً،⁽³¹⁾ وسجن 40 آخرون.⁽³²⁾ وبعد انهيار انقلاب 1955 تم إعدام 16 شخصاً،⁽³³⁾ كان من بينهم اثنان من أشقاء الإمام. وفي عام 1960 تم قطع رؤوس ثلاثة من شيوخ القبائل.⁽³⁴⁾ وربما كان العقاب المعتدل نسبياً الذي قبلت به محاولة اغتيال الإمام عام 1961، من خلال إعدام شخصين فقط، هو نتيجة لتولي البدر القضية حينما كان والده عاجزاً. تم القبض على آلاف السجناء ثم أطلق سراحهم بعد الثورة.⁽³⁵⁾

3- النوايا الطيبة

بعكس المخرجات والقمع يهدف تحفيز النوايا الطيبة إلى إيجاد دعم متفرق، ويمكن الحصول على هذا الدعم عن طريق استجابات تنتمي إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: تلك التي تسعى إلى بث شعور عميق بالشرعية داخل أفراد النظام ككل وداخل الأفراد الذين يتصرفون بالنيابة عنه؛ ثانياً: تلك التي تستدعي رموز المصلحة المشتركة؛ ثالثاً: تلك التي تعزز وتقوي درجة تماهي الأفراد مع المجتمع السياسي.⁽³⁶⁾

وسوف يتركز النقاش التالي حول الأشكال التي اتخذتها تلك الأنواع من الاستجابات داخل النظام السياسي اليمني.

الإيمان بالشرعية⁽³⁷⁾

لأن الإمامة نفسها كانت مؤسسة دينية فقد كان فقط من الطبيعي أن تتجه إلى الدين كمصدر للشرعية في الإسلام. لا تعتبر الشرعية ثقة تمنح من الرعية للحاكم وإنما هي حق يوكل إليه من الله وتقره الشريعة.⁽³⁸⁾ ومن هذه الفرضية تنبع فرضية أخرى: لا ينظر إلى التمرد على الدولة فقط على أنه مجرد نوع من العصيان المدني، لكنه أيضا عصيان لإرادة الله المعلنة.⁽³⁹⁾ وقد استغل النظام اليمني هاتين الفرضيتين أحسن استغلال.

وكلمة "إمام" نفسها بالعربية تعني في المقام الأول من يقود الصلاة. وكما لو كان ذلك غير كافي فقط اتخذ الأئمة ألقابا تؤكد الطبيعة الدينية لمنصبهم بشكل أساسي. كان الإمام يحيى هو المتوكل على الله،⁽⁴⁰⁾ وأحمد هو الناصر لدين الله والبدر، هو المنصور بالله. ورغم أنه - بعكس التأكيدات الدعائية - لم يعلن الإمام أبدا أنه شخص مقدس لكنه كان المؤتمن على شريعة الله وكان "قائد المؤمنين"، وبهذا كان مستحقا للولاء التام من شعبه.

ولفرض الشرعية المستمدة من الدين حاول الإمام أحمد خلق الانطباع بأن دافعه الوحيد في كل ما كان يقوم به هو تطبيق شرع الله أو إعلاء شأن دينه. ففي توجيهات إلى وزارة 1955 أمر الإمام وزرائه بأن "يتبعوا في كل إجراء الدين الإسلامي وقواعد القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول".⁽⁴¹⁾ وتعليقا على اتفاقية جدة 1956 التي أوجدت تحالفا بين اليمن وكل من مصر والمملكة العربية السعودية قال الإمام أحمد أنه تم توقيع الاتفاقية "لحماية الدين الإسلامي وبلاد المسلمين حتى نكون قد قمنا ببعض من واجبنا حين نقابل الله".⁽⁴²⁾ وكان الاتحاد بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة خطوة تتفق مع "الواجب المحتم علينا لجعل رسالة العرب الخالدة، رسالة الرسول الكريم محمد... حقيقة في هذا العصر"⁽⁴³⁾ وتقررت رحلته إلى إيطاليا عقب الحصول على "إرشاد من الله".⁽⁴⁴⁾ وقد استلهم قراره بإعلان البدر وليا للعهد من حبه الشديد للمسلمين بشكل عام ولليمنيين بشكل خاص.⁽⁴⁵⁾

ولو أن ما يقود الإمام هو الحفاظ على الدين فمن الطبيعي أن أولئك الذين يعارضونه يهدفون إلى تدمير الدين، وأي تصرف عدائي كان يفسر على أنه موجه ضد الإسلام أكثر من كونه موجهها ضده هو شخصا. قال الإمام أحمد أنه لو كان انقلاب 1955 قد نجح لكان اليمنيون قد عانوا من شر عظيم يشبه ما كان يحدث في المحميات "حيث تنتهك الأعراض ويضطهد الدين".⁽⁴⁶⁾ وفي عام 1959 حذر الإمام سامعيه من "النصارى وعملائهم وخدام الكفار الذين يفعلون ما في وسعهم لبذر بذور الشقاق... وعصيان الإمام ومخالفة أوامر الله".⁽⁴⁷⁾

كان المتآمرون الذين حاولوا اغتياله عام 1961 يقدمون "خدمة لأعداء الإسلام".⁽⁴⁸⁾ وأي شخص لم يستجب لدعوته للاصطفاف خلف البدر كان "يخالف أوامر الله".⁽⁴⁹⁾

وقد عمل الإسلام في عدة اتجاهات كقوة لإضفاء الشرعية. كان النظام نفسه عبارة عن مؤسسة دينية وبالتالي كان يمتلك الشرعية. وكان من يشغل منصب الإمام يحظى بثقة الله وبالتالي كان حاكما شرعيا. وكانت السياسات متوافقة مع التعاليم الإسلامية وبالتالي كان يجب تأييدها. وأخيرا فإن خصوم الإمام - من خلال تحدي الشرعية المستمدة من الله - اعتبروا أعداء الله الذين يجب القضاء عليهم بلا رحمة.

ووفرت التقاليد قوة أخرى لإضفاء الشرعية ارتبطت بشكل وثيق بالإسلام، وإن كانت مختلفة عنه. وتعبير "تقليدية" نفسه الذي يستخدم لوصف بعض الأنظمة - بما فيها نظام الإمامة في اليمن - يشهد بالدور المركزي للتقاليد في هذه الأنظمة. كان عمر الإمامة حوالي ألف عام، ولم يستطع مرور الوقت أن يمدّها بنوع معين من الشرعية المستقلة عن مزايا وأداء الأئمة كأفراد. وقد أضيفت إلى ذلك حقيقة أن من قاد الثورات الكبرى هم الأئمة، وهكذا كان بإمكان الأئمة الادعاء أنهم ليسوا فقط الحكام التقليديين لليمن لكنهم أيضا الحراس التقليديون لاستقلاله. وقد صرح ولي العهد البدر بأن الشعب اليمني "لا يقبل سوى الاستقلال تحت حكم الأئمة الذين اختارهم لقيادته وحماية هذا التراث الخالد..."⁽⁵⁰⁾

إلى جانب التأكيد على شرعية الإمامة المستمدة من الدين والتقاليد فقد حاول الإمام أحمد إيجاد شرعية شخصية تقوم على صفاته الخاصة، فكان تشجيع نظم القصائد لمدحه - وهي عادة شائعة بين القادة العرب وبخاصة الملوك - جهدا بذل من أجل خلق صورة إيجابية تساهم في تحقيق شرعيته. ففي خطاباته كان يؤكد على حبه لشعبه: "أنا أبادلكم العاطفة والإخلاص والتعاطف والمودة"،⁽⁵¹⁾ وأنه كان هناك لحمايتهم: "إخوتي وأبنائي... لا تخافوا ولا تقلقوا لأنني مصمم على حماية أمنكم وراحتكم حتى لو كان على التضحية بنفسي".⁽⁵²⁾ وقد لعبت الصحافة دورها في تعزيز شرعية الإمام الشخصية ووصلت إلى أقصى درجات المبالغة. وصف الإمام بأنه "أسطورة التاريخ"⁽⁵³⁾ و"أعظم شخصية إسلامية قوية"⁽⁵⁴⁾ و"واحد من بين علماء الإسلام الرواد"⁽⁵⁵⁾ و"ملاك حنون تفيض في قلبه ينابيع الرحمة والعطف والبر"⁽⁵⁶⁾ و"أحد أبرز رجال القرن العشرين الدارسين للأدب والسياسة والعلوم".⁽⁵⁷⁾

الإيمان بالمصلحة المشتركة

يعد استدعاء مصلحة عامة أو مشتركة تقدم فيها السلطات باعتبارها المتحدث الرسمي باسمها مصدرا آخر للدعم المنتشر رغم أنه ليس مصدرا شائعا.⁽⁵⁸⁾ لكن لم يتم التركيز على ذلك في اليمن، فبينما حاول الإمام جاهدا بث شعور بالشرعية الخاصة بنظامه وبشخصه إلا أنه لم يركز على فكرة المصلحة المشتركة. وكانت هناك عدة أسباب لهذه الحالة من عدم التركيز على المصلحة المشتركة. كان اليمن بالكاد أمة موحدة ذات مصلحة مشتركة واحدة، وكانت الأحوال التي تقود إلى تطوير مصلحة مشتركة - مثل وجود صحافة وإعلام مستقلين⁽⁵⁹⁾ - غير موجودة في اليمن. وبالإضافة إلى ذلك كان قبول أيديولوجية خاصة بالمصلحة المشتركة سوف يفرض قيودا على الإمام، وهو احتمال لم يكن الإمام يفضل. ونتيجة لذلك لا يجد المرء سوى إشارة عابرة إلى المصلحة العامة⁽⁶⁰⁾ بدون أي تفسير أو استرسال.

الدعم المنتشر للمجتمع السياسي

تأخذ الاستجابات لإيجاد دعم المجتمع السياسي "شكل تغييرات وتحفيز لوعي بالمجتمع".⁽⁶¹⁾ وكانت مشكلة المجتمع السياسي تكمن في وجود طائفتين: الزيديين والشافعيين. وهكذا اعتمد نجاح الجهود الخاصة بخلق دعم منتشر المجتمع السياسي على بث الشعور بالانتماء لمجموعة واحدة تشترك في العمل السياسي لدى أتباع كلتا الطائفتين بدلا من كونهم مجموعتين منفصلتين تتحدان معا بشكل مؤقت ومصطنع. وقد كان نجاح الإمام أحمد محدودا في هذا الشأن.

بينما لم تكن لدى الزيديين أية أسباب للشعور بعدم الرضا تجاه المجتمع السياسي فإن الشافعيين شعروا بالاستياء من وضعهم غير المتكافئ. وفي بعض الأوقات كان القادة الليبراليون يفكرون في إمكانية قيام دولة شافعية منفصلة في المستقبل - أي مجتمع سياسي منفصل،⁽⁶²⁾ لكن الإمام لم يعمل على تغيير النظام بطريقة تقوي ارتباط الشافعيين بالمجتمع السياسي.⁽⁶³⁾ لم يكن فقط منصب الإمامة وإنما أيضا الأغلبية العظمى من المناصب العليا بعيدة عن متناول الشافعيين إلى الأبد مثلما بدا الأمر. كان يمكن لهذا بالكاد أن يقود إلى "رؤية توازن عادل للمكافآت".⁽⁶⁴⁾ اتخذت جهود الإمام لبث الشعور بالمجتمع شكل تصريحات شفوية فقط.⁽⁶⁵⁾ كان القمع هو الملاذ الفوري والأساسي لإبقاء المجتمع متماسكا. ويتجسد هذا الموقف في مقال في صحيفة النصر أخبر القراء أنهم لو رأوا شخصا "متحيزا لمجموعة واحدة ويكره المجموعة الأخرى أو يصدر تصريحات خبيثة فيجب عليهم تحطيم فمه الكريه وتخليص المجتمع والدين منه وإبلاغ ملكنا المحبوب عنه".⁽⁶⁶⁾

والأمر المثير للاهتمام هو أنه بدلا من التركيز على المجتمع السياسي القائم فقد حاول الإمام تعزيز الإيمان بمجتمع أكبر يضم المحميات. ولو كان هذا المجتمع قد تكون فكان سيعني زيادة مهمة في عدد السكان الشافعيين، وبلا شك كان الدافع الأساسي لتبني فكرة مجتمع أكبر هي اقتناع الإمام الفعلي بأن المحميات هي جزء لا يتجزأ من اليمن. لكن المرء يتساءل عما إذا كان الدافع الآخر هو محاولة تعزيز ولاء الشافعيين للمجتمع القائم، على أمل أنه يوما ما سيكون لهم نصيب في المجتمع الأكبر. لكن أيا كان الأمر فإن الفكرة لم تكن مناسبة، ولم يؤد تبنيها إلى زيادة ملحوظة في ارتباط الشافعيين بالمجتمع القائم.

(1) محمد محمود الزبيري، الإمامة وخطورتها على وحدة اليمن (بيروت: الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ)، ص 12.

(2) حتى في اليمن نفسه كان هناك عدد قليل جدا من "الخبراء" في شئون القبائل، وكان الإمام أحمد يعتبر واحدا منهم.

(3) The Arab Bureau, Handbook of Yemen (Cairo: Government Press, 1917).

(4) السبب في هذا التباين هو أن معظم القبائل الشافعية فقدت تنظيمها القبلي وأصبحت مقسمة إلى بيوت – أي أسر ممتدة.

(5) محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965) ص 33.

(6) انظر سبأ، 10 سبتمبر 1959، 1.

(7) انظر محمد حسن، قلب اليمن (بغداد: مطبعة المعارف، 1947)، ص 136-141.
(8) "زادت الاضطرابات والانقلابات في العالم العربي خلال الخمسينيات من اعتماد الأنظمة الملكية على مؤسساتها العسكرية؛ حصل الضباط على امتيازات خاصة بالإضافة إلى مكانة جديدة في المجتمع."

Hisham Sharabi, Nationalism and Revloution in the Arab World (Princeton: D. van Nostrand Co., Inc., 1966), p. 50.

لم يحدث مثل هذا التطور في اليمن.

(9) التعبير العربي الجيش البراني يعني حرفيا الجيش الخارجي.

(10) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.

(11) في عام 1960 فكر الإمام أحمد في تكوين جيش وطني بحيث يتم فيه دمج المؤسسات الثلاثة، لكن لم يتحقق شيء من هذه الفكرة. انظر أدناه ص 111-112.

(12) بعد الثورة أشار رئيس الوزراء عبد الله السلال باحتقار إلى "حكومة العمامة".

Summary of the World Broadcasts Part 4 (London: B.B.C.) 10-10-1962, p. 3.

(13) ما بين 1955 و 1962 كان كل نواب الملك من السادة - باستثناء نائب الملك في الحديدة. في 36 تعيينا تم الإعلان عنها ما بين 1955 و 1957 تراوحت بين حكام الأقاليم وموظفي المحاكم كان 30 من المعينين من السادة، النصر، 29 يوليو 1955، ص؛ 3 يناير 1956، ص 18؛ 17 فبراير 1957، ص 6؛ 22 سبتمبر 1957، ص 8.

(14) من بين 12 منصب وزاري في وزارة 1955 شغل 5 مناصب منها قضاة، انظر الإيمان 16 سبتمبر 1955، ص 1.

(15) David Easton, A Systems Analysis of Political Life (New York: John Wiley & Sons. Inc., 1967), p. 275.

(16) Ibid.

(17) Ibid.

(18) انظر على سبيل المثال الإيمان، 15 نوفمبر، 1955، ص 4؛ 15 ديسمبر 1955، ص 4؛ 13 يناير 1956، ص 5.

(19) انظر النصر، 16 فبراير 1956، ص 7؛ 8 ديسمبر 1956، ص 8.

(20) انظر الإيمان، 15 ديسمبر 1955، ص 1.

(21) عبارة للاتحاد اليمني اقتبسها حسن إبراهيم في اليمن، (القاهرة: دار المعارف، لا يوجد تاريخ)، ص 177.

(22) النصر، 29 يونيو 1960، ص 1.

(23) Easton, op. cit., p. 276.

(24) Ibid.

(25) انظر أعلاه ص 37-39.

(26) تشير حقيقة أن الثوار لم يتوقعوا أو يواجهوا أي استهجان أخلاقي بسبب الإعدامات المتعددة التي أعقبت ثورة 1962 إلى المدى الذي أصبح عليه القمع مقبولا ومتوقعا في اليمن.

(27) اشتهر أحمد بولعه بالأطفال والحيوانات؛ انظر

D. van Der Meulen, Faces in Shem (London: John Murray, 1961), p.145.

(28) Harold, Ingrams, The Yemen, (London: John Murray, 1963), p. 14.

(29) Ibid.

(30) على سبيل المثال يروي البيضاني قصة مدهشة عن 1100 شخص تم إعدامهم في ليلة واحدة تنفيذاً لأوامر أحد الأمراء، عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 29-30.

(31) "اليمن في طريق الثورة"، اليمن الجديدة (سبتمبر 1963، ص 7)

(32) أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1963) ص 330.

(33) "اليمن في طريق الثورة"، نفس المرجع، ص 7-8.

(34) المرجع المذكور، ص 8.

(35) The Times, October, 9, 1962.

(36) Easton, op. cit., p. 277.

(37) "ربما غرس شعور بالشرعية هو الأداة الوحيدة الأكثر فاعلية في تنظيم تدفق الدعم المنتشر لصالح كل من السلطة والنظام"، المرجع المذكور، ص 278.

(38) Sharabi, op. cit., p. 16.

(39) المرجع المذكور، ص 16-17.

(40) وبالتالي كان الاسم الرسمي لليمن هو مملكة اليمن المتوكلية.

- (41) الإيمان، 16 سبتمبر 1955، ص 1.
- (42) النصر، 7 سبتمبر، 1956، ص 8.
- (43) النصر، 19 مارس، 1959، ص 8.
- (44) النصر، أبريل 1959، ص 8.
- (45) النصر، 26 أكتوبر 1961، ص 16.
- (46) النصر، 14 أغسطس 1953، ص 8.
- (47) النصر، 15 أغسطس، 1959، ص 8.
- (48) النصر، 18 مايو 1961، ص 8.
- (49) النصر، 26 أكتوبر 1961، ص 16.
- (50) الإيمان، 17 أكتوبر 1955، ص 8.
- (51) النصر، 18 مايو 1961، ص 8.
- (52) النصر، 15 أغسطس 1959، ص 8.
- (53) النصر، 5 ديسمبر 1957، ص 8.
- (54) النصر، 2 ديسمبر 1960، ص 1.
- (55) نفس المصدر، ص 8.
- (56) نفس المصدر.
- (57) النصر، 17 نوفمبر 1960، ص 2.

(58) Easton, op., cit., p. 311-312.

(59) Ibid., p. 319.

(60) انظر على سبيل المثال مرسوم الإمام أحمد في الإيمان، 16 سبتمبر، 1955، ص 1.

(61) Easton, op., cit., p. 320.

(62) هذا الكتاب هو إعادة تقديم للمناقشات السياسية التي جرت بين مجموعة من الليبراليين والضباط في أحد السجون باليمن. وقد أصبح معظم المشاركين شخصيات أساسية في ثورة 1962. ويقدم هذا الكتاب رؤى مهمة غير متوفرة في أي موضع آخر لأفكارهم وخططهم في ذلك الوقت، كما يشرح بعضاً من تحركاتهم المستقبلية.

(63) نحن مهتمون هنا بالاستجابات التي بادر بها النظام. لو تبيننا وجهة النظر الأوسع للنظام السياسي فيمكن أن ينظر إلى الثورة نفسها باعتبارها تغييراً في النظام يهدف – من بين أمور أخرى – إلى خلق دعم أعمق للمجتمع السياسي.

(64) Easton, op., cit., p. 321.

(65) انظر أعلاه ص 40.

(66) النصر، 23 ديسمبر، 1957، ص 13.

الفصل الخامس

النظام في المعركة

انطلاقاً من الافتراض بأنه في أي نقطة من الزمن سيكون النظام "نتاج التكيف وسط ضغوط من أجل أهداف أو قواعد أو هياكل جديدة يحفزها التغيير الاجتماعي والقيود المفروضة من الأعراف والممارسات"،⁽¹⁾ سوف يحاول هذا الفصل تتبع أهم الضغوط ذات الصلة التي واجهها النظام اليمني وطريقة تجاوبه معها على الصعيدين الداخلي والخارجي.

1- الشؤون الداخلية

1948-1954: السنوات المحافظة

رغم أن أحمد شغل مناصب مهمة أثناء حياة والده لكن طبيعة النظام لم تسمح له بأن تكون له سلطة حقيقية. ومنذ عام 1931 أعطي الانطباع بأنه رجل "كان يمتلك أفكاراً جيدة وخططاً عظيمة ورأى الوقت يمر بدون أن يكون قادراً على تنفيذها".⁽²⁾ كانت هناك عدة أمور يجب القيام بها في اليمن وكان أحمد ينوي القيام بها بمجرد أن يصبح إماماً لكن لم تأت الفرصة حتى عام 1948، وحتى عندئذ لم يستطع تولي السلطة بسلام باعتباره ولي العهد المحبوب من الجميع، وإنما تولّاها بشكل عنيف باعتباره الرجل الذي أثبت أنه أقوى من كل خصومه.

شهدت الأربعينيات ظهور الليبراليين الذين أصبحوا أعداء أحمد لأنهم كانوا خصوماً للنظام، وهكذا حرم أحمد من العناصر الوحيدة التي كانت مستعدة و- إلى حد ما قادرة - على إدخال وتنفيذ الإصلاحات في اليمن. كان بعض الليبراليين البارزين رفقاء أحمد وأصدقائه الشخصيين في الماضي، ومن المؤكد أنه وجد عداءهم الجديد محيراً وغادراً. لكن الليبراليين كانوا على استعداد للقبول بأحمد كإمام لو أنه وافق على قيود دستورية لسلطته وهذا ما رفضه أحمد تماماً.⁽³⁾ كان إدخال إصلاحات أمراً يمكن لأحمد التفكير فيه لكن تقييد سلطته كان ببساطة أمراً غير مقبول على الإطلاق.

بحلول عام 1948 كانت القوى السياسية في اليمن مستقطبة: ساند الليبراليون الثورة بينما دعم المحافظون أحمد. وضاعت فرصة التحالف بين أحمد والليبراليين مع إعدام أولئك

الذين لعبوا دورا كبيرا في الثورة وسجن أولئك الذين لعبوا دورا صغيرا فيها. بدأ حكم أحمد بطريقة مشيئة.

كان أخوة أحمد قد وقفوا بجانبه أثناء الثورة والآن حان الوقت لمكافأته وإظهار جبهة عائلية قوية. كانت حكومة أحمد الأولى شأنا عائليا تماما تقريبا. أصبح أخوه الحسن رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية وفيما بعد نائب الملك في صنعاء أيضا، وشغل أخوته علي وإسماعيل ويحيى وعبد الله والقاسم مناصب وزارية. لكن أحمد لم تكن لديه ثقة كاملة في أخوته، ولأنه اضطر إلى الاعتماد على أشخاص لم يثق فيهم بشكل كامل فقد استمر أحمد في ممارسة عمله بمفرده تقريبا.

كان أحمد يدرك أن هناك حالة من عدم الرضا في البلاد لكن بالنسبة له كانت الثورة ناتجة عن الخيانة أكثر كونها ناتجة عن مظالم حقيقية منتشرة. كإمام كان أحمد يعتبر أن من واجبه أن يحدد ما هو مفيد لشعبه لكنه كان يشعر أنه غير مدين للشعب بشيء. لقد وصل إلى السلطة بفضل الله وبسبب شجاعته وليس باعتباره ممثلا لشعبه، وهكذا لم يكن يشعر بأي حاجة لإيجاد دعم من خلال إصلاحات بعيدة المدى. وبالإضافة إلى ذلك فإن أولئك الذين كانوا مهتمين بالإصلاحات والذين كانوا سيمارسون ضغوطا على الإمام حتى يقوم بإجرائها تم سجنهم، كما أن القوى التي أوصلته إلى النصر كانت أبعد ما يكون عن الاهتمام بالإصلاحات، وكان أخوته - باستثناء عبد الله - ذوي اتجاهات محافظة. أضف إلى ذلك تردد أحمد في تفويض صلاحياته ورفضه تغيير هيكل النظام وسيصبح من الواضح لماذا لم تتحقق أي إصلاحات جذرية.

ومع ذلك كانت هناك تغييرات. سمح للممثلين الدبلوماسيين بالإقامة في اليمن كما تم إنشاء بعثات دبلوماسية يمنية في الخارج. توسعت الاتصالات الدولية بالتدريج وجرى شراء أسطول صغير من الطائرات الحديثة. ازداد الإنفاق على الصحة والتعليم، وقدمت طلبات إلى الأمم المتحدة من أجل الحصول على مساعدات تقنية. وأعقب التفكير الجاد في استغلال ثروات البلاد المعدنية تقديم تنازلات فعلية للشركات الأجنبية.

لكن هذه التغييرات التي كان الإمام يعتبرها مذهلة تقريبا لم تحدث أي تغيير يذكر في تخلف اليمن بل ومررت مرور الكرام دون أن يلاحظها أحد. لم تتغير النظرة المحافظة توازت الخطوات المبدئية نحو التحديث مع خطوات في الاتجاه المعاكس، فبينما كان الإمام أحمد يقوم باستمرار بتجربة أفكار جديدة كانت القوى المحافظة بقيادة الحسن تعمل على إعاقة. استحدث الحسن ضوابط جديدة تحد من حرية الأجانب الذين يعيشون في صنعاء ونتيجة لذلك تراجع عددهم إلى أربعة.⁽⁴⁾ وفي عام 1955 أمر البعثة اليمنية في القاهرة بسحب الطلاب اليمنيين من كلية التجارة موضحا أن اليمن لم يكن بحاجة لمثل هذا النوع من التعليم.⁽⁵⁾ وبحسب ويندل

فيلبس الذي كان يقود فريقا أثريا بالكشف عن البقايا الأثرية في مأرب أن الحسن كان مسئولاً عن فشل المشروع.⁽⁶⁾

وأثناء بداية الخمسينات لم تكن هناك معارضة نشطة داخل اليمن كما لم يكن هناك سوى أنشطة بسيطة من الاحتجاج في الخارج. كان الخطر الوحيد على حكم أحمد نابعا من أخوته الذين كان لاثنتين منهم - عبد الله والحسن - طموحات محددة إن لم يكن لأخذ مكان منصب الإمام فعلى الأقل لخلافته. لكن أحمد كان يفكر في تعيين ابنه وليا للعهد، وربما كانت رغبته في جمع مؤيدين للبدر إلى جانب إدراكه أن المحافظين تحت قيادة الحسن كانوا يزدادون قوة أكثر من اللازم هو ما قاد الإمام لإجراء مصالحة مع الليبراليين المسجونين.

كانت اتصالات أحمد مع الزعيم الليبرالي أحمد نعمان قد بدأت بالفعل عام 1948 أرسل أحمد برقية لنعمان يطلب منه مذكراته التي تغطي فترة الثورة لكي يقوم بإضافتها إلى ملاحظته. رد نعمان موضحا موافقته ومضي يشكو من الظروف القاسية السائدة في السجن. استمر الحوار وحاول نعمان إقناع الإمام بإصدار عفو عام وجعل السجناء "جنود البدر الذي يجب أن يصبح وليا للعهد."⁽⁷⁾ ورغم معارضة أخوته فقد أفرج أحمد عن معظم السجناء الليبراليين عام 1954، وفور الحصول على الحرية انطلق اثنان من الزعماء الليبراليين - نعمان وعبد الرحمن الإيراني - فورا للحصول على دعم شعبي لمطلب جعل البدر وليا للعهد. وفي السنوات التالية برر الليبراليون مصالحتهم مع الإمام بالإشارة إلى أنها كانت خطة لتقسيم الأسرة الحاكمة.⁽⁸⁾ وسواء كان ذلك هو دافعهم الحقيقي أو - مثلما يبدو أكثر احتمالا - أنهم قد علقوا آمالا حقيقية على البدر - ما زال أمرا محل خلاف. على أي حال وفر الليبراليون أكبر مصدر للدعم للبدر وأصبح نعمان والإيراني مساعدين ومستشارين مقربين للإمام أحمد.

انقلاب 1955

كانت هناك شخصيتان بارزتان خلف انقلاب 1955: المقدم أحمد الثلايا والأمير عبد الله. كان الثلايا متورطا في ثورة 1948 وسجن لمدة عامين ثم تم الإفراج عنه وتعيينه مسئولا عن تدريب الجيش النظامي. زاد من حماسه الثوري الاستياء الذي شعر به ضباط الجيش النظامي بسبب وضعهم المتدني، وكان الأمير عبد الله أكثر أخوة الإمام أحمد ليبرالية. كان الابن المفضل لدى والده وربما كان تأثيره على والده هو ما قادة لأن تصبح لديه طموحات في الإمامة. وعندما أصبح معروفا بشكل عام أنه سيتم تعيين البدر وليا للعهد رأى عبد الله في الأمر

تهديدا لطموحاته فصمم على مقاومة ذلك، حيث أصبح على استعداد للانضمام إلى الثلايا حين بدأ تمرده

لم يكن الانقلاب مخططا له جيدا ولم يتم تنفيذه بحرص. بدأ الانقلاب باشتباك بسيط بين سكان إحدى اقري بالقرب من تعز وأربعة جنود من الجيش النظامي في 25 مارس 1955. وانتهر الثلايا الفرصة وقاد حامية تعز التي كان يبلغ عددها خمسمائة فرد في حملة تأديبية ضد سكان القرية. وحين عاد إلى تعز أقنع جنوده الذين أصبحوا يشعرون بالخوف من رد فعل الإمام على حملتهم غير المصرح بها أن يحاولوا محاصرة قصر الإمام. اتصل الثلايا بعبد الله تلفونيا واتفق الاثنان على الخطوة التالية. اتصل عبد الله تلفونيا بالإمام أحمد ليطلب الإذن بمقابلة المتمردين ومناقشة مطالبهم. أعطاه أحمد موافقته فذهب عبد الله إلى قيادة الجيش. تم استدعاء كبار الشخصيات الدينية والمسؤولين الحكوميين وأخبرهم عبد الله والثلايا أنه نظرا لتدهور حالة الإمام الصحية فإن عليه التنازل عن العرش لعبد الله.⁽⁹⁾

أرسل وفد يحمل هذا المطلب إلى الإمام اقترح الإمام تسليم السلطات التنفيذية لعبد الله مع الاحتفاظ بمنصب الإمامة. تم رفض هذا العرض وأجبر أحمد على توقيع تنازل نص على ما يلي:

بعد ما حدث أرشدنا الله الآن جميعا لأن نقوم بما هو أفضل. لقد نقلنا ثقتنا إلى أخينا سيف الإسلام⁽¹⁰⁾ عبد الله وتنازلنا له عن السلطة بشرط أن يتولاها ويدير كل شيء بحسب شرع الله لا يوجد شيء آخر لمناقشته. جرى هذا التنازل في حضور العلماء. ليعد الجميع إلى مواقعهم ويقوموا بعملهم. يجب على الجميع الامتثال لأوامر (عبد الله) ...⁽¹¹⁾

بعد الحصول على تنازل أحمد اصدر كلا من عبد الله والثلايا بيانان خاطب عبد الله في بيانه الشعب اليمني قائلا :

نحن نعلن للعامة في ضوء اعتلال الصحة المستمر لدى مولانا الإمام - شفاه الله - وعدم قدرته على مقابلة الناس والقيام بمهامه مما أدى إلى إهمال وتراكم الأعمال التي لم تنجز بشكل سبب صعوبات لأصحاب المطالب والشكاوي وغيرهم وخلق حالة منتشرة من عدم الرضا فقد طلب الجيش والعلماء والوجهاء من جلالته أن يتنازل لنا عن الحكم وهو ما فعله. وقد حصلنا على مبايعة الجميع ورأينا من

المناسب أن نلبى تلك الرغبة العامة ونتولى السلطة من أجل منع التدخل الأجنبي وتجنب الشقاق وسفك الدماء والفوضى.⁽¹²⁾

وجه الثلاثيا بيانه إلى القوات المسلحة وقد أحتوي البيان على رؤية نادرة لإدراك ضباط الجيش النظامي لوضعهم:

نحن أخوتكم ضباط وجنود الجيش في تعز عانينا التجاهل والإذلال والإهمال الذين يشعر بهم الجيش اليمني في كل موقع فيما يخص الرواتب الهزيلة وسوء المعاملة في عدة نواحي حتى أصبحنا محقرين وعانينا مصاعب الحياة. لقد قمنا بدورنا تجاه ديننا وقبيلتنا وعروبنا وتوصلنا لاتفاق مع صاحب الجلالة الإمام أحمد. وحمد الله قد وافق بالفعل على التنازل عن الحكم لأخيه سيف الإسلام عبد الله حفظه الله والجميع راضون عن هذا.⁽¹³⁾

ولم يعر المتمردون فيما بعد انتباها لأحمد وانشغلوا بتثبيت أنفسهم. جرى توزيع نسخ من وثيقة التنازل في أنحاء البلاد وأبلغت الحكومات الأجنبية بتغيير النظام. طلب عبد الله من أخيه العباس تشكيل حكومة جديدة، لكن أحمد لم يستسلم لمصيره أبدا... نجح في إرسال رسل سرا إلى القوات المحاصرة لقصره وربح عددا منهم في صفه. كذلك أرسل رسلا آخرين للجنود الموالين له والمسؤولين عن مواقع المدفعية في ضواحي تعز، وطلب منهم فتح النار على ثكنات الجيش عند الحصول على إشارة معينة.

وأثناء ذلك لم يضيع البدر وقتا في الحديدة في محاولة إنقاذ والده. انضم إليه وساعده نعمان الذي ترك تعز بإذن من المتمردين بدعوى نصح البدر بقبول الوضع الجديد. سافر البدر إلى حجة وشكل قوة قبلية مكونة من بضعة آلاف وتقدم نحو تعز. اشتركت الأخبار الواردة عن تقدم القوة مع هجمات المدفعية بالإضافة إلى انشقاق بعض المتمردين إلى جانب الإمام في نشر الفرع بين المتمردين الباقين الذين بدأوا بالفرار. وبحلول الخامس من أبريل تمت استعادة النظام وأصبحت للإمام أحمد السيطرة الكاملة.⁽¹⁴⁾

1962-1955: سياسة محافظة في الداخل وسياسة ليبرالية في

الخارج

كانت النتيجة الأهم التي أعقبت الانقلاب هي إزالة المعارضة الموجهة ضد الإمام داخل العائلة المالكة. تم إعدام عبد الله والعباس، ورغم أن الحسن كان في القاهرة أثناء الانقلاب ولم يثبت أي تورط له فإن الإمام الذي كان قلقا من نفوذه المتزايد أعفاه من مناصبه وعهد إليه

بالبعثات الدبلوماسية في الخارج. رأس الإمام بنفسه الحكومة الجديدة، وكان البدر نائبا لرئيس الوزراء كما أعلن رسميا كولي للعهد.

سرعان ما أصبح الليبراليون محبطين من النظام. ومع غياب أي معارضة نشطة ضد البدر وتحييد الحسن، لم يعد الإمام بحاجة إلى الحصول على تأييدهم. لقد ثبت أن آمالهم بشأن إصلاحات واسعة يقوم بها البدر كانت واهمة. لم يكن البدر في وضع يتيح له تنفيذ أي أفكار بدون موافقة والده. وجاءت النهاية عندما ترك نعمان اليمن لأداء شعائر الحج وفر من السعودية إلى مصر لينضم إلى المعارضة ضد النظام.

كان الإمام أحمد عندئذ في وضع يتيح له تجربة نسخته من التحديث بدون أي عوائق سواء من زعماء المحافظين الذين عارضوا أي سياسة جديدة أو من الليبراليين الذين أرادوا أن يمشوا بعيدا. وسرعان ما اتضح أن التحديثات التي أدخلها الإمام أحمد كانت مقتصرة على السياسة الخارجية. في السنوات التي تلت 1955 انتهت عزلة اليمن التقليدية، فلأول مرة تشارك اليمن بشكل نشط في الشؤون العربية. كذلك تم إبرام سلسلة من الاتفاقيات مع دول الكتلة الشرقية، كما تم شراء الأسلحة من روسيا. تضاعفت البعثات الأجنبية في اليمن وكانت المساعدات تقبل على نطاق واسع من الشرق والغرب. وفي عام 1959 قدرت الإيكونوميست أن هناك 700 شيوعي صيني و200 شيوعي أوربي في اليمن.⁽¹⁵⁾ وكان للسياسة الخارجية النشطة الجديدة تأثير مفيد على التطور الاقتصادي لليمن. تم تنفيذ عدة مشروعات كبرى بمساعدة أجنبية، وبحلول عام 1960 كان الشيوعيون الصينيين يشقون طريقا بين صنعاء والحديدة، وكان الأمريكيان يعملون على إقامة طريق بين صنعاء وتعز، بينما كان الروس يقومون بإنشاء ميناء جديد في الحديدة.

لكن الإمام أحمد لم يكن مستعدا للذهاب أبعد من الموافقة على مثل تلك المشروعات؛ أبقى النظام كما هو دون أن يتم المساس به، ولم تجر محاولة لإعادة تنظيم آلية عمل الحكومة. وحتى الإصلاحات الأساسية - مثل إدخال العملة المعدنية وإنشاء بنك مركزي - لم يتم تنفيذها. جرى تجاهل توصيات العديد من الخبراء. بدا أن الإمام كان راضيا بالنظام الحكومي الذي كان يرأسه، وهكذا لم تكن هناك سياسة ليبرالية داخلية توازي السياسة الليبرالية الخارجية الجديدة. وجد البدر الذي كان متلهفا على البدء في الإصلاحات الداخلية أن خطه قد تعطلت. كان البدر مخلصا لوالده لكنه لم يكن قادرا على التأثير عليه للاتجاه نحو الليبرالية، فأبقى على إذعانه غير المريح.⁽¹⁶⁾

وحين مارس دوره باعتباره المتحدث الرسمي الملكي باسم الإصلاحيين لم تتم إعاقته فقط بواسطة والده - الذي كان يؤمن بأنه لا يجب أن تتدخل أي إصلاحات في هيكل النظام -

وإنما أيضا بواسطة أعضاء الأسرة المالكة الذين رأوا في أفكاره تهديدا لامتيازاتهم، وكذلك بواسطة الزعماء القبلين والدينيين المحافظين بشكل تقليدي والذين اعتبروه شابا متفرنجا يفتقر إلى التقوى والوقار اللازمين للإمام. كان صديق البدر القديم أحمد نعمان حينئذ في مصر يقود حمله ضد النظام. وفي كل هذه الظروف اعتبر البدر أن أفضل نهج هو أن يجذب حوله مجموعة من أقرانه الليبراليين المخلصين. كان الضباط الذين سجنوا بعد 1948 وأطلق سراحهم عام 1955 جزءا من هذه المجموعة، وكان عبد الله السلال واحدا من هؤلاء الليبراليين.

مع رحيل الإمام إلى روما في أبريل 1955 اعتبر البدر كوصي على العرش أن الوقت قد حان لتنفيذ بعض من خططه فقام بإنشاء "مجلس نيابي" لمساعدته، وأمر بزيادة 25% في رواتب كل أفراد القوات المسلحة، كما طلب عدة فرق متنوعة من الخبراء المصريين. أعطت خطابه الانطباع بأن هناك انفصالا جذريا عن الماضي:

أود أن أخبركم عن الأهداف التي تعهدت بتحقيقها لكن لم يسمح لي
القدر بالبداية في تنفيذها حتى الآن. لقد ورثنا بقايا فاسدة من الماضي
وكنتم أنا نفسي ضحية لهذا الفساد؛ كانت بقايا الماضي حجر عثرة.
(17)

وفي خطاب آخر قال:

كان أول ما قمت به حينما توليت السلطة هو إحضار بعثة اقتصادية
من الجمهورية العربية المتحدة... لقد وافقت على معظم التوصيات
الصادرة عنها وأنا الآن في انتظار المزيد من البعثات من الجمهورية
العربية المتحدة من أجل بدء مهمة تنظيم آلية العمل الحكومي. يجب
أن نحضر هذا العام عدة مدرسين وخبراء من مختلف الأنواع من
الجمهورية العربية المتحدة. وقد قررت أيضا إقامة ثلاث مدارس
للتعليم الزراعي والتجاري والصناعي. (18)

لكن البدر لم يترك في سلام لينفذ برامجه. كان القمع قد أبقى على العديد من المظالم تحت السيطرة لكن غياب الإمام المهذب أوضح الحقيقة فنشأت عدة اضطرابات متنوعة. أبدت القبائل الشمالية مؤشرات على التملل وكان على البدر ضمان تأييدهم عن طريق المنح. وتطورت حوادث صغيرة شارك فيها جنود من الجيش النظامي في صنعاء وتعز إلى اضطرابات واسعة النطاق. (19) شعر البدر أنه مضطر للجوء إلى أسباب قمعية وأعقبت ذلك موجة من الاعتقالات.

عاد الإمام أحمد في أغسطس. كان أحمد مقتنعا أن ضعف البدر كان هو المسئول عن الاضطرابات فقدم عقب وصوله تحذيرا حاسما بأن أي أعمال تمرد سوف تقابل بالقسوة. قال أن بعضا من أولئك المسئولين عن القلاقل سيتم إعدامهم بينما سيتم قطع أيدي وأرجل البعض الآخر.⁽²⁰⁾ وفي الحال أعدم شخص وقطعت يد شخص آخر.⁽²¹⁾ طالب الإمام القبائل بالأموال التي حصلوا عليها من البدر فأعطيت له. وضعت نهاية للمؤشرات الأولية على التمرد بين القبائل الشمالية من خلال الإعدام الغادر لحسين بن ناصر الأحمر شيخ قبيلة حاشد البارز وابنه حميد بالإضافة إلى شيخ ثالث، وتمت استعادة النظام في الحال. ألغيت كل إجراءات البدر الليبرالية وفقد مكانته لفترة قصيرة.

لكن الهدوء الذي فرضه الإمام كان هدوءا مشوبا بالقلق. كانت القبائل الشمالية مملوءة بالغضب والاستياء: أُلقيت القبائل بالقرب من منازل كبار المسئولين.⁽²²⁾ كان هناك اضطراب في المدارس، وحذرت وزارة التعليم المدرسين من التدخل فيما لا يعنيهم.⁽²³⁾ بدا أن الإمام قد توصل لاستنتاج مفاده أنه لا يمكن الاعتماد ليس فقط على ولاء الجيش النظامي وإنما أيضا على ولاء القبائل الشمالية، فبدأ يفكر في إنشاء جيش جديد يخلص له تماما. قالت صحيفة سبأ أنه بعد "التصرفات الدموية والمخزية" لبعض جنود الجيش في تعز طلبت معظم القبائل اليمنية من الإمام السماح لأفرادها بالانضمام إلى جيش جديد خاص بالإمامة. وقد قبل الإمام طلبهم بشرط ألا يكون أي من المنضمين للجيش الجديد قد خدموا سابقا في الجيش.⁽²⁴⁾ وفيما بعد كانت تتم الإشارة إلى "الجيش الوطني" الجديد.⁽²⁵⁾ وصرح الأمير عبد الرحمن شقيق الإمام في القاهرة بأن الإمام كان مهتما جدا بإعادة تنظيم الجيش.⁽²⁶⁾

حتى مارس 1961 كان الإمام بصحة جيدة وكان يتكيف بنشاط مع الوضع المضطرب، لكن في ذلك الشهر جرت محاولة جادة لاغتياله بينما كان يقوم بزيارة مستشفى الحديدة. نفذ مؤامرة الاغتيال ثلاثة ملازمين في الجيش النظامي: عبد الله العلفي وعبد الله اللقية ومحسن الهنداونة. استغل العلفي منصبه كضابط أمن في المستشفى فمنع معظم حراس الإمام الشخصيين من دخول المستشفى مع الإمام، ثم قاموا بالضباط بحجز الإمام في صالة المستشفى وأطلقوا الرصاص عليه. سقط الإمام فاعتقد المهاجمون أنه قد مات وفروا هاربين. ورغم إصابته الشديدة فقد نجا الإمام من الموت. وبعد ذلك بوقت قصير حاصر الحرس الملكي العلفي فأطلق الرصاص على نفسه بينما تم القبض على شريكه.⁽²⁷⁾

كشف التحقيق الأولي مع الهنداونة واللقية أن عبد الله السلال كان على علم بالمؤامرة، لكن البدر الذي عاد مسرعا من رحلة في الخارج قام بتشكيل لجنة تحقيق أخرى كان السلال عضوا فيها، وأمرها بقصر التحقيق على دور المهاجمين الثلاثة وعدم البحث أبعد من

ذلك. (28) بدا من الواضح أن البدر كان يمتلك ثقة كاملة في السلال وكان مقتنعا أن المسؤولية الوحيدة عن محاولة الاغتيال تقع على عاتق المهاجمين الثلاثة الذين قاموا بتنفيذها. وفي مايو تم إعدام كل من الهنداونة واللقية. (29)

لم يتعاف الإمام تماما رغم تأكيدات الصحافة اليمنية المتكررة بعكس ذلك. فمنذ وقت إصابته وحتى وفاته في سبتمبر 1962 لم يكن الإمام قادرا صحيا على التعامل مع مصاعب منصبه. في أي نظام حكومي يؤدي عجز رأس السلطة التنفيذية إلى عواقب خطيرة، وبالنسبة للنظام اليمني كانت العواقب كارثية. كان عمل النظام متوافقا مع أداء الإمام، وحين أصبح هذا الأداء ضعيفا بدأ النظام ككل يعمل تحت ضغط. لم يكن فقط من الصعب القيام بأعمال الحكومة اليومية، لكن الأهم هو أنه لم يكن يتم الالتفات إلى المطالب وفحصها، كما لم يكن هناك رد فعل قوي تجاه المستوي المتراجع للدعم.

كرر أحمد خطأ والده بالتمسك بالمنصب رغم عجزه الواضح. وجهت إليه نصائح بالتنازل عن العرش لصالح البدر لكن بلا جدوى. ربما تفسير هذا السلوك يرجع إلى أنه حين يمنح نظام رجلا واحدا كل هذه القوة الهائلة فإن ذلك يقوده إلى اعتقاد راسخ بأنه لا يمكن الاستغناء عنه. في الأيام التي تلت محاولة الاغتيال تولي البدر مسئوليات أكبر وقيل أنه كان "يدير كل إدارات الحكومة". (30) لكن الإمام تعافى بشكل سريع بما يكفي لأن يخبر الجميع في خطاب أنه كان بصحة جيدة (31) و، بشكل ضمنى، أنه يسيطر على الأمور بشكل كامل. وهكذا فرغم أن البدر كان "يعقد جلسات علنية يومية لفحص شكاوي الناس". (32) استمر الإمام في "مراجعة شئون الدولة الداخلية والخارجية"، (33) وأشار رحيل البدر إلى أوروبا في أغسطس بشكل واضح إلى أن الإمام لم يكن بحاجة شديدة لوجوده في اليمن. وقد أدى قرار الإمام بعدم التنازل عن منصبه لصالح البدر أو تفويض صلاحياته له إلى التكهّن بأن الإمام ربما غير رأيه فيما يخص موضوع خلافته. اعتقد البعض أن الحسن ربما يحل محل البدر كخليفة للإمام. وفي أكتوبر وجد الإمام أنه من الضروري تبديد الشكوك فأعاد الإعلان بوضوح عن اختياره للبدر كخليفة له.

أعقبت انهيار الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة ومصر في ديسمبر 1961 حملة دعائية من القاهرة موجهة ضد النظام. وقد أضاف هذا الضغط الجديد إلى الصعوبات الداخلية التي تمثلت في صورة قبائل متنافرة وشغب طلابي واضطرابات عامة. ولم يكن الإمام - الذي كان مريضا ولا يمكن الوصول إليه تقريبا - ولا البدر - الذي كان لا يزال بدون سلطة كاملة - قادرين على تقديم استجابات منسقة للتكيف مع مؤشرات تراجع الدعم. حملت بعض الاستجابات بصمة البدر الليبرالية، بينما عكست استجابات أخرى ميل الإمام للقمع. وهكذا تم الإعلان عن

برنامج عاجل للإصلاحات في صيف 1962.⁽³⁴⁾ وفي نفس الصيف جرى التعامل بقسوة مع إحدى القرى،⁽³⁵⁾ كما أطلق الرصاص على المتظاهرين في صنعاء وتعز. ومع كون الإمام عاجزا لكن مسيطرا على الأمور كان النظام كما يبدو غير قادر على استخدام القمع أو المصالحة باستمرار، وكانت الاستجابات النهائية توافقا عشوائيا بين الاثنين. استمر هذا الوضع حتى وفاة الإمام في 19 سبتمبر وتولي البدر السلطة بالكامل.

تولي البدر السلطة

كإمام وجد البدر نفسه أخيرا في وضع يتيح له إدخال الإصلاحات التي طال انتظارها. وفي أول خطاب له عند توليه العرش صرح قائلاً:

أتعهد بأن أكون مخلصا للشعب وأن أدم المظلوم وأحافظ على العدالة... سوف نقوم بإدخال ضوابط جديدة لكي نضمن للمواطنين حقوقهم بما يتوافق مع ما هو موجود في العالم الحديث، وسوف نقوم بإدخال خطط بناءة من أجل رفع مستوى المواطنين. نحن عازمون على وضع أسس ترسخ حقوق وواجبات المواطنين بحيث يكون المواطنون متساويين من حيث الحقوق والواجبات.⁽³⁶⁾

وجاءت الإجراءات الجديدة بتتابع سريع. صدر عفو عام وشامل عن كل المخالفات السياسية الماضية،⁽³⁷⁾ وتم إلغاء نظام الرهائن،⁽³⁸⁾ وصدر مرسوم بإنشاء مجلس استشاري مكون من 40 عضوا نصفهم معينون،⁽³⁹⁾ كما تم إنشاء مجالس بلدية كانت عضويتهم بالانتخاب،⁽⁴⁰⁾ وأنشئ قسم للمغتربين في وزارة الخارجية لرعاية شئون اليمنيين المغتربين.⁽⁴¹⁾ الشيء الوحيد غير المعهود الذي قاله البدر خلال الأسبوع الذي تولى فيه السلطة هو أنه ينوي إتباع "السياسة الحكيمة" لوالده.⁽⁴²⁾ ولأنه كان من الواضح أن البدر لم يكن ينوي ذلك فعلا فإن الغرض من التصريح كان التصالح مع العناصر الأكثر محافظة في اليمن. اعتقد البدر أنه كان يتمتع بسمعة ليبرالية راسخة لدرجة أن العناصر الليبرالية سوف تكون على استعداد لتقبله، وأنه يستطيع تحمل تكلفة تقديم هذا التنازل اللفظي للمحافظين.

2- الشئون الخارجية

مفهوم الدور

سوف يتم استخدام مفهوم الدور عند مناقشة سياسة اليمن الخارجية وفيما بعد بالنسبة للسياسات الخارجية لكل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. الدور

هو "السلوك المتوقع من دولة ما، السلوك الذي يمكن التنبؤ به والذي يتكيف ويتجاوب معه الآخرون..."⁽⁴³⁾ بينما من المعترف به أن دور الدولة بشكل عام "يتحدد بواسطة العناصر الثابتة الخاصة بالبيئة التي توجد بها: الموقع والموارد والسكان والثقافة والعلاقات التقليدية"⁽⁴⁴⁾، لكن يقال أن معدل تغيير الدور في السياسات العربية يمكن أن يعزى فقط إلى أحداث ومواقف معينة يلاحظ صناع القرار أنها ذات أهمية خاصة وبالتالي تبرر القيام بأدوار أو تغيير الأدوار. ويشار إلى مثل هذه الأحداث والمواقف عادة باعتبارها "نقاط تحول"، لكن هنا سوف يتم استخدام مصطلحات أكثر دقة. الحدث -سواء كان محليا أو عالميا - الذي بسبب الطريقة التي تتم رؤيته بها بواسطة صناع القرار يكون له تأثير على شيء أو تغيير دور معين سيطلق عليه اسم حدث مؤثر على الدور. وسوف يطلق على السلسلة المتواصلة من مثل هذه الأحداث اسم وضع مؤثر على الدور. ولو أن تأثير حدث أو وضع معين يمثل أهم عامل في القيام بالدور أو تغيير الدور فسوف يطلق على هذا الحدث اسم حدث محدد للدور، كما سيطلق على الوضع اسم وضع محدد للدور.

المواجهة مع البريطانيين في عدن كوضع محدد للدور

رغم أن منتقدي الإمام أحمد كانوا يتهمونهم عادة باللين مع البريطانيين في عدن،⁽⁴⁵⁾ فإن هذا الاتهام لا أساس له إطلاقا- باستثناء آخر عامين في حكمه. كان الإمام أحمد يضمن عداءا شديدا للبريطانيين الذين كان يعتقد أنهم لم يقوموا فقط باغتصاب جزء من بلاده ولكنهم أيضا قدموا المساعدة والعون للمتآمرين ضد والده، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتخذون خطوات من أجل ترسيخ واستمرار وضعهم في الجزء الذي استولوا عليه. كان العداء متبادلا من المسؤولين البريطانيين في عدن. قال الحاكم السابق لعدن: "لقد كان يوما حزينا للعلاقات الأنجلو-يمينية حين تولي أحمد عرش والده".⁽⁴⁶⁾ في رأيه لم يكن أحمد تقريبا جديرا بالاحترام مثل والده كما أنه "لم يكن جديرا بالثقة تماما".⁽⁴⁷⁾

تقاسم الإمام أحمد مع والده الاعتقاد بأن المحميات كانت جزءا من اليمن، لكن بينما تقبل أحمد والده حقيقة الوجود البريطاني كان أحمد يعتقد أنه من خلال التحرص المستمر بالبريطانيين يمكنه - في أفضل الأحوال - استعادة المحميات و -في أسوأ الأحوال - منع ترسيخ الوضع البريطاني الذي كان يجعل عودة المحميات إلى اليمن لاحقا أمرا أكثر صعوبة. ومن أجل القيام بمثل هذا الترسيخ تبني البريطانيون في الأربعينيات سياسة مستقبلية تهدف إلى منحهم سيطرة أكبر على الشؤون الداخلية للمحميات. وفي الخمسينيات عملوا على رعاية خطط للوحدة. لم يدخر أحمد جهدا لاحباط كلتا المحاولتين. شعر البريطانيون بالاستياء من تدخل أحمد، وبينما

كانوا مستعدين للتفاوض على تسوية خاصة بالحدود لكن لم تكن لديهم النية للاعتراف بادعاءات اليمن سواء في الحاضر أو المستقبل. استمر هذا الخلاف في الآراء فلم تتوصل عدة مباحثات رسمية وغير رسمية على مستويات مختلفة لأية نتائج مرضية.

تبلور هذا النمط من المواجهة في الخمسينيات وقدم اليمن السلاح والمال إلى القبائل الانفصالية في المحميات، وفي بعض الأحيان كان يرسل فرقاً قتالية. رد البريطانيون في أغلب الأوقات عن طريق الغارات الجوية على المواقع والقرى الحدودية اليمنية. وفي نفس الوقت شنت حملة دعائية من الاتهامات والاتهامات المضادة بين كلا الجانبين. كانت هناك فترات هدوء (تجري خلالها محادثات غير حاسمة) توقف هذا النمط ليتم استئنافه عند انهيار المحادثات. فقط بحلول عام 1960 أدرك أحمد أن أهدافه كانت غير واقعية و -مثلنا فعل والده من قبله - رضي على مضض بقبول الوجود البريطاني.

كان للمواجهة مع البريطانيين تأثير كبير على سياسة اليمن الخارجية لدرجة أنه يمكن بشكل مبرر أن يطلق عليها اسم وضع محدد للدور. لقد كانت هذه المواجهة أكثر من أي عامل آخر هي ما قاد اليمن إلى تبني أدوار معادية للاستعمار وكذلك أدوار شيوعية في سياسته العربية، إلى جانب دور يتميز بعدم الانحياز في السياق الدولي الأوسع.

1948-1955: البحث عن دور

ليست الأدوار محتمة ولا جاهزة. يمكن لدولة ما إدارة سياستها الخارجية بدون نمط عام مهيم على السلوك. وخلال فترة حكم الإمام لم يكن لليمن دور يمكن تحديده بسهولة ما لم يتم وصف الانعزالية باعتبارها دوراً. كان اليمن المثال الأقوى على الانعزالية؛ أقيمت الاتصالات الدولية عند أدنى حد ممكن، ولم يتم السماح لممثلين أجانب بالبقاء في البلاد. كانت المساعدات الأجنبية بكل أشكالها محل شك، وتم رفض كل العروض الخاصة باستغلال ثروات البلاد المعدنية. ورغم أن أحمد كان مستعداً لأن تصبح له سياسة خارجية أكثر نشاطاً إلا أنه تقاسم مع والده الخوف من التأثيرات الأجنبية. شهدت الأعوام بين 1948 و 1955 محاولات حذرة من أحمد لتكثيف الاتصالات الدولية بدون تدمير التقليد اليمني الراسخ الخاص بالعزلة تماماً.

في البداية كان أحمد حذراً مثل والده و"لم تكن أي وعود بالذهب أو الدولارات أو اليخوت أو السيارات أو الثلاجات قادرة على إقناعه بقبول الأجانب..."⁽⁴⁸⁾ ولكن تدريجياً أصبح موقفه أقل حدة. بدأ يدرك أن قبول المساعدات الأجنبية لم يكن يعني تلقائياً التخلي عن الاستقلال. وفي عام 1951 تم افتتاح أول مفوضية أجنبية في اليمن، وفي نفس العام أعلن مدير

الصحافة والدعاية أن اليمن قدم طلبا للحصول على مساعدة تقنية من الأمم المتحدة، كما خاطب الولايات المتحدة للحصول على المساعدات الخاصة ببرنامج النقطة الرابعة.⁽⁴⁹⁾ وفي عام 1953 تم منح امتياز للتنقيب عن المعادن إلى شركة ألمانية غربية.

لكن الانعزالية لم تنته إلا عام 1955. كان اليمن منخرطا بشكل نشط في المواجهة مع البريطانيين وكانت هناك حاجة للمساعدة ماديا ومعنويا. أقنع انقلاب 1955 الإمام أحمد بضرورة اتخاذ المزيد من الإجراءات من أجل تحقيق فوائد ملموسة لليمن، حتى لو كان ذلك على حساب إنهاء حالة العزلة. كان يهيمن على النظام السياسي العربي الصراع بين الكتلة المناهضة للاستعمار بقيادة مصر والكتلة المؤيدة للغرب، وكان كل طرف من الطرفين يبحث عن حلفاء. انخرطت الولايات المتحدة في إستراتيجية خاصة بتحالف عالمي يقدم المال والسلاح للمنضمين إليه، بينما دخلت روسيا إلى المشهد في الشرق الأوسط عن طريق تقديم مساعدات "بدون قيود". كان الوقت قد حان للاختيار.

نشأة أدوار عربية

1955-1958: عدم الانحياز

سرعان ما قادت الحاجة إلى حلفاء في الحملة ضد البريطانيين، والشعبية المتصاعدة لمواقف مصر المناهضة للاستعمار، والمواقف الودية التي تبنتها مصر والمملكة العربية السعودية تجاه الإمام أحمد أثناء الانقلاب إلى تبني دور مناهض للاستعمار - أي مناهض لبريطانيا. كان هذا يعني علاقات أوثق مع الدول العربية المتبنية لنفس الدور، وعلاقات باردة مع الدول العربية المؤيدة للغرب، بالإضافة إلى عداء شديد للبريطانيين - ليس فقط في المحميات لكن في كل مكان في العالم العربي.

بلغت العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية - واللتين كانتا تقومان بأدوار مناهضة للاستعمار - ذروتها بميثاق جدة الثلاثي عام 1956. وفي خطاب وقت لاحق من ذلك العام أكد الإمام أحمد على دور اليمن المناهض للاستعمار. أدان أحمد الإجراءات البريطانية تجاه مصر وأيضاً في البريمي وعمان، وأعلن أحمد: "إن مشكلة أي عربي هي مشكلة كل العرب." وأنهى خطابه بقوله: "يجب أن نكون مستعدين لحماية وطننا ومواجهة المعتدين على أي بلد عربي بكل قوة..."⁽⁵⁰⁾ وأثناء أزمة السويس أبدى اليمن تضامنا قويا مع مصر.

وعلى مدار عام 1957 جرى انتهاج خط مناهض للاستعمار. استغل اليمن تضرر هيبة بريطانيا عقب أزمة قناة السويس ليصعد من أنشطته، وأصبحت الحوادث على الحدود واسعة النطاق و"رافقتها حملة دعائية قوية".⁽⁵¹⁾ وكجزء من هذه الحملة اتخذ الإمام في يناير

خطوة غير مسبقة بدعوة مجموعة من الصحفيين الغربيين إلى اليمن لتفقد الحدود وحضور مؤتمر صحفي يعقده. وفي نوفمبر زار البدر لندن لعقد مباحثات ثبتت أنها غير حاسمة، وفيما بعد علق على تلك المباحثات قائلاً: "لقد أصبح واضحاً أن الإنجليز لا يريدوننا أن نكون أحراراً أو مستقلين. إنهم يرغبون في زيادة مساحة منطقة استعمارهم عن طريق استقطاع أجزاء جديدة من بلادنا".⁽⁵²⁾ وخلال ذلك العام استمرت العلاقات الوثيقة مع الدول العربية المناهضة للاستعمار – مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية.

1961-1958: الدور الوحدوي

نتج عن الوحدة بين سوريا ومصر في فبراير 1958 ميلاد الجمهورية العربية المتحدة. أقدم اليمن على خطوة غير متوقعة من خلال طلب الاتحاد مع الكيان الجديد، وبالتالي تبني دور وحدوي. يوصف هذا القرار من جانب الإمام عادة بأنه ضربة معلم للسياسة الميكافيلية لأنه بمثابة خطوة ساخرة قادت إليها بشكل أساسي رغبة الإمام في إحباط هجمات مصر الدعائية ضد نظامه. لكن هذا التفسير غير ملائم؛ لم تكن مصر في ذلك الوقت مهتمة على الإطلاق بمهاجمة الإمام الذي كان يتبنى بإخلاص دوراً مناهضاً للاستعمار يشبه الدور الذي كانت مصر تتبناه. وبغض النظر عن درجة الانتهازية المتضمنة يمكن تفسير سلوك الإمام بشكل أفضل عن طريق الإشارة إلى اعتبارين. أولاً: كانت المواجهة مع البريطانيين على أشدها ولم تقل الحاجة إلى حلفاء. كانت السعودية تتراجع عن دورها المناهض للاستعمار، وكانت الجمهورية العربية المتحدة وقتها هي الدولة العربية الوحيدة التي كان يمكن للإمام اللجوء إليها طلباً للدعم. وكلما كانت العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة أوثق كلما أصبح الدعم أكبر. ثانياً: كانت هذه الخطوة أداة فعالة في جذب دعم العناصر الليبرالية اليمنية داخل وخارج اليمن.⁽⁵³⁾

لكن الإمام اعتبر الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة خطوة متعلقة بالسياسة الخارجية تماماً ولم يكن المقصود منها تغيير النظام السياسي اليمني. حافظت الاتفاقية التي أسست الاتحاد بشكل حريص على استقلال كل دولة. وهكذا كان الاتحاد محدوداً وخدم أهداف الإمام. استمرت الجمهورية العربية المتحدة في دعم موقف اليمن في مواجهة البريطانيين، في حين لم يستطع حتى الليبراليون المعارضون للنظام سوي الاحتفاء بالخطوة التي اتخذها الإمام.

1961-1962: الدور المناهض للاشتراكية

استمر اليمن في تبني دور وحدوي حتى خرج الإمام أحمد في ديسمبر 1961 بمفاجأة أخرى في شكل قصيدة تدعوا إلى التمسك بمبادئ الإسلام وتهاجم الاشتراكية.⁽⁵⁴⁾ وكما توقع الإمام ردت الجمهورية العربية المتحدة بسرعة عن طريق إنهاء الاتحاد ومهاجمة الإمام. عقب انسحاب سوريا من الجمهورية العربية المتحدة تبنت مصر دورا مناهضا للرجعية. ومن المؤكد أنه قد أصبح من الواضح للإمام أن مصر بتوجهها الاشتراكي الداخلي وسياستها الخارجية المتشددة لن تتحمل الاتحاد مع اليمن طويلا. وفيما يخص اليمن لم تعد الاعتبارات التي قادت إلى الاتحاد مع مصر موجودة. كانت المواجهة مع البريطانيين قد انتهت، وكان الاتحاد في الجنوب - والذي عارضه الإمام بلا كلل ولا ملل - قد أصبح واقعا. وبالإضافة إلى ذلك فقد الاتحاد قيمته كأداة لإيجاد الدعم، ولم يعد تعتبر خطوة حقيقية نحو تحقيق الوحدة العربية. وأقنعت الاضطرابات التي وقعت عام 1959 - إلى جانب التمرد القبلي ومحاولة الاغتيال - الإمام أن الاتحاد الرسمي مع مصر لم يعد له أثر مفيد على وضع اليمن الداخلي. قادت كراهية الإمام الحقيقية للاشتراكية - والتي كان يراها معادية للإسلام - وخوفه من أن مصر ربما تستخدم الاتحاد لتبرير تدخلها في شئون اليمن الداخلية إلى نشر قصيدته. وسريعا ما وضع هذا الدور الجديد اليمن في مواجهة مع مصر، وفي نفس الوقت وضعها في معسكر واحد مع المملكة العربية السعودية وسوريا والأردن - الذين كانوا جميعا يتبنون دورا مناهضا للاشتراكية.

تطور الدور الدولي

1962-1955: عدم الانحياز

بمجرد أن قرر اليمن تبني سياسة خارجية نشطة اتجه إلى الغرب بحثا عن السلاح والمساعدة الاقتصادية.⁽⁵⁵⁾ كانت الولايات المتحدة مترددة في إمداد اليمن بالسلاح الذي يمكن أن يستخدم للتحرش بالبريطانيين. وبالإضافة إلى ذلك لم يشجع رفض اليمن الانضمام للتحالف الغربي المساعدات الأمريكية واسعة النطاق. وعلى الجانب الآخر كان الاتحاد السوفيتي على استعداد لتقديم كل من المساعدات الاقتصادية والسلاح. وكانت معاهدة الصداقة التي تم توقيعها مع الاتحاد السوفيتي في نوفمبر 1955 بداية لسلسلة من المعاهدات المماثلة مع دول الكتلة الشرقية. ونتيجة لهذه المعاهدات بدأ التمثيل الدبلوماسي لعدد من الدول الشيوعية، وحصل اليمن على السلاح إلى جانب المساعدات الاقتصادية. وبدون الإعلان الواعي عن ذلك كان اليمن بهذا يتبنى دورا غير منحاز.

لم تنظر الولايات المتحدة بعين الرضا لـ "انجراف" اليمن نحو الكتلة السوفيتية. وما زاد الأمر سوءاً كان رفض اليمن لمبدأ أيزنهاور. ونتيجة لذلك كان هناك برود مؤكد في العلاقات اليمنية الأمريكية ولم هناك تكن مساعدات أمريكية مهمة في المتناول.⁽⁵⁶⁾ ولكن بحلول عام 1960 – بشكل جزئي بسبب تجاوز الولايات المتحدة للمرحلة التي رفع فيها شعار أن الحياد لا أخلاقي، وأيضاً كرد فعل للوجود الشيوعي المتزايد في اليمن – تحسنت العلاقات بين البلدين، وتم تقديم وقبول مساعدات أمريكية على نطاق أوسع من ذي قبل.

(1) David Easton, A Systems Analysis of Political Life (New York: John Wiley & Sons. Inc., 1967), p. 194.

(2) D. van Der Meulen, Faces in Shem (London: John Murray, 1961), p.141.

(3) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.

(4) إيفا هوك، سنوات في اليمن وحضرموت، ترجمة خيرى حماد، (بيروت: دار الطليعة، 1962)، ص 114.

(5) عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن، (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 130.

(6) انظر

Wendell Phillips, Qataban and Sheba (London: Victor Gollanon, 1955).

(7) محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965) ص 65.

(8) نفس المصدر ص 66.

(9) أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1963) ص 377-374.

(10) كان سيف الإسلام لقباً مميزاً يمنح لكل أبناء الإمام.

(11) أعيد تقديم هذه الوثيقة مرة أخرى في الاتحاد اليمني، ليقف النزيف في اليمن (غير منشور، لا يوجد تاريخ)، ص 8.

(12) أحمد محمد زين السقاف، عائد من اليمن (بيروت: دار الكتاب العربي، 1962)، ص 37.

(13) نفس المصدر ص 38.

(14) لمزيد من التفاصيل عن الانقلاب وتعليقات عليه انظر نفس المرجع ص 30-42؛ إبراهيم علي الوزير، لكي لا نمضي في الظلام (بيروت: دار الأندلس، 1963)، ص 34-37؛ Manfred W. Wenner, Modern Yemen (Baltimore: The John Hopkins Press, 1967), pp.114-120;

شرف الدين، نفس المصدر، ص 373-379؛ أمين سعيد، اليمن (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1959)، ص 250-265؛ نعمان، نفس المصدر، ص 69-71.

(15) The Economist, July 25, p.227.

(16) فيما بعد كان البدر ليقول: "كان حكم أبي قاسيا وغير مثمر...على مدى فترة حكم والدي كنت معروفا بمعارضتي لأسلوبه في الحكم..." مقتبس في

Arab Political Document 1965, (Beirut: The Political Studies and Public Administration Department of the American University in Beirut, n.d.), p.113.

(17) النصر، 14 يوليو 1959، ص 9.

(18) نفس المصدر، ص 4.

(19) لمزيد من التفاصيل انظر سبأ 9 يوليو 1959، ص 1-2.

(20) النصر، 15 أغسطس 1959، ص 8.

(21) النصر، 17 سبتمبر 1960، ص 5.

(22) انظر سبأ، 7 يوليو 1960، ص 1.

(23) انظر سبأ، 9 أكتوبر 1959، ص 5.

(24) سبأ، 10 سبتمبر 1959، ص 6.

(25) النصر، 20 مايو 1960، ص 3.

(26) النصر، 28 يوليو 1960، ص 1.

(27) لمزيد من التفاصيل انظر سبأ، 13 أبريل 1961، ص 1 و 8.

(28) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 28-2-1961. كان الشامي مسؤولاً عن التحقيق الأولي.

(29) سبأ، 27 أبريل 1961، ص 1.

(30) النصر، 4 مايو 1961، ص 1.

(31) النصر، 18 مايو 1961، ص 8.

(32) النصر، 22 يونيو 1961، ص 6.

(33) النصر، 6 يوليو 1961، ص 1.

(34) Wenner, op., cit., p.113.

(35) Ibid.

(36) Summary of World Broadcasts part 4 (London: B.B.C.) (Hereafter SWB), 21-9-1962, pp.1-2.

(37) SWB, 24-9-1962, p.9.

(38) Ibid., p.10.

(39) SWB, 25-9-1962, p.5.

(40) SWB, 25-9-1962, p.6.

(41) SWB, 26-9-1962, p.10.

(42) انظر

SWB, 22-9-1962, p.2.

انظر أيضا

Wenner, op., cit., p.136.

(43) J.W. Burton, Systems, States, Diplomacy and Rules (London: Cambridge University Press, 1968), p.103.

(44) Ibid.

(45) بحسب أحد النقاد "ساعد الإمام على إيجاد موضع قدم للاستعمار... منذ عامه الأول على العرش؛ شرف الدين، نفس المرجع، ص 361. وبحسب ناقد آخر كانت سياسة اليمن تجاه المحميات "مجرد احتجاج يتضمن اعترافاً ضمناً بالحدود بين الجنوب والشمال، ثم مساعدة غير منتظمة وغير مهمة لثورات القبائل المنعزلة وغير المنظمة..." قحطان محمد الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن (القاهرة: دار النصر، 1962)، ص

(46) Sir Tom Hickinbotham, Aden (London: Constable & Co. Ltd, 1958), p.75.

(47) Ibid, pp.70-71.

(48) Clare Hollingworth, The Arabs and the West (London: Methuen & Co. Ltd., 1952), p.118.

(49) Middle East Journal (Spring, 1951), p. 213.

(50) النصر، 7 سبتمبر 1956، ص 8.

(51) Eric Marco, Yemen and the Western World (London: C. Hurat & Co., 1968), p.105.

(52) سبأ، 20 فبراير 1958، ص 4.

(53) انظر أعلاه ص 88.

(54) الجزء الذي يتناول الاشتراكية في القصيدة يقول: "دعنا نبداً وحدة تقوم على أساس المبادئ التي نقبلها، ونبني الشريعة الإسلامية كقانون لها... بدون أي أثر للتحديثات التي تسمح - في انتهاك لما حرّمه الإسلام - بالاستيلاء على ممتلكات وإيرادات الناس المشروعة بحجة التأميم والمساواة بين الغني والفقير. إن هذا ليس له أساس في الإسلام، كما أن المنطق السليم لا يقبله. إن الاستيلاء بالقوة على ممتلكات الناس هو جريمة في الإسلام..." انظر شرف الدين، نفس المصدر، ص 358.

(55) لمزيد من التفاصيل حول العلاقات الأمريكية اليمنية انظر

Wenner, op., cit., p.117-182.

لمزيد من التفاصيل حول العلاقات الروسية اليمنية انظر

Marco, op., cit., p.111-120.

(56) في عام 1960 أخبر الإمام أحمد دبلوماسياً أمريكياً أنه كان "يشعر بالإحباط" بسبب وعود الأمريكان السابقة بالمساعدة. وقال أن العوائق الحقيقية والمصطنعة هي التي حالت دون تنفيذ مشروعات المساعدة الأمريكية؛ انظر النصر، 12 مايو 1960، ص 4.

الفصل السادس

الثورة

جعلت أنشطة مجموعتين - المحرضين الليبراليين والضباط المدربين في الجيش النظامي - ثورة 1962 ممكنة. تحدث الليبراليون كثيرا عن مصير اليمن التعيس وساعدت جهودهم بشكل كبير على إيجاد تعاطف داخلي وخارجي لقضية معارضة الإمام، وكان الضباط مسؤولين عن الاستيلاء الفعلي على الحكم. وسوف يتناول هذا الفصل هاتين المجموعتين ثم يقدم سردا وتحليلا لأحداث الثورة.

الليبراليون

جعل انهيار ثورة 1948 وعمليات الإعدام والسجن التي أعقبتها كل المعارضة الليبرالية تتوقف. كان هناك فقط عدد قليل من الليبراليين خارج اليمن، وكان أبرزهم محمد محمود الزبيري الذي كان متواجدا في المملكة العربية السعودية كعضو في الوفد الذي كان عبد الله الوزير قد أرسله إلى الملك عبد العزيز حينما تم سحق الثورة. لم يستطع الزبيري الحصول على اللجوء في العالم العربي فاضطر للإقامة في باكستان. وحتى هناك جري سجنه وأسيئت معاملته إلى أن تدخل لأجله لدى الإمام زعيم ديني باكستاني وجعل الإمام يرسل إليه خطاب عفو.⁽¹⁾ وتركزت الأنشطة الليبرالية الوحيدة خارج اليمن في دوريتين: السلام في كارديف والفضول في عدن، لكن هاتين الدورتين ركزتتا على مناشدة الإمام للإفراج عن السجناء أكثر من تركيزهما على مهاجمة الإمام.

وتدرجيا بدأت المعارضة الليبرالية في تجميع وتنظيم نفسها. وفي عام 1952 تم إنشاء الاتحاد اليمني في عدن على يد مجموعة من اليمنيين الذين انشقوا عن تنظيم آخر - اتحاد أبناء الجنوب العربي - كان يضم أعضاء يمنيين إلى جانب عرب جنوبيين. طلب من عبد الله الحكيمي الذي كان يشرف على تحرير السلام في كارديف أن يعود ويرأس الاتحاد، وسرعان ما سمح للزبيري بالذهاب إلى مصر عقب ثورة 1952 المصرية وهناك كون الفرع الثاني للاتحاد اليمني.⁽²⁾ حدث التطور المهم التالي في أغسطس عام 1955 حينما فر أحمد نعمان إلى القاهرة وانضم للزبيري، وكذلك فر ابنه محمد نعمان إلى عدن. أعيد ترتيب الاتحاد اليمني في القاهرة تحت القيادة المشتركة لكل من الزبيري ونعمان. تم التنسيق مع الاتحاد اليمني في عدن وأجريت اتصالات مع العناصر الليبرالية خارج اليمن.⁽³⁾

تأثر حجم أنشطة الليبراليين في مصر كثيرا بالعلاقات بين مصر واليمن. في عام 1955 سمح لليبراليين بإنشاء صحيفة خاصة بهم - صوت اليمن - وكذلك بإذاعة بيانات من إذاعة القاهرة.⁽⁴⁾ وبحلول نهاية العام حين تبنى الإمام دورا مناهضا للاستعمار وأقام علاقات

وثيقة مع مصر تم وضع قيود على الليبراليين: لم يسمح لهم بمهاجمة الإمام. لم تمنح الحرية لليبراليين في التحريض ضد الإمام إلا في عام 1961.

واجه الليبراليون صعوبات أخرى. انشق بعض الانفصاليين عن الاتحاد اليمني. كان توفير المال الكافي يمثل مشكلة، وبينما عانى الليبراليون من ضغوط فيما يتعلق بتمويل أنشطتهم كانوا يوصفون عادة بأنهم يسعون وراء المكاسب. في الماضي تبني قاداتهم مواقف كان دافعها المصلحة أكثر من المبادئ – مثل دعم نعمان للإمام أحمد أثناء انقلاب 1955 - وقد تركهم ذلك عرضة لاتهامات بالانتهازية. وفي ضوء هذا النقد لم يكن من المستغرب أن يدافع القادة الليبراليون عن أنفسهم باستمرار وأن يردوا على ادعاءات منتقديهم.

رأى الاتحاد اليمني مهمته في هدفين: "حشد الرأي العام اليمني ضد الأحوال المتخلفة في اليمن، وإقناع الرأي العام خارج اليمن بممارسة ضغوط على حكام اليمن حتى يقوموا بتغيير سياستهم وإنهاء عزلة البلاد."⁽⁵⁾ وسعى لتحقيق هذين الهدفين قدم الاتحاد اليمني سيلا مستمرا من المقالات والمنشورات والكتيبات.⁽⁶⁾

لم تكن المواقف الأيديولوجية لليبراليين واضحة دائما، فبحسب كلمات تقرير صادر عن الاتحاد اليمني "يمكن أن يقال أن التخبط كان تقريبا هو السمة الأساسية للحركة الوطنية من بدايتها."⁽⁷⁾ في الأربعينيات اعتقد الليبراليون أن أفضل نهج يتبعونه هو التحالف مع إمام مستنير يتعاون معهم في إدخال إصلاحات، وهكذا جاء قبولهم لقيادة الوزير. خلق فشل ثورة 1948 حالة من خيبة الأمل واليأس بين الليبراليين في الداخل والخارج. كان الليبراليون داخل سجون الإمام مشغولين بالنجاة، بينما كان الليبراليون في الخارج غير منظمين، وحين عادوا ثانية إلى المشهد السياسي قرروا مرة أخرى أن يراهنوا على شخص مستنير يصلح لمنصب الإمامة. أصيبوا للمرة الثانية بخيبة أمل وحينها وصلوا لاستنتاج مفاده أن دعم أحد المتنافسين من الأسرة الحاكمة ضد منافس آخر لن يحقق الإصلاحات المنشودة.

خضع الليبراليون لنوع من البحث عن الذات. بحسب ما جاء في منشور يعود تاريخه إلى نوفمبر 1955 كان النهج الوحيد المتاح أمامهم هو:

أن نوجه طاقتنا إلى الشعب... أن نخبرهم بالحقيقة فيما يتعلق بفساد النظام ومصادر هذا الفساد... يجب أن نجعل من الواضح في أذهانهم أن الحل الوحيد هو تكوين مجلس نيابي يتألف من الشيوخ وكبار الشخصيات المستنيرة بحيث يتولى المسؤولية وفقا للاتفاق العام المتضمن في دستور مكتوب.⁽⁸⁾

وفي عام 1956 أوضح الليبراليون أهدافهم بصورة أكبر. أعلن بيان موقع من نعمان والزبيري عشرة نقاط باعتبارها مبادئ توجيهية للحركة الليبرالية.⁽⁹⁾ كانت تلك النقاط مكررة وبلاغية في أحيان كثيرة مما جعلها غامضة وعامة. لم تتضمن ذكرا واضحا للإمامة ولا تأييدا صريحا لنظام جمهوري، كما لم تتم مناقشة الطريقة التي يمكن من خلالها تنفيذ تلك النقاط. تأثر الليبراليون بعدة عوامل عند صياغتهم للأيديولوجية الخاصة بهم. كان يجب أن تكون أهدافهم عامة نوعا ما من أجل عدم معارضة أتباعهم الأكثر ثورية أو الأكثر محافظة. في عام 1956 كان لمصر علاقات وثيقة مع اليمن والسعودية والأردن التي كانت جميعها دولا ملكية، وربما هذا ما أقنع الليبراليين أنه يمكن جني القليل من الهجوم الصريح على الحكم الملكي. كذلك يبدو أن الليبراليين كانوا ممزقين بين الاعتقاد بأنه لا يمكن تحقيق أي تقدم تحت حكم الإمامة وبين إدراك أن أي نظام يمكنه أن يحل محل الإمامة لن تكون لديه أي فرصة للنجاح في المستقبل المنظور.

تسلح الليبراليون بأيديولوجيتهم المرنة، والتي تم اختصارها فيما بعد في مبادئ - سيادة الشعب والوحدة الوطنية⁽¹⁰⁾ - وتبنوا مواقف أصبحت تدريجيا أكثر ثورية. في عام 1957 طالبوا بضرورة مشاركة اليمن في أي مشروع للوحدة بين الدول العربية. قالت مذكرة من الاتحاد اليمني إلى جامعة الدول العربية في أغسطس 1957 أنه "لو اتخذ صاحب الجلالة الإمام مثل هذه الخطوة فسوف يصبح بطلا عظيما للعروبة وسوف نضح أرواحنا تحت تصرفه".⁽¹¹⁾ وفي يناير 1958 وجه الليبراليون خطابا مفتوحا إلى البدر يحثون فيه على انضمام اليمن الفوري إلى الوحدة بين مصر وسوريا.⁽¹²⁾ وحين شكل اليمن والجمهورية العربية المتحدة الدول العربية المتحدة عبر الليبراليون في البداية عن دهشتهم ثم دعمهم للاتحاد.⁽¹³⁾ ولم يؤيد الليبراليون للمرة الأولى نظاما جمهوريا⁽¹⁴⁾ إلا عام 1959 حين أصبح من الواضح أنه لم تكن لدى الإمام أحمد أي نية للسماح بتنفيذ ميثاق الاتحاد. لكن لأن الوحدة كانت لا تزال قائمة لم تمنح لليبراليين في مصر الحرية التي أرادوها في مهاجمة الإمام. لم يتمتع الليبراليون بدعم مصر الكامل إلا بعد يوم 23 ديسمبر 1961، حين هاجم الرئيس جمال عبد الناصر الإمام أحمد بشكل علني، حيث سمح لهم باستخدام الإذاعة والصحافة المصرية. ومن الطبيعي أن يرحب الليبراليون بسياسة مصر الجديدة المتشددة لأنها منحتهم حرية لم يحظوا بها من قبل،⁽¹⁵⁾ فازدادت أنشطتهم بشكل واضح.

وفي أوائل عام 1962 انتهى احتكار قيادة الليبراليين الذي تمتع به نعمان والزبيري لما يقرب من عشرين عاما. ظهر على الساحة قائد جديد شرس - الدكتور عبد الرحمن البيضاني. شغل البيضاني عدة مناصب تحت حكم الإمام أحمد وكان معظمها في المجال الدبلوماسي. استقال البيضاني عام 1959 وبدأ التحريض ضد النظام، ورغم ذلك لم يعترف

بقيادة نعمان والزبيري. كتب يقول "لم يقدم الليبراليون القدامى أي شئ سوى إضفاء الصفة الاحترافية على المعارضة".⁽¹⁶⁾ أطلق على أولئك الليبراليين القدامى اسم "السياسيين"، واتهمهم بأنهم يرغبون في "مصالحة مع أعداء الشعب".⁽¹⁷⁾ كان البيضاني أكثر ثورية في نهجه مقارنة بقيادة الاتحاد اليمني، كذلك كان دعائيا مؤثرا. بدا أسلوبه الذي كان بدوره ساخرا وعنيفا وجذابا ملائما بشكل واضح لحملته ضد الإمامة.

كشاب تخلص عن منصب مهم من أجل مبدأ لم يكن من الممكن اتهام البيضاني بالانتهازية، وكخريج الجامعات المصرية والألمانية كان مؤهلا بشكل أفضل من حيث التعليم مقارنة بأولئك الليبراليين الذين حصلوا على تعليم تقليدي كان في معظمه تعليما أدبيا. كان البرنامج المفصل الذي اقترحه أكثر إثارة للإعجاب من أي برنامج قدمه الاتحاد اليمني من قبل.⁽¹⁸⁾ وكانت هناك نقطة أخرى في صالحه وهي أنه كان رجلا قضى معظم حياته في مصر وكان يتحدث اللهجة المصرية بطلاقة. كان البيضاني قادرا على التواصل مع المصريين بشكل أفضل من نعمان والزبيري، ولهذه الأسباب أعطيت لبرامج ومقالات البيضاني الأولوية في وسائل الإعلام المصرية. وتشير حقيقة أنه حصل على منصب مهم بعد الثورة إلى أنه كان ذا تأثير قوي على الضباط الذين قاموا بالثورة.

كانت الحركة الليبرالية في الخمسينيات وبداية الستينيات استكمالا للحركة في الأربعينيات ومن هنا جاءت أوجه التشابه. تولي نعمان والزبيري قيادة كلتا الحركتين في معظم الأوقات. بقى هدف إدخال إصلاحات إلى اليمن كما هو بشكل أساسي، لكن مع تبدل الظروف تغيرت الحركة الجديدة. كان التغير الأكثر لفتا للأنظار هو غياب السادة، رغم أن بعض السادة كانوا لا يزالون يعارضون الإمام لكنهم لم يكونوا بارزين في الحركة الجديدة مثلما كانوا في الحركة القديمة. وكان التغيير الآخر هو الانشقاقات التي خلت منها الحركة الأولى.⁽¹⁹⁾ كانت الحركة الجديدة - خاصة بداية من عام 1959 - أكثر صلابة في مواقفها مقارنة بالحركة القديمة. وبينما تبنت مصر دورا مناهضا للرجعية سمح لليبراليين باستخدام وسائل الإعلام المصرية، وهي ميزة هائلة لم تكن الحركة القديمة تتمتع بها.

لأسباب مفهومة كان الليبراليون داخل اليمن أقل نشاطا بكثير مقارنة بزملائهم في الخارج. في عامي 1954 و1955 أفرج تقريبا عن كل الليبراليين الذين تم سجنهم عام 1948. هرب بعضهم وانضموا للاتحاد اليمني، بينما بقي آخرون وأصبحوا مخلصين بالفعل للإمام أحمد. احتفظ البعض الآخر بمعتقداتهم الليبرالية بينما استمروا يعملون تحت قيادة الإمام

أحمد. وكان أحد الأمثلة الواضحة لذلك عبد الرحمن الأرياني الذي نجح في البقاء قريباً تماماً من كل من أحمد والبدر.

كان هناك أيضاً جيل من الليبراليين الأصغر سناً. بينما عاد كثير من الخريجين إلى اليمن ازداد عدد الليبراليين، لكن القليل معروف عن الأنشطة الدقيقة لليبراليين داخل اليمن - الأصغر سناً والكبر سناً على حد سواء. اشترك البعض منهم في انقلاب 1955، بينما كان البعض الآخر مسؤولين عن المنشورات التي بدأت تظهر تدريجياً في المدن. تبادل آخرون الأخبار والآراء مع الليبراليين في الخارج، لكن لم تكن هناك حركة ليبرالية منظمة في اليمن. باستثناء الأرياني لم يكن هناك قادة ليبراليون بارزون، ومعظم الليبراليين الذين شغلوا فيما بعد مناصب قيادية عادوا إلى اليمن بعد الثورة.

الضباط

لعب الليبراليون بلا شك دوراً في الإعداد للثورة من خلال إيجاد شعور بعدم الرضا تجاه نظام الإمامة داخل اليمن وخلق تعاطف خارجي مع معارضيه، لكن الدور الأكثر أهمية كان هو دور الضباط الذين قاموا بالثورة بالفعل. ورغم ذلك كان هناك قدر كبير من الارتباك بشأن الثورة: من كان قائدها؟ ما هو نوع الإعداد الذي سبقها؟ إلى أي حد تم التخطيط لها من خارج اليمن. بالنسبة لغالبية الكتاب كان السلال هو الشخص الذي خطط للثورة وقادها، وبالنسبة للبعض كان ضابط غير معروف - الملازم علي عبد المغني - هو القائد الحقيقي.⁽²⁰⁾ يرى البعض الثورة باعتبارها مؤامرة مصرية كان فيها الضباط اليمنيون مجرد عملاء.⁽²¹⁾ وكانت روايات المشاركين في الثورة - مع استثناءات نادرة - مدفوعة بالرغبة في خلق انطباع بأن الثورة كانت عملية تم التخطيط لها بعناية وجرى تنفيذها بواسطة كيان ثوري مؤثر ومخلص وعالي التنظيم، أكثر من كون تلك الروايات نابعة من الرغبة في كتابة التاريخ بشكل موضوعي. وإلى جانب ذلك، خلال الحرب الأهلية التي عصفت باليمن، فاق الاهتمام بتغيير مصير المعسكرين المتحاربين الاهتمام بالحقائق الخاصة بالثورة. أضف إلى ذلك حقيقة أن الأنشطة الثورية هي بطبيعتها صعبة التوثيق، ولهذا يتضح السبب في أن كل الروايات الخاصة بالثورة - بما فيها تلك الواردة في هذه الدراسة - يجب أن تعتبر مؤقتة. فقط حين يقرر المشاركون في الثورة البوح بكل ما يعرفونه عنها يمكن أن يكون المرء في وضع يتيح له الحديث عن القصة الحقيقية.

من المضلل أن نقول أن من قام بالثورة هو "الجيش" اليمني"، فكما رأينا سابقا كانت هناك ثلاثة جيوش في اليمن.⁽²²⁾ ومن المضلل بنفس الدرجة أن تنسب الثورة إلى "الضباط" اليمنيين، فمن بين أكثر من مائتي ضابط في اليمن كان حوالي عشرين منهم فقط مشاركين بشكل نشط في الثورة. كان الضباط المسؤولون عن الثورة ينتمون إلى فئة واحدة: كانوا ضباطا مدربين - أي خريجي أكاديميات عسكرية - ومرتبطين بالجيش النظامي.⁽²³⁾

وبعكس التأكيدات اللاحقة لم يكن هناك تنظيم سري في الجيش يعد للثورة على مدى سنوات، فحتى قيام الثورة بالفعل لم يكن هناك قائد واحد معترف به كما لم تكن هناك خطة. كانت الثورة عملا جريئا قام به الضباط الأصغر سنا الذين انضم إليهم على مضض في الغالب زملاؤهم الأكبر سنا. وحتى أقوى الجمهوريين يعترفون بأن نجاح الثورة كان "معجزة".⁽²⁴⁾

ليس من قبيل المصادفة أن كل الضباط الثوريين كانوا مدربين. في حين كان هناك بعض الضباط غير المدربين - أي أنهم أصبحوا ضباطا عن طريق الأقدمية - الذين انضموا لاحقا للثورة، لكن لم يشترك أي من هؤلاء في القيام بها. كان أولئك الضباط غير المدربين يفتقدون للكثير من المتطلبات الأساسية المرتبطة بالثوار: كانوا بالكاد متعلمين، وبالتالي لم يكن بإمكانهم أن يطمحوا إلى حكم اليمن. ولأنه لم تكن لهم اتصالات مباشرة مع العالم الخارجي لم يكونوا مدركين لتخلف اليمن بنفس الدرجة مثل الضباط المدربين. وإلى جانب ذلك، بسبب افتقارهم للتدريب الملائم، لم يكونوا يشغلون مواقع مهمة تمكنهم من التخطيط لثورة تحمل أي أمل للنجاح.

ترجع الأنشطة الثورية للضباط المدربين إلى الأربعينيات حين انضمت مجموعة منهم إلى ثورة 1948.⁽²⁵⁾ وعندما سحق الإمام أحمد الثورة تم إعدام أحد الضباط بينما سجن الباقون. وجاءت المحاولة التالية مع انقلاب 1955 الذي لعب فيه المقدم الثلاثيا دورا هاما. وكان الثلاثيا واحدا من الذين أعدموا فيما بعد، بالإضافة إلى ضابطين آخرين. وخلال انقلاب 1955 تم إطلاق سراح غالبية الضباط المسجونين، وكان من بينهم عبد الله السلال، فحين كان البدر في حاجة للدعم القبلي قام بالإفراج عنهم وطلب من الإمام الموافقة على ذلك فأجابته إلى طلبه.⁽²⁶⁾

في عام 1948 لم يكن الضباط هم قادة الثورة: كانت القيادة مدنية. ومرة أخرى عام 1955، رغم أن الثلاثيا لعب دورا هاما لكن الشخص الذي تولى المسؤولية كان عبد الله شقيق الإمام أحمد. وفي كلتا الثورتين تم الاحتفاظ بمؤسسة الإمامة. كانت ثورة 1962 مختلفة عن

المحاولتين السابقتين في جانبين: لم يلعب المدنيون أي دور فيها، كما أنها كانت موجهة ضد الإمامة مثلما كانت موجهة ضد شخص الإمام.

كأفراد في أسر فقيرة متواضعة كانت تتم معاملتها بلا مبالاة - إن لم يكن باحتقار - بدا إن الضباط في الأربعينيات كانوا فقط يظهرون رد فعل تجاه الظلم الاجتماعي الذي شعروا به. لم تكن لديهم طموحات لحكم اليمن، فقبلوا بسهولة قيادة الآخرين لهم. كذلك بدا أن الضباط الذين شاركوا في انقلاب 1955 كان يحركهم دافع مماثل. لكن في ثورة 1962 - على عكس الثورتين اللتين سبقتهما - لم يكن ما يحرك الضباط هو فقط الاستياء الشخصي أو الطبقي. لقد جاءوا لإنقاذ اليمن.

ومن المهم أن نتذكر أن ثورة 1948 كانت أول تجربة حديثة في التغيير الثوري في العالم العربي. كانت كل التجارب التي تلتها - الانقلابات المتعددة في سوريا وثورتي مصر والعراق - مختلفة في أن ضباط الجيش كانوا هم قادة الانقلاب والحكومات الجديدة التي ظهرت. تدريجيا حدث تغيير في أيديولوجية الضباط الثوريين في اليمن وفي أماكن أخرى من العالم العربي: هم ليسوا متمردين بل هم مخلصو البلاد وقادة المستقبل.

بينما أصبح من الواضح بصورة متزايدة أن الجيش كان هو القوة الوحيدة القادرة على الإطاحة بحكومة ما أصبح الموقف الجديد أكثر صلابة. كانت الثورة المصرية التي قامت عام 1952 ثم ثورة العراق عام 1958 تتمتعان بشعبية كبيرة لدى الجماهير العربية. كان ينظر للجيش على أنه الأمل الباقي للتقدم والمجد، وربما يصبح الضابط الثوري عبد الناصر جديد في المستقبل. وفي اليمن وفي أماكن أخرى بدأت تنتشر صورة الذات الجديدة للضابط الثوري باعتباره الشخص الأكثر ملائمة لتمثيل وقيادة الشعب.

لكن بينما كان هذا الشعور الجديد بالرسالة يتطور تدريجيا كانت هناك عوامل تجذب الضباط نحو الحذر - إن لم يكن السكون. منذ وقت مبكر يعود لعام 1953 حذر السلال من عمل ثوري فاشل.⁽²⁷⁾ حين أفرج عن الضباط عام 1955 كانوا محبطين للغاية. كانت الدروس المستمدة من ثورتي 1948 و1955 حية في أذهانهم. كان الوضع داخليا وخارجيا أبعد ما يكون عن المساعدة على القيام بأنشطة ثورية. داخليا ظهر الإمام أحمد مسيطر على الأمور تماما. أثبتت أحداث انقلاب 1955 أنه كان لا يزال قادرا على الاعتماد على ولاء القبائل الزيدية، كما أن جهازه الاستخباراتي كان فعالا للغاية.⁽²⁸⁾ وخارجيا مع اتباع الأمام أحمد سياسة خارجية ليبرالية بدت قدرة نظام ثوري جديد على حشد دعم خارجي أمرا مشكوكا فيه.

ومنذ عام 1955 بدأ البدر يظهر اهتماما بالضباط المفرج عنهم. كانت لدى البدر أسبابه الخاصة؛ لم يكن فقط يعتبرهم زملاءه الليبراليين، لكن ربما الأمر الأكثر أهمية هو أنه أراد الحصول على ولاء الجيش النظامي. كان البدر قلقا دائما من احتمال سعي عمه الحسن للوصول إلى السلطة بمجرد وفاة الإمام. ولأن القادة القبليين والدينيين لم يقبلوا بالبدر⁽²⁹⁾ فقد اعتقد أن جيشا مواليا له سيكون أفضل ضمان بالنسبة إليه. وهكذا، كجزء من حملة عامة لحشد دعم الجيش النظامي لصالحه، بدأ البدر في تعزيز ولاء الضباط المدربين. كان السلال أقرب أولئك الضباط إليه. وفقا لاقتراح البدر أصبح السلال عدة مرات قائد الحرس الشخصي للبدر،⁽³⁰⁾ والمساعد العسكري له،⁽³¹⁾ وقائد الطيران العسكري،⁽³²⁾ ومدير ميناء الحديد.⁽³³⁾ وعندما تولى البدر السلطة قام بتعيين السلال قائدا للحرس الملكي.

كجزء من خطته للتحديث أراد البدر أن يحول الجيش النظامي إلى قوة مؤثرة مجهزة ومدربة بشكل جيد. حين كان البدر وزيرا للدفاع كان مسؤولا عن صفقة الأسلحة الواردة من الكتلة الشرقية، بالإضافة إلى تأسيس الأكاديمية العسكرية في صنعاء. لكن البدر لم تكن لديه أبدا الحرية الكاملة التي كان بحاجة إليها؛ استمر الإمام أحمد في التصدي له. لم يكن الإمام متحمسا لفكرة تحديث الجيش ولا لمنح الضباط المدربين المكانة التي افتقدوها هم وجيشهم على حد سواء. ورغم اهتمام البدر بأولئك الضباط إلا أنهم لم يكونوا قريبين من مصدر السلطة – الإمام – وظلت مستويات الجيش فيما يخص الرواتب والمعدات والتدريب والنظام متدنية كما كانت دوما.

فيما بين عامي 1955 و1961 لم يكن الضباط المدربين منخرطين في أي أنشطة ضد النظام. لم يحاولوا استغلال اضطرابات الجيش عام 1959 ولا التمرد القبلي عام 1960. وفي مارس 1961 تعرض الإمام أحمد لمحاولة اغتيال.⁽³⁴⁾ ورغم أن السلال ادعى فيما بعد أن محاولة الاغتيال كان الغرض منها أن تكون المرحلة الأولى في مخطط ثوري،⁽³⁵⁾ لكن من غير المؤكد أنها كانت أكثر من خطوة بائسة قام بها ثلاثة أفراد بعلم السلال لكن بدون مشاركته. لا يمكن النظر إلى محاولة الاغتيال باعتبارها محاولة للاستيلاء على الحكم.

ربما كان الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة في ديسمبر 1961 نقطة تحول في تاريخ اليمن. عقب هذا الانفصال بدأت وسائل الإعلام المصرية في شن حملة دعائية عنيفة ضد الإمام. كان الليبراليون اليمنيون يدينون الإمامة بشكل منظم ويدعون للثورة. كان الإمام عاجزا ولم يكن البدر قد وصل إلى السلطة بعد. كانت هناك حالة من الاضطراب في البلاد،

ومع تدهور الوضع الداخلي ووجود فرصة جيدة نسبياً للحصول على مساعدة خارجية، بدا وكأن الوقت قد حان لمحاولة جديدة.

لكن كانت هناك معوقات كبيرة. لم تكن هناك قيادة ثورة تستطيع التخطيط والقيادة، وكان عدد الضباط الذين يمكن الاعتماد عليهم صغيراً. كانت قيادة الجيش النظامي محافظة ومالية للإمام، ولم تكن الذخيرة متوفرة بسهولة. كان هناك أمل ضئيل في أن تدعم القبائل الزيدية الثورة. كان الضباط الثوريون ممزقين بين شعورهم المتزايد برسالتهم من ناحية وبين خوفهم من عمل ثوري فاشل يمكن أن يكون كارثياً من ناحية أخرى. وهكذا قرروا الانتظار.

لكن إلى جانب الضباط الثوريين الذين شاركوا في ثورة 1948 كان هناك جيل جديد من الضباط الثوريين يدخل المشهد. كان هؤلاء الضباط في العشرينات من عمرهم، وكانوا قد حصلوا على تدريب إما في القاهرة أو في اليمن. لم يشارك هؤلاء الضباط الشباب في أي من الثورتين السابقتين. كان إيمانهم بدورهم كمحررين لبلادهم أقوى مقارنة بزملائهم الأكبر سناً، وكانت الأفكار الخاصة بالقومية العربية والوحدة العربية تعني لهم أكثر بكثير مما كانت تعني للمجموعة الأكبر سناً. ولأنهم كانوا أصغر سناً وأكثر مثالية من زملائهم الكبار فقد كان لدى أولئك الضباط الشباب قدرة أكبر على التضحية والمخاطرة.

الثورة

في عام 1962 كان الضباط الثوريون ينتمون إلى مجموعة من اثنتين: مجموعة الضباط الكبار ومجموعة الأصغر سناً.⁽³⁶⁾ كان الشيء المشترك بين المجموعتين هو الإيمان بحتمية الثورة. لكن المجموعة الأكبر سناً كانت تميل إلى التفكير في الثورة باعتبارها مشروعاً طويل المدى كان لا يزال محفوفاً بالمخاطر في الوقت الحاضر، بينما كان الضباط الأصغر سناً يعتقدون أن أي ثورة سوف تكون دائماً محفوفة بالمخاطر وأن الظروف الراهنة كانت أفضل ما يمكن تمنيه.

لم تكن هناك قيادة ثورية تعمل على التنسيق بين المجموعتين، كما لم تكن هناك خلايا في أي مجموعة. كان أعضاء كل مجموعة يعرفون بعضهم بعضاً بشكل جيد منذ أيام الدراسة، ومن الطبيعي أن يتبادلوا الأفكار والآراء وأن يجروا مناقشات طويلة بشأن خططهم المستقبلية. كانت كل مجموعة تعرف إنه بإمكانها الاعتماد على دعم الأخرى، لكن الاتصالات داخل وفيما

بين المجموعتين كانت ذات طبيعة غير رسمية، ولم تؤد إلى دمج جهودهما أو إلى وضع خطة شاملة.

وكان من بين أعضاء المجموعة الأكبر سنا العميد عبد الله السلال، وكان يتمتع بشخصية متفتحة ولطيفة، وقد اكتسب شهرة نتيجة رتبته العالية وعلاقته الوثيقة بالبدر. وكان من بين الأعضاء الأصغر سنا الأكثر شهرة الرائد عبد الله جزيلان. كمدبر للأكاديمية العسكرية كان لجزيلان علاقات وثيقة مع الطلاب والخريجين صغار السن، وكان في وضع يمكنه من الحصول على مخزون من الذخيرة. والضابط الآخر الذي لعب دورا هاما في الثورة هو الملازم علي عبد المغني. كان هؤلاء الضباط الثلاثة هم الشخصيات البارزة وراء ثورة 1962. خطط جزيلان للاستيلاء على صنعاء، وقاد عبد المغني الهجوم على القصر الملكي، بينما تولى السلال قيادة الثورة متأخرا لكن بشكل قوي.

من الطبيعي أن الهدف الأساسي للثورة كان الإمام أحمد. تجمع كل الروايات على أن الغرض كان أن تقوم الثورة بينما أحمد على قيد الحياة.⁽³⁷⁾ وأيا كانت الخطط التي تم تصورها في البداية فإنها قد أصيبت بالارتباك. كان لتولي البدر السلطة دلالات كثيرة. كان البدر معروفا جيدا بنظرته الليبرالية، وكان من المؤكد أن الإصلاحات قادمة. كان يمكن تحقيق العديد من أهداف الثوار بشكل سلمي. ومن الواضح أن قادة الاتحاد اليمني في القاهرة كان لا يزال لديهم بعض الأمل في البدر. أرسلوا إليه برقية يحتون فيها على "أن ينشئ فاصلا حاسما بين عهد وآخر".⁽³⁸⁾ لكن ربما يعود البدر إلى نفس أساليب والده بمجرد أن يصبح إماما. وبالإضافة إلى ذلك كان ينظر إلى البدر بشكل عام على أنه رجل ضعيف، وكان من المحتمل جدا حدوث انقلاب محافظ ضده بقيادة الحسن. كان الحسن خصما أصعب بكثير. كانت هناك أسباب كثيرة تدعو لكل من العمل والانتظار. أصبح الضباط الكبار الذين لم يكونوا واثقين تماما هل الانتظار أم التحرك هو الخيار الأفضل قبل وفاة أحمد الآن أكثر ترددا عن ذي قبل، وكانت مجموعة الضباط الأصغر سنا هي التي دفعتهم للبدء بسرعة من خلال الانخراط في العمل.

حددت خطة الاستيلاء على صنعاء - والتي وضعها الرائد عبد الله جزيلان - مساء الخميس 26 سبتمبر باعتباره موعد الحسم. في الساعة الحادية عشر من مساء ذلك اليوم كان هناك ضابط في الحرس الملكي سيقوم بإطلاق النار على البدر وهو في طريقه إلى مقر إقامته في القصر بعد اجتماع وزاري. وبعدها فوراً كانت الدبابات سوف تحيط بالقصر وتقوم بقصفه.

وفي نفس الوقت كانت هناك قوة ستقوم باحتلال محطة الإذاعة وتعلن للبلاد قيام الثورة،⁽³⁹⁾ وكان الضباط الثوريين في المدن الأخرى سيتولون السيطرة على مناطقهم.

لكن الأمر الغريب تماما هو أنه حتى عشية الثورة لم يكن هناك قائد. كان جزيلا ن يرغب في أن يقوم ضابط كبير بقيادة الثورة.⁽⁴⁰⁾ في ليلة الثورة ركب جزيلا ن دراجة بخارية من صنعاء إلى الحديدة التي كان يتمركز فيها العميد محمود الجيفي. كان الجيفي ضابطا كبيرا يحظى باحترام كبير، وكان الضباط الأصغر سنا يحبونه ويقدرونه. أخبر جزيلا ن الجيفي بخطته وطلب منه أن يتولى قيادة الثورة. وافق الجيفي على الاشتراك في الثورة من خلال السيطرة على الحديدة لكنه رفض أن يصبح قائد الثورة. عاد جزيلا ن مرة أخرى إلى صنعاء وأجرى اتصالات مع السلال الذي وافق على المشاركة في الحركة وقيادتها. تولي السلال القيادة على الفور.⁽⁴¹⁾

لم تسر الأمور وفقا للخطة، فبسبب عطل ميكانيكي في مدفعه الرشاش لم يتمكن الضابط المكلف بقتل البدر من إطلاق النار عليه. شوهد وهو يطلق الرصاص فألقى الحراس القبض عليه. كان من المفترض أن تبدأ القوة المحيطة بالقصر في قصفه عند سماع صوت طلقات الرصاص. مر الوقت ولم تسمع أي طلقات ولم تصل أي معلومات فلم تعرف القوة ماذا تفعل. وفي هذه المرحلة الحرجة قرر قائد القوة علي عبد المغني المضي قدما. كانت لديه أربع دبابات احتوت ثلاثة منها على ثلاث طلقات بينما لم يكن في الرابعة أي طلقات. ومع ذلك بدأ عبد المغني في قصف القصر عند حلول منتصف الليل تقريبا. سرعان ما نفذت الذخيرة ولم يكن المزيد منها متوفرا إلا بعدها بساعات.⁽⁴²⁾

داخل القصر كان البدر لا يزال متحيرا من محاولة الاغتيال حينما انفجرت الطلقات فجأة. كان القصر محاطا بمنازل أخرى ولم تتمكن الطلقات سوى من إصابة الطابق العلوي والذي دمر بشكل جزئي. نزل البدر إلى أحد الطوابق السفلية وقرر المقاومة، فاستدعي حراسه وطلب منهم إحضار المزيد من الأسلحة من المخازن. بدأ هو وحراسه في استهداف الدبابات، ولأن الطلقات نفذت فقد توقفت الدبابات عن الإطلاق. في هذه اللحظة كان مصير الثورة غير واضح. لم يكن أي طرف من الطرفين يمتلك من الأسلحة الثقيلة سوى المدافع الرشاشة وسرعان ما نفذت ذخيرة كل منها. لكن كل طرف كان يبالغ في تقدير قوة الطرف الآخر، وهكذا لم يقم البدر بقيادة حراسه في هجوم منسق ضد المتمردين، وكذلك لم يحاول المتمردون اقتحام القصر.

لكن الوقت كان في صالح الثورة. أثناء تعرض القصر للقصف احتلت قوة مبنى الإذاعة بينما اقتادت قوة أخرى أهم مساعدي البدر من منازلهم وقامت بإطلاق النار عليهم. ومع بزوغ النهار كان راديو صنعاء يعلن قيام الجمهورية، وبحلول الظهر ترك البدر القصر عبر ممر خلفي خالي من الحراسة ووصل إلى أحد المنازل المجاورة، حيث تنكر في هيئة جندي. سار البدر بحذر في الشوارع الخلفية وذهب إلى منزل آخر وبقي هناك حتى غروب الشمس، ثم خرج من صنعاء وتقدم نحو منطقة قبلية في الجبال.⁽⁴³⁾

بدأ الجمهوريون في تعزيز حكمهم. ادعوا أن البدر قد "دفن تحت أنقاض القصر"،⁽⁴⁴⁾ واستمروا في ادعاءاتهم بشأن وفاة البدر لأكثر من أسبوعين. تم إنشاء مجلس لقيادة الثورة برئاسة السلال.⁽⁴⁵⁾ كذلك تم إنشاء مجلس أعلى للرئاسة⁽⁴⁶⁾ وشكلت وزارة كان السلال رئيساً لها.⁽⁴⁷⁾ أعلن عن 17 حالة إعدام،⁽⁴⁸⁾ لكن قبل أن يصبح ممكناً لملامح النظام الجديد أن تتبلور بدأت الثورة المضادة والتي كانت قد بدأت بالفعل لحظة هروب البدر من صنعاء. وسرعان ما أعقب ذلك حرب أهلية وتدخل خارجي.

مثلت ثورة 1962 محاولة الضباط المدربين للحصول على الوضع السياسي الذي كانوا يعتقدون أنهم يستحقونه، وأن يقودوا اليمن نحو التقدم. وصف اليمن بأنه "بلا شك أكثر بلد متخلف في العالم".⁽⁴⁹⁾ وجنبا إلى جنب مع العناصر الليبرالية الأخرى في اليمن أرجع الضباط تخلف اليمن إلى نظام الحكم فيه. تدريجياً بدأوا يشعرون أنه يجب القضاء على الإمامة نفسها من خلال استبدالها بنظام حكم آخر مختلف تماماً يسيطرون هم عليه. في 26 سبتمبر أطلق الضباط الأصغر سناً الشرارة الأولى وانضم إليهم الباقون.

كان نظام الإمامة يتضمن نقطة ضعف أساسية. كان هناك تباين لافت للنظر بين السلطة الرسمية والقوة الحقيقية في التعامل مع المجموعات ذات الصلة سياسياً. حرم الزعماء القبليون الذين كانوا مسيطرين على القوة العسكرية الأكثر تأثيراً من أي قوة سياسية، وشعر ضباط الجيش النظامي أنهم منحوا مواقع بلا أهمية. كان أعضاء المؤسسة الدينية الذين لم يمتلكوا أي قوة عسكرية على الإطلاق يحتكرون الهيكل الرسمي للسلطة. وفي بلد غير ديمقراطي كان السيف فيه هو الحكم النهائي صار هذا الوضع مصدراً لعدم الاستقرار. عبرت القبائل عن استيائها من خلال حركات التمرد التي افترقت إلى التنسيق، بينما لجأ الضباط - الذين بجانب شعورهم بالاستياء كان لديهم شعور قوي برسالتهم - إلى الثورة.

لكن الضباط الثوريين الكبار والصغار على حد سواء لم يكونوا ليقوموا بالتحرك لو لم تكن لديهم فرصة للنجاح. خارجيا كان يمكنهم الاعتماد على مساعدة مصر؛ في أحسن الأحوال كانوا يستطيعون توقع تدخل نشط، وفي أسوأ الأحوال كانوا يتوقعون دعما سياسيا ومعنويا. داخليا رأوا تآكلا في الدعم المقدم لنظام الإمامة، وهو ما قادهم إلى توقع انضمام شعبي هائل للثورة بمجرد اندلاعها.

لم تحقق جهود الإمام أحمد للحصول على الدعم أهدافها. فيما يتعلق بالمرجات كانت الموارد المادية المتاحة تحت تصرفه محدودة لدرجة أنه، بغض النظر عما كان يفعله، لم يكن للمخرجات وحدها تأثير مهم تقريبا. كان القمع الذي استخدم بحرية سلاحا ذا حدين؛ بينما نجح في انتزاع الدعم فقد ترك شعورا بالاستياء. وهكذا على سبيل المثال فإن قبيلة حاشد، والتي قادها الخوف إلى وقف نشاطها عقب إعدام شيخها البارز وابنه عام 1960، احتفظت بموقف معادي للنظام، وكان هذا أحد الأسباب التي شجعت الضباط على المضي قدما في الثورة. ربما كانت محاولة الإمام استخدام الدين والتقاليد كمؤثرات لإضفاء الشرعية هي أنجح جانب في حملته للحصول على الدعم. لكن حتى هنا لم يكن النجاح كاملا، فبينما كان الزيديون العاديون ربما يعتبرون الإمام بشكل أو بآخر الممثل الشخصي لله فإن الشافعيين ككل - الضباط والليبراليين - لم يكن لديهم انطباع مماثل. لم يكن تفسير الإمام للإسلام واسعا بما يكفي لكسب ولاء الشافعيين ولا حديثا بما يكفي لكي يقبله الليبراليون والضباط. كذلك لم تكن التقاليد قوية بشكل كاف في عصر ومنطقة كانت الأنظمة فيهما تستمد شرعيتها من الثورية المناهضة للتقاليد.

وهكذا رأى الضباط الطموحون في بلد متخلف للغاية يحكمه نظام قمعي فرصة للحصول على السيطرة؛ قامت الثورة. كان من الواضح على الفور أنه في صنعاء وتعز والحديدة - إلى جانب المناطق الشافعية بشكل عام - كانت الثورة تحظى بالدعم. كذلك فإن بعض زعماء القبائل الذين كانت لديهم مظالم بسبب نظام الإمامة أعلنوا ولائهم للجمهورية. لكن غالبية القبائل الشمالية كانت مترددة. كان هناك إحساس عام شعر به حتى الجمهوريون أنفسهم أن معظم القبائل الشمالية سوف تدعم موقف الإمامة. لكن قبل أن تتمكن القوات اليمنية وحدها من تحديد الجانب الفائز جاء التدخل بغير اليمنيين إلى المشهد، وكان كل طرف من طرفي الحرب الأهلية يحصل على دعم خارجي.

- (1) محمد أحمد نعمان، الحركة الوطنية في اليمن (عدن: الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ)، ص 18.
- (2) نفس المرجع، ص 25.
- (3) محمد أحمد نعمان، مقابلة، بيروت، 27-10-1969.
- (4) انظر أحمد محمد نعمان، كيف نفهم قضية اليمن، (القاهرة: دار النيل للطباعة، 1957)، ص 17.
- (5) الاتحاد اليمني، التقرير العام (عدن: 1961)، ص 16.

(6) لقائمة بمطبوعات الاتحاد انظر نفس المرجع، ص 17-18. وإلى جانب الكتابات السياسية استخدم الليبراليون الشعر لمهاجمة النظام. كان اليمنيون المتعلمون مغرمين بالشعر. كان الزبيري بلا شك أعظم شعراء اليمن المعاصرين وكانت قصائده السياسية اللاذعة تقرأ بشغف في اليمن. وفي إحدى قصائده التي كتبها بعد عودة الإمام من روما خاطب الزبيري اليمنيين قائلا:

إنه خطاب الموت فاستمعوا

وارقصوا فرحين على إيقاع الموت.

أنتم ترحبون بجزار:

قدموا رقابكم تحية له.

انظر أنيس منصور، اليمن ذلك المجهول (القاهرة: الدار القومية للطباعة، لا يوجد تاريخ)، ص 105.

(7) الاتحاد اليمني، المرجع السابق، ص 26.

(8) "الأحرار والبدر"، منشور بدون توقيع، 1955، ص 10-11.

(9) انظر محمد زين السقاف، أنا عائد من اليمن (بيروت: دار الكتاب العربي، 1962)، ص 166-168.

(10) الاتحاد اليمني، المرجع السابق، ص 18.

(11) مقتبس في حسن إبراهيم حسن، اليمن (القاهرة: دار المعارف، لا يوجد تاريخ)، ص 179.

(12) نفس المصدر.

(13) انظر أعلاه ص 68.

(14) انظر أحمد محمد نعمان، المعركة الوطنية في اليمن، المصدر السابق، ص 28-29. تأييد الاتحاد اليمني لجمهورية لم يغير أساليبه التحريضية التي استمرت مهتمة بالإشارة إلى عيوب الإمامة أكثر من توضيح البدائل الممكنة. وبسبب ذلك وفي ضوء نظرتهم المعتدلة والمرنة بشكل عام فقد وصفوا فيما بعد بأنهم مجرد إصلاحيين بلا أي أفكار ثورية حقيقية. انظر عبد الرحمن البيضاني أبعاد الثورة اليمنية (بيروت: 1967، لا يوجد تاريخ)، ص 8-10؛ محمد علي الشهاري، طريق الثورة اليمنية (القاهرة: دار الهلال، لا يوجد تاريخ)، ص 101.

(15) انظر أدناه ص 240-241.

(16) عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 25.

(17) نفس المصدر، ص 249.

(18) نفس المصدر، ص 164-168.

(19) تأسس كل من اتحاد القوى الشعبية والجمعية اليمنية الكبرى على يد بعض الليبراليين الذين انشقوا عن الاتحاد اليمني. انظر فؤاد مطر، اليمن وواحد وخمسون إماما (بيروت: دار النهار للنشر، 1968)، ص 50.

(20) انظر

Dana Adams Schmidt, Yemen: The Unknown War (London: The Bodely Head, 1968), p.43.

(21) انظر

Neil Mclean, "The War in The Yemen", Royal Central Asian Journal (April, 1964), p. 104; D. Smiley, "The War in The Yemen", The Journal of The Royal United Service Institution (November, 1963), p.328;

نهاد القادري، عن اليمن والثورة (لا يوجد تاريخ، غير منشور)، ص 40. حتى بعض الجمهوريين يؤكدون أنه كان لمصر يد في الثورة. من الصعب إثبات أو نفي تلك الاتهامات لكن مصر احتفظت باهتمام بالحركات الثورية في أنحاء العالم العربي ومن الممكن تماما – بل ومن المحتمل – أنه كان للمخابرات المصرية نوع من الاتصال مع بعض الضباط الثوريين. وسواء كان هذا صحيحا أم لا فإن هناك ثلاثة أشياء مؤكدة. أولا: كان للحركة الثورية تكوين يمني تماما. ثانيا: لم يشترك أي مصريين بالفعل في الانقلاب العسكري. ثالثا: لم يكن أي أحد – بما في ذلك المخابرات المصرية – يستطيع التنبؤ بدقة بنجاح المحاولة.

(22) انظر أعلاه ص 82-85.

(23) رغم أن السلال كان وقت الثورة قائد حرس البدر لكنه كان في الأصل مرتبطا بالجيش النظامي.

(24) انظر على سبيل المثال محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1965).

(25) انظر أعلاه ص 27-28.

(26) محمد أحمد نعمان، مقابلة، بيروت، 27-10-1969.

(27) عبد الله السلال وآخرون، من وراء الأسوار (بيروت: دار الكتاب العربي، لا يوجد تاريخ)، ص 93.

(28) جند الإمام أعدادا كبيرة من المواطنين الذين كانوا معروفين له هو فقط في كل مدينة وقرية. كان بإمكان هؤلاء الوصول إليه مباشرة وكانوا ينقلون إليه الأخبار عن كل نشاط يجري. أحيانا كان ذلك يتضمن العبارات التي تقال ضد الحكومة. كان رعايا أحمد الأميين يعتقدون أن الأرواح هي من تنقل مثل هذه الأخبار إليه. وكمثال على فاعلية هذه الشبكة من الاستخبارات غير الرسمية انظر القصة الواردة في

Wendell Phillips, Qataban and Sheba (London: Victor Gollanon, 1955), p. 18.

يعلق فيليبس قائلا: "...لقد غمرني الإعجاب بنظام الاستخبارات الخاص به (أحمد) وتمنيت أن يكون لدى واشنطن نظام مشابه."

(29) انظر أعلاه ص 109.

(30) انظر النصر، 10 ديسمبر 1955، ص 5.

(31) انظر النصر، 12 يونيو 1958، ص 1.

(32) انظر النصر، 15 أغسطس 1959، ص 2.

(33) انظر النصر، 18 مايو 1961، ص 3.

(34) انظر أعلاه ص 112.

(35) الحياة، 6 نوفمبر 1962، ص 2.

(36) كان عدد الضباط الكبار يبلغ ستة تقريبا. تضمن المعروفون منهم عبد الله السلال وحسن العمري وحمود الجيفي وعبد الله الضبي. وكان عدد الضباط الأصغر سنا حوالي 15، وكان البارزون منهم هم عبد الله جزيلان وعبد اللطيف ضيف الله وعلي عبد المغني وعلي سيف الخولاني.

(37) انظر على سبيل المثال

The Times, October, 9, 1962;

محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965) ص 76؛ القطار، المصدر السابق، ص 288.

(38) Summary of World Broadcasts part 4 (London: B.B.C.) (Hereafter SWB), 24-9-1962, p.10.

(39) لمزيد من التفاصيل انظر اليمن الجديدة، (سبتمبر 1963). أعيد تقديم خطة الاستيلاء على القصر في صفحة 14 من نفس العدد.

(40) ربما اعتقد جزيلان أنه لن يستطيع أن يحظى بالاحترام الكافي بين صفوف الجيش لأنه كان فقط برتبة رائد. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان شافعيًا وكان هناك خوف من أن الجيش الذي كانت غالبية من الزيديين لن يكون على استعداد لقبول قيادته.

(41) لا يمكن تحديد الوقت الذي تولى فيه السلال القيادة بشكل دقيق. يذكر أحد الكتاب أن الثورة كانت قد أحرزت تقدماً حينما تم الاتصال بالسلال. ويقول هذا الكاتب أنه في البداية اعتقد السلال أن الثوار سوف يطلقون الرصاص عليه وأنه تفاجأ تماماً حينما تم الاعتراف به كقائد؛ انظر عبد الإله عبد الله، نكسة الثورة في اليمن (غير منشور، لا يوجد تاريخ)، ص 111. ولكن من المحتمل بدرجة كبيرة أنه قد جرى الاتصال بالسلال قبل قصف القصر. على أي حال فإن توقيت تولي السلال المسؤولية الخاصة بمصير الثورة هو أبعد ما يكون عن الوضوح.

(42) لمزيد من التفاصيل انظر محمد محمد عبد الرحمن، أرض البطولات والأمجاد (القاهرة: مطبعة التحرير)، ص 21.

(43) لوصف مفصل لأنشطة البدر منذ بدء القصف حتى وقت تركه صنعاء انظر

The Conspirators (London: Howard Baker, 1967), pp.1-17.

(44) SWB, 29-9-1962, p.7.

(45) SWB, 1-10-1962, p.3.

(46) نفس المصدر.

(47) الأهرام، 29 سبتمبر، ص 1.

(48) انظر

SWB, 2-10-1962, p.2.

(49) G.H. Gansen, "The problems of South-West Arabia", The World Today, (August, 1963), p.342.

الجزء الثاني

اليمن ومصر والمملكة العربية السعودية: العلاقات في الماضي

الفصل السابع

اليمن ومصر

يناقش هذا الفصل بالتفصيل علاقات اليمن مع مصر فيما بين عامي 1948 و1962، وهناك إشارة سريعة إلى أحداث ماضية يعتقد أنها تركت ذكريات أثرت على العلاقات بين البلدين في الفترة محل الدراسة.

ذكريات الماضي

وصلت أول حملة مصرية إلى اليمن عام 1173، ووصلت الحملة الثانية عام 1515، بينما الحملة الثالثة عام 1832.⁽¹⁾ أدت الحملة الأولى إلى تأسيس الأسرة الأيوبية التي حكمت اليمن لمدة نصف قرن، وأصبحت الحملة الثانية جزءاً من قوات الاحتلال العثماني، في حين أعقب الحملة الثالثة وجود مصري في اليمن استمر لمدة ثماني سنوات. وقد شنت هذه الحملات الثلاثة لأسباب مختلفة وكان التأثير الذي تركته متنوعاً في كل حالة. ففي الحملة الأولى قادت الحرب بين إمارتين يمنيتين إحداهما للسعي إلى الحصول على الدعم المصري، وفي الحملة الثانية كان الإمام هو من طلب التدخل المصري، في حين كان ما سهل نجاح الحملة الثالثة بشكل كبير هو الصراع بين الإمام الذي كان يحكم وقتها وبين ابن أخيه.

من الصعب تحديد الأهمية التي حملتها تلك الذكريات الخاصة بالماضي - إن وجدت - في الفترة محل الدراسة.⁽²⁾ لكن من المرجح تماماً أن الإمام أحمد الذي كان متعمقاً في التاريخ اليمني قد فسر هذه الذكريات باعتبارها تحذيراً من المخاطر الخارجية المصاحبة للصراعات الداخلية. وربما أسهمت أيضاً في شعوره بالشك تجاه مصر وهو شك خفف من حدته فقط احتياجه للدعم المصري.

1948-1957: تكثيف الاتصالات

أثناء حكم الإمام يحيى لم تسمح سياسته الانعزالية سوى بالحد الأدنى من الاتصالات مع الدول الأخرى، ولم تكن مصر استثناء. كان التواصل الرسمي غائباً وكان هناك القليل من الاتصالات الثقافية. درس عدد قليل من اليمنيين في الأزهر، الجامعة الدينية العريقة بالقاهرة، وكانت الكتب والمجلات التي ألهمت النهضة الأدبية في اليمن مصرية. وفي الأربعينيات دعم الإخوان المسلمون في مصر الليبراليين اليمنيين، وتعاطف صحفيون مصريون مع الحركة الليبرالية في اليمن وكانوا يقومون بالترويج لأنشطتها. وقد جرى توقيع أول اتفاقية بين البلدين، وكانت اتفاقية صداقة واعتراف متبادل، عام 1948.⁽³⁾ وأثناء ثورة 1948 في اليمن تعاطفت الحكومة المصرية مع الإمام لكنه لم يطلب ولم يحصل على أي مساعدة من مصر.

خطت العلاقات مع مصر خطوة إلى الأمام حينما بدأ التمثيل الدبلوماسي بين البلدين. وفي يونيو 1951 قدم الوزير المفوض المصري أوراق اعتماده إلى الإمام أحمد، وكانت المفوضية المصرية أول مفوضية أجنبية في اليمن.⁽⁴⁾ وفي نفس العام عبر الوزير المفوض اليمني في القاهرة عن دعم اليمن لمصر في صراعها مع البريطانيين.⁽⁵⁾

يقول أحد الكتاب أنه بعد قيام ثورة 1952 في مصر أمر الإمام أحمد بمصادرة أجهزة الراديو في الأماكن العامة لمنع الشعب من أن "يتلوث" بسبب مصر.⁽⁶⁾ ويقول كاتب آخر أن

أخوة أحمد كانوا معادين للثورة المصرية.⁽⁷⁾ ومن المؤكد أن أحمد كان ينظر بامتنعاض لقرار الحكومة المصرية الجديدة بالسماح للزبيرى بالإقامة في مصر وتشكيل الاتحاد اليمني، لكن الإمام لم يقدّم بأي شيء يعكّر صفو العلاقات الرسمية بين البلدين. وكان الأمر الأكثر أهمية من المشاعر الشخصية للإمام أو أخوته هو الآمال التي أحيتها الثورة المصرية لدى الليبراليين اليمنيين، فقد رحب الليبراليون بابتهاج بالثورة المصرية،⁽⁸⁾ وحتى قبل أن تتبنى مصر سياسة عربية نشطة اعتبر الليبراليون اليمنيون مصر حليفهم. ومنذ عام 1952 اتجه كل الليبراليين المعارضين للإمام إلى مصر طلباً للدعم.

في وقت مبكر من عام 1954 تم تقديم أول مقترحات لتوحيد جنوب الصحراء العربية. كان رد فعل الإمام أحمد هو تكثيف حملته والبحث عن دعم إضافي. وفي عام 1954 كانت مصر تتبنى بالفعل سياسة عربية نشطة وكانت في طريقها لبلورة دور مناهض للاستعمار، وأعقب ذلك تنسيق بشكل أوثق بين البلدين. وفي يوليو 1954 وقعت مصر اتفاقية مع اليمن تتعهد فيها بإرسال تدريب بعثة عسكري.⁽⁹⁾ وفي وقت لاحق من ذلك العام وصلت البعثة التي تكونت من 14 ضابط إلى اليمن وبقت هناك لمدة عام.

وأثناء انقلاب 1955 وقفت مصر والسعودية بجانب الإمام،⁽¹⁰⁾ لكن الإمام استعاد السيطرة دون الحاجة إلى مساعدة خارجية. اعتبر عبد الله شقيق الإمام بشكل واسع موالياً للغرب،⁽¹¹⁾ وخشت مصر أن يميل باليمن نحو المعسكر الموالي للغرب، والذي كان يضم العراق والأردن. ورغم أن الإمام كان متوجساً من البعثة العسكرية المصرية⁽¹²⁾ لكنه قدر تعاطف مصر أثناء الانقلاب وأرسل البدر لشكر عبد الناصر.⁽¹³⁾ وقرب نهاية العام كانت مصر واليمن تتبنيان دوراً مناهضاً للاستعمار، واحتراما لرغبة اليمن حدثت مصر من أنشطة الليبراليين وطلبت منهم التوقف عن إصدار صحيفتهم. رحبت صحيفة الإيمان بالقرار واعتبرته دليلاً جديداً على رغبة الحكومة المصرية الجادة في الحفاظ على علاقات الصداقة المصرية اليمنية.⁽¹⁴⁾

وفي أبريل 1956 وقع اليمن ومصر والسعودية ميثاق جدة الثلاثي.⁽¹⁵⁾ وخلال أزمة السويس قدم اليمن لمصر الدعم الكامل. وأثناء حرب السويس أصدر الإمام أحمد إعلاناً يدعو فيه المتطوعين للانضمام للقوات المصرية وأمر بفتح مراكز تجنيد.⁽¹⁶⁾ وبحسب صحيفة النصر كان هناك 15 ألف متطوع.⁽¹⁷⁾ وبعد الحرب قدم الرئيس عبد الناصر الشكر للإمام أحمد على "موقفه النبيل".⁽¹⁸⁾ وفي وقت لاحق من ذلك العام ألغى الإمام الاحتفالات بذكرى توليه الحكم وأمر بمنح الأموال المخصصة لتلك الاحتفالات إلى مصر.⁽¹⁹⁾ وفي ديسمبر من كل عام بعد

ذلك كان اليمن يحتفل بعيد النصر المصري. وطوال عام 1957 اتبع اليمن نفس الخط السياسي الخارجي الذي اتبعته مصر، وظلت العلاقات وثيقة بين البلدين.

وقد ثبت أن ارتباط اليمن الوثيق بمصر كان مثمرا. قدمت مصر لليمن الذخائر والأسلحة الخفيفة، ودعمت الحكومة ووسائل الإعلام المصرية اليمن في مواجهته مع البريطانيين. كانت مصر مستعدة لتقديم الخبراء عند الطلب، وأرسلت الجامعة العربية، والتي كانت مصر عضوا مؤثرا جدا فيها، بعثتي تحقيق إلى اليمن، وكانت تدين البريطانيين باستمرار. وحذا اليمن حذو مصر، فحصل على أسلحة ومساعدات اقتصادية من الكتلة الشرقية. ولكن رغم كل هذا كان الإمام يشك في أن مصر لديها مخططات تجاه اليمن. كان أحمد يكره الرئيس عبد الناصر، وكان واعيا تماما بجاذبية عبد الناصر للبربريين والثوريين. كان من المؤلم بالنسبة للإمام أن يرى "العقيد" يتمتع بشكل واضح بشعبية أكبر في بلاده من شعبيته هو رغم أنه من نسل الرسول. لكن الإمام كان يدرك أنه طالما كانت هناك مواجهة مع البريطانيين فإنه كان بحاجة إلى مصر. كان أحمد واثقا من أنه يستطيع احتواء التأثير المصري في اليمن مع الاستمرار في الحصول على دعم مصر في نفس الوقت. وبسبب هذه الثقة طلب الاتحاد مع الكيان الجديد الذي كان يضم مصر وسوريا – الجمهورية العربية المتحدة.

1958-1961: الاتحاد

بحسب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، بعد توقيع ميثاق الجمهورية العربية المتحدة، وبينما كان الرئيس السوري شكري القوتلي على وشك العودة إلى دمشق تلقى الرئيس عبد الناصر برقية من الإمام أحمد يطلب فيها الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. وعند قراءة البرقية شعر الرئيس عبد الناصر بالحيرة وأعطاهم للقوتلي الذي علق قائلا: "حسنا، حسنا، يمكننا أن ندعه ينضم إلينا." وسأل عبد الناصر ضاحكا: "تدع إمام اليمن ينضم إلى الجمهورية العربية المتحدة؟ هل هذا منطقي؟" ويقول هيكل أن القوتلي هو من أقنع عبد الناصر في النهاية بالموافقة على الوحدة مع اليمن. قال القوتلي أنه أولا لا يمكن رفض الوحدة مع اليمن باعتبارها خطوة نحو الوحدة العربية، وثانيا ربما تدخل الوحدة التحضر إلى اليمن، وثالثا يمكن للوحدة أن تخفف الضغط على العناصر الليبرالية في اليمن، ورابعا صد الإمام سوف يسلمه إلى يدي الملك سعود.⁽²⁰⁾

ربما أقنعت هذه الأسباب عبد الناصر، لكن تم وضع حالة النظام السياسي للشرق الأوسط أيضا في الاعتبار. رغم أن الجمهورية العربية المتحدة قوبلت بحماس من الجماهير العربية لكن رد فعل الحكومات العربية لم يكن إيجابيا. كانت السعودية والعراق والأردن معادية

لها. حاول الملك سعود إحباط الوحدة، وكان العراق والأردن يخططان لوحدة بينهما كخطوة مضادة. كانت اليمن هي الدولة العربية الأولى - والوحيدة مثلما اتضح - التي طلبت الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. في ذلك الوقت لم يكن ينقص عبد الناصر الأعداء، ولم يكن في وضع يسمح له بأن يرد صديقا، رغم أنه قد يثبت أن تلك الصداقة محرقة.

أراد الإمام أحمد اتحادا فضافا يتمتع فيه بحق النقض لكل الأمور التي تمس اليمن. كان هذا ملائما عبد الناصر الذي كان بالفعل واعيا بالمشكلات التي خلقها الاندماج مع سوريا، ولم يكن متلهفا على خلق مشكلات مشابهة مع اليمن. عقدت مفاوضات قصيرة أعقبها توقيع ميثاق الدول العربية المتحدة - مثلما أطلق على الكيان الجديد - في 8 مارس. رحب الرئيس عبد الناصر بشكل علني بالإمام أحمد باعتباره الرجل الذي "أخذ المبادرة وطلب الوحدة". قال عبد الناصر: "سوف يتذكر الشعب العربي في كل مكان دائما هذه المبادرة بالإعجاب والاحترام".⁽²¹⁾

نص الميثاق على أن كل دولة عضو في الاتحاد سوف تحتفظ بنظام الحكم فيها وكذلك بوضعها الدولي. كانت الوظائف الحكومية التي سيتم توحيدها هي السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي والقوات المسلحة، كذلك كان سيتم التنسيق فيما يخص التعليم. تم إقرار مبادئ حرية الحركة والحقوق المتساوية للمواطنين في العمل وشغل المناصب العامة عبر الاتحاد، وترك الميثاق للقوانين اللاحقة تحديد الإجراءات الخاصة بتحقيق الوحدة في الجانب الاقتصادي.⁽²²⁾ كانت ستتم إدارة الاتحاد بواسطة المجلس الأعلى المكون من قادة الدول الأعضاء في الاتحاد. كان الإجماع مطلوبا في قرارات المجلس الأعلى والذي كان يعاونه مجلس للاتحاد كانت كل دولة ممثلة فيه بعدد متساوي من الأعضاء.

وفي 13 مارس أعلن المجلس الأعلى ستة قوانين. تناول القانون الأول تشكيل مجلس للاتحاد، وحدد القانون الثاني مساهمة كل دولة في ميزانية الاتحاد.⁽²³⁾ أنشأ القانون الثالث وكالة نقد يمنية، بينما نظم القانون الرابع إصدار عملة يمنية جديدة. وتناول القانون الخامس والسادس على التوالي توحيد القوات المسلحة والتنسيق في الأنشطة الثقافية.⁽²⁴⁾ وفي سبتمبر 1958 جرى افتتاح أول اجتماع لمجلس الاتحاد في القاهرة، وحضر الرئيس عبد الناصر الاجتماع وألقى خطابا مهما عبر فيه عن شكره للإمام أحمد "على عمله المستمر لتحقيق آمال العرب في الوحدة".⁽²⁵⁾

ورغم هذه الخطوات سرعان ما أصبح من الواضح أن الأمام لم يكن ينوي تنفيذ الميثاق. لم يحدث توحيد لأي من الوظائف الحكومية، وتم تجاهل المواد التي تتناول التنسيق، وفيما يخص المؤسسات اليمنية الداخلية، بدا الأمر وكأن الاتحاد لم يوجد أبدا. اتبع الإمام الحذر

باستمرار، وبعبكس أحكام الميثاق كان مطلوباً من المصريين الحصول على تصريح مسبق قبل دخول اليمن. تم اختصار الاتحاد في وجود رسمي فقط.

وأثناء غياب الإمام أحمد في روما عام 1959 حاول البدر جعل الاتحاد يعمل؛ طلب من الجمهورية العربية المتحدة ما يقرب من مائة خبير في مختلف المجالات. وفي يوليو وصل ما يزيد على خمسين خبيراً.⁽²⁶⁾ ولا يوجد شك في أنه لو كان بمقدور البدر لكان نفذ بنود الميثاق.

كان الإمام في روما غاضباً من تعاملات البدر مع الجمهورية العربية المتحدة. أصر بعض أفراد الأسرة الحاكمة أن البدر كان يتآمر مع المصريين لإزاحة الإمام من السلطة. وأثناء رحلة الإمام البحرية عائداً إلى اليمن مر اليخت الخاص به عبر قناة السويس. وفي بورسعيد صعد الرئيس عبد الناصر على متن اليخت لتحية الإمام، وبدأ بعدها اجتماع عاصف. اتهم الإمام المصريين في اليمن بالتآمر ضده وطلب منهم الانسحاب فوراً. قال أحمد أنه ستكون هناك عواقب وخيمة لو وصل إلى اليمن ووجد أنهم ما زالوا هناك. قال الرئيس عبد الناصر أن الخبراء قد أرسلوا بناءً على طلب الحكومة اليمنية وأنه لن يعترض على أي إجراءات يتم اتخاذها ضد أي مصري يثبت تآمره. دعا عبد الناصر الإمام إلى النزول في بورسعيد حيث أعدت الترتيبات لاستقبال رسمي، لكن الإمام ادعى اعتلال صحته ورفض مغادرة اليخت. وبعد الاجتماع مباشرة أرسل عبد الناصر الذي كان يشعر بالغضب طائفة خاصة لإحضار المصريين، ولم يبق في اليمن سوى عدد قليل جداً من المصريين.⁽²⁷⁾

ومنذ ذلك الوقت أصبح اليمن في وضع غريب حيث كان في وحدة مع مصر لكن كانت علاقاته معها أسوأ من أي وقت مضى خلال السنوات التي سبقت الوحدة. ومع ذلك أراد الإمام الاحتفاظ بالارتباط الرسمي، وطالما كانت الجمهورية العربية المتحدة تسعى لدور وحدوي كان من الصعب على الرئيس عبد الناصر أن يقطع العلاقات.

1961-1962: المواجهة

وبحلول شهر ديسمبر 1961 كان اليمن ومصر ينظران إلى الاتحاد باعتباره التزاماً محدداً. بالنسبة لمصر بنظامها الاشتراكي الجديد وتأكيدها على الثورة الاجتماعية كان الاتحاد مع اليمن قد أصبح تناقضاً صارخاً. وبالإضافة إلى ذلك كان اليمن ينتمي إلى معسكر "الرجعيين" الذين بدأ التعايش السلمي معهم مستحيلاً. وبالنسبة للإمام كان تبني مصر لإجراءات اشتراكية دليلاً آخر على خطرهما المحتمل. كان أحمد يخشى من أن مصر ربما تستخدم الاتحاد لتبرير تدخلها في حالة حدوث اضطرابات داخلية في اليمن.⁽²⁸⁾

لكن الإمام لم يرغب في أخذ المبادرة في الانفصال عن الاتحاد، وربما كانت قصيدته التي هاجم فيها الاشتراكية – والتي نشرت في ديسمبر – متعمدة لدفع مصر للقيام بذلك. لم يكن رد فعل الرئيس عبد الناصر بطيئاً. في 23 ديسمبر قال عبد الناصر في خطاب طويل: بالطبع أنا أتحدث عن الاشتراكية. أولئك المحيطون بنا لا يحبون هذا الحديث... البعض يشد لحيته والبعض ينظم القصائد... يقول الملك سعود أن الاشتراكية ضد الإسلام. ويخرج إمام اليمن بقصيدة تهاجم الاشتراكية. لماذا؟ بالطبع لأن الرجعية السعودية – اليمنية التي تستولي على أموال الشعوب لا تريد هذه الشعوب أن تسترد حقوقها. (29)

وفي 26 ديسمبر أصدرت مصر بياناً ينهي الوحدة. أشار البيان إلى الاختلافات الأساسية في وجهة النظر، وركز على أن التوافق في الأيديولوجيات هو أمر حيوي لنجاح أي وحدة. ومضى البيان يقول أن "تجربة السنوات الثلاث السابقة قد أثبتت بما لا يدع شك أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة". (30)

ومع إنهاء الوحدة بدأت حملة وسائل الإعلام المصرية ضد الإمام بشكل جدي. كان أحمد يدرك أنه لا يستطيع مواكبة الحملة المصرية بحملة خاصة به فقرر عدم الرد. وفي بيان صدر يوم 27 أعرب أحمد عن أسفه "لحرب الكلمات غير المبررة ضد اليمن وشعبه وإمامه". قال الإمام: "رغم أننا نسمع الهجوم والإهانات الموجهة ضدنا لكننا لن ننحدر للرد". (31) واحتفظ الإمام أحمد بهذا الموقف الصامت حتى وفاته.

كان من يقوم بالحملة هم الليبراليون اليمنيون والمعلقون المصريون، وذلك من خلال المقالات في الصحف والأحاديث في الإذاعة. اتهم الإمام بأنه متحالف مع الاستعمار، (32) وكانت هناك تقارير عن اعتقالات، (33) وثورات، (34) وقيل أن اليمن كان على حافة ثورة. (35) والأمر الأكثر تدميراً من مثل هذه الادعاءات كان الدعوات الصريحة للتمرد. والافتباس التالي من حديث موجه إلى الشعب اليمني هو مثال على ذلك:

أنتم الشعب وأنتم بشر: ثوروا ضد الحكم الاستبدادي للإمام أحمد الذي هو سبب بؤسكم ومعاناتكم. دمروا قصوره واشنفوه مثلما شنق أخوتكم. (36)

تولى البدر السلطة

بعكس والده كان البدر معجبا حقا بعبد الناصر وقد لعب دورا هاما في تحقيق الوحدة. وبحسب البدر فقد شكّا عبد الناصر أثناء الوحدة من العراقيين التي كان يضعها الإمام أحمد أمام التعاون المصري اليمني، وقال أنه سيكون من الأسهل بكثير التعامل مع البدر.⁽³⁷⁾ وفي عام 1959 حاول البدر إعادة إحياء الوحدة لكنه فشل. وفي عام 1962 وبرغم توجه مصر الاشتراكي وحربها على الرجعية كان البدر لا يزال يعتبر نفسه صديقا لعبد الناصر، وكان يأمل أن يكون شعور عبد الناصر مماثلا نحوه. وعندما تولي البدر منصب الإمامة كان يتوقع تحسنا فوريا في العلاقات المصرية اليمنية.

سرعان ما أصيب البدر بخيبة أمل. فخلال اجتماع مع القوائم بالأعمال المصري سأل الأخير عما إذا كان البدر ينوي إرسال وفد إلى عبد الناصر. أصيب البدر بالدهشة وقال أن عبد الناصر هو من يفترض أن يرسل إليه وفدا. قال القوائم بالأعمال أن عبد الناصر لن يفعل ذلك، لكن لو أن البدر أرسل دعوة رسمية فإن عامر نائب الرئيس سوف يحضر. رفض البدر إرسال دعوة وانتهى الاجتماع.⁽³⁸⁾ وصلت برقية العزاء التي أرسلها عبد الناصر متأخرة، وقد تمت البرقية للبدر النجاح في تحقيق آمال اليمنيين "في مستقبل عظيم يحقق لهم الكرامة التي منحها الله للإنسان".⁽³⁹⁾ كان نذير الشؤم الأكبر هو أن تولي البدر لمنصب الإمامة لم يؤد إلى أي تغيير في الحملة المصرية، فبعد يومين من توليه الإمامة هاجمته الإذاعة المصرية هو ووالده الراحل:

كان شعاره (أحمد) "أنا ومن بعدي الطوفان"... وهناك مثل يقول "هذا

الشبل من ذاك الأسد". والطوفان لن يبقى على الإمام البدر الذي يمكن

أن يكون عزاءه الوحيد هو أن له نظيرا في المملكة العربية السعودية

– الأمير فيصل وهو وريث عرش آخر غير مستقر.⁽⁴⁰⁾

وهكذا لم يكن لدى الضباط الثوريين اليمنيين أدنى شك في موقف مصر تجاه البدر ولا في رد فعلها المحتمل تجاه الثورة ضده.

(1) انظر أعلاه ص 14-17.

(2) يعتقد الدكتور حسن صبري الخولي – والذي شارك باعتباره الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر في العديد من المفاوضات المتعلقة بالمشكلة اليمنية – أنه كان من اللافت أنه بعد حوالي قرن ونصف من رحيل القوات المصرية عام 1840 عادت مرة أخرى إلى اليمن: مقابلة، القاهرة، 18-1-1970. وخلال الحرب الأهلية استخدم الملكيون هذه الذكريات لإثارة الشعور بالاستياء ضد المصريين؛ انظر على سبيل المثال الطريقة التي توصف بها الحملات المصرية في أحمد محمد الشامي، قصة الأدب في اليمن (بيروت: دار الكتاب التجاري، 1965)، ص 155-160.

(3) أمين سعيد، اليمن (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1959)، ص 266.

(4) Middle East Journal (Spring, 1952), p.220.

(5) Eric Marco, Yemen and the Western World (London: C. Hurat & Co., 1968), p.94.

(6) Harold, Ingrams, The Yemen (London: John Murray, 1963), p. 83-84.

(7) محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية في اليمن (بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965) ص 66.

(8) انظر على سبيل المثال عبد الله السلال وآخرون، من وراء الأسوار (بيروت: دار الكتاب العربي، لا يوجد تاريخ)، ص 67-68 و ص 93.

- (9) محمد صادق عقل وهيام أبو عافية، أضواء على ثورة اليمن (القاهرة، كتب قومية، لا يوجد تاريخ)، ص 98.
- (10) انظر أحمد محمد زين السقاف، أنا عائد من اليمن (بيروت: دار الكتاب العربي، 1962)، ص 51.
- (11) نفس المصدر.
- (12) محمد أحمد نعمان، المعركة الوطنية في اليمن (عدن: الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ)، ص 24.
- (13) نفس المصدر، ص 25.
- (14) الإيمان، 15 ديسمبر، 1955، ص 3.
- (15) انظر أدناه ص 171.
- (16) النصر، 8 نوفمبر 1956، ص 1.
- (17) نفس المصدر، ص 6.
- (18) النصر، 24 نوفمبر 1956، ص 4.
- (19) النصر، 8 ديسمبر 1956، ص 1.
- (20) الأهرام، 29 ديسمبر 1961، ص 9.
- (21) مقتبس في صلاح الدين المنجد، اليمن والمتحدة (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1962)، ص 18.
- (22) Fayez, A. Sayegh, Arab Unity (New York: The Devin Addir Co., 1958), p. 192.
- (23) دفع اليمن 3% من الميزانية ودفعت الجمهورية العربية المتحدة الباقي.
- (24) انظر سعيد، المصدر نفسه، ص 290-295.
- (25) نفس المصدر، ص 301.
- (26) انظر النهار، 4 يوليو ص 4.
- (27) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.
- (28) انظر أعلاه ص 123-124.
- (29) الجمهورية العربية المتحدة، مجموعة كتب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر الجزء 3 (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، لا يوجد تاريخ)، ص 652.
- (30) الأهرام، 27 ديسمبر 1961، ص 1.

(31) Summary of World Broadcasts part 4 (London: B.B.C.)
(Hereafter SWB), 6-1-1962, p.1.

(32) SWB, 20-4-1962, p.5; 30-4-1962, p.7.

(33) SWB, 1-1-1962, p.4.

(34) SWB, 17-5-1962, p.7.

(35) الجمهورية، 12 مايو 1962، ص 1.

(36) SWB, 17-4-1962, p.4.

(37) الإمام محمد البدر، مقابلة، الطائف، 18-12-1969.

(38) نفس المرجع.

(39) SWB, 24-9-1962, p.10.

(40) SWB, 22-9-1962, p.1.

الفصل الثامن

اليمن والمملكة العربية السعودية

يناقش هذا الفصل باختصار الاتصالات اليمنية-السعودية في القرن التاسع عشر، كما يتناول الحرب اليمنية-السعودية التي وقعت عام 1934 ونتائجها. وينتهي هذا الفصل بدراسة علاقات اليمن مع المملكة العربية السعودية فيما بين عامي 1948 و1962.

ذكريات الماضي

رغم أن المملكة العربية السعودية الحالية قامت في القرن العشرين لكن أسرة آل سعود تمتعت بأهمية في نجد منذ القرن السابع عشر. وفي بداية القرن التاسع عشر اجتاح الوهابيون بقيادة آل سعود الحجاز وشنوا هجمات داخل اليمن. تحالف الشريف حمود شيخ قبيلة أبو عريش مع الوهابيين حيث سيطروا على تهامة وشكلوا تهديدا حقيقيا للإمام في صنعاء.⁽¹⁾ كان الوهابيون يعتبرون الزيدية مذهب كفر فأرسلوا إلى الإمام يطلبون منه التمسك بتفسيراتهم للإسلام. وكما كانت عاداتهم دمر الوهابيون القباب والمباني الأخرى فوق المقابر في المناطق

التي سيطروا عليها داخل اليمن.⁽²⁾ ولم تتم إزالة تأثيرهم من اليمن إلا بعد أن هزم المصريون الوهابيين في نجد.

واستمر تأثير هذه الاتصالات من القرن التاسع عشر عبر القرن العشرين. وقد أعطى انتشار النفوذ السعودي في اليمن الشرعية لادعاءات السعودية بشأن الأراضي لاحقاً. كذلك أظهرت الاحتكاكات العداء بين الزيدية والوهابية – وهو عداء لم يختف تماماً حتى حين كانت العلاقات بين البلدين في أفضل حالاتها. وبالإضافة إلى ذلك منذ بداية تلك الاتصالات في القرن التاسع عشر احتفظ أئمة اليمن بقدر من الشك تجاه السعودية كما أبدى حكام السعودية اهتماماً بما كان يجري في اليمن.

الحرب اليمنية-السعودية 1934

تعود جذور الحرب اليمنية-السعودية إلى نزاع بشأن عسير ونجران. لم تكن هناك أي حاجة إلى ترسيم دقيق للحدود في زمن الإمبراطورية العربية القديمة أو أثناء الحكم العثماني. لم يكن مفهوم الدولة القومية معروفاً في الفكر السياسي الإسلامي التقليدي، وكذلك كان الحال بالنسبة لمفهوم الحدود القومية المنبثق منه. لم تكن هناك حدود واضحة في شبه الجزيرة العربية التي كانت القبائل تتحرك وتتجول فيها بحرية. لم تتسبب الحدود غير الواضحة في نزاع إلا حينما ظهرت اليمن والسعودية كدولتين مستقلتين. بدأ النزاع بشأن عسير وامتد إلى نجران فيما بعد. وكدليل على الملكية استخدم كل طرف من الطرفين الارتباط السابق والسيطرة الحالية والاتفاقيات المبرمة مع الحكام المحليين. من وجهة النظر التاريخية الخالصة كانت حجج اليمن أفضل لكن من الناحية القانونية كان الطرفان قادرين على حشد حجج قوية.

وقد تمت دراسة التطورات التي قادت إلى حرب 1934 بالتفصيل في مواضع أخرى،⁽³⁾ ولذلك فليس هناك داعي للخوض فيها هنا. لكن من المثير للاهتمام أن الطرفين حاولا جاهدين حل النزاع بشكل ودي فيما بين عامي 1926 و 1934. بذلت جهود مستمرة من أجل الوصول إلى تسوية؛ عقدت على الأقل ستة اجتماعات بين ممثلي الطرفين وجرى تبادل عشرات الخطابات والبرقيات بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى.⁽⁴⁾

وفي عام 1934 توصل الملك عبد العزيز إلى نتيجة مفادها أن الإمام كان يراوغ فقرر حل المشكلة عن طريق الحرب. عبر جيش سعودي بقيادة الأمير سعود الحدود من نجران بينما دخل جيش آخر يقوده الأمير فيصل تهامة. واجه جيش سعود مقاومة عنيفة وكان يتقدم ببطء بينما اجتاحت قوات فيصل تهامة وسيطرت على الحديدة خلال ثلاثة أسابيع. طلب الإمام هدنة ووافق الملك عبد العزيز. وصل فريق يماني برئاسة عبد الله الوزير إلى الطائف وبدأت

المفاوضات بهدف إنهاء الحرب. ورغم أن الملك عبد العزيز كان يحتل مساحات كبيرة من اليمن وقد ثبت أن قواته كانت أفضل بكثير من قوات الإمام إلا أنه اتخذ موقفا معتدلا. اكتفى عبد العزيز بضم عسير ونجران إلى السعودية ولم تكن له أي مطالب أخرى في الأرض. تم توقيع معاهدة لترسيم الحدود الجديدة - إلى جانب عهد تحكيم - في مايو 1934. وبعد توقيع المعاهدة بدأت لجنة حدودية ضمت ممثلين عن كلا الطرفين في ترسيم الحدود وأكملت المهمة بعد عام. كان الإمام يعتبر عسير ونجران جزء لا يتجزأ من اليمن وكان يكره أن يرى السعودية تقوم بضمهما. لكن في ضوء الموقف العسكري كان عرض الملك عبد العزيز كريما بالفعل، وقد قدره الإمام. تأقلم كل من يحيى وأحمد مع الوضع؛ لم يحاول أي منهما أبدا المطالبة بنجران أو عسير، وفيما بعد كان الليبراليون المعارضون لأحمد يتذكرون الاتفاقية باعتبارها استسلاما للعدوان السعودي.⁽⁵⁾

ومع ترسيم الحدود وحل النزاع بشأن الأرض تحسنت العلاقات بين اليمن والسعودية بشكل تدريجي. وحتى محاولة اغتيال الملك عبد العزيز التي قام بها ثلاثة يمنين خلال موسم الحج عام 1933 لم تتسبب في الإخلال بالتفاهم الذي جري التوصل إليه بعد الحرب. أظهرت التحقيقات عدم وجود خطة منظمة وتم نسيان هذه الحادثة تماما. قام أكثر من ابن من أبناء يحيى بزيارات متكررة لليمن وكانت هناك بعثات سعودية تزور اليمن من وقت إلى آخر. استمرت هذه الحوادث الصغيرة على الحدود لكن كان يتم حلها بواسطة المسؤولين المحليين.⁽⁶⁾

ثورة 1948

بحسب الليبراليين كان تدخل السعودية إلى جانب أحمد أثناء ثورة 1948 حاسما في انتصاره.⁽⁷⁾ وهذا إدعاء مبالغ فيه لأنه رغم أن الملك عبد العزيز دعم أحمد بالتأكيد لكن كان انهيار الثورة بفضل القوات اليمنية وليس نتيجة التدخل الخارجي.

وبعد وقت قليل من اندلاع الثورة فكر الإمام أحمد في طلب اللجوء إلى السعودية. أرسل برقية إلى الملك عبد العزيز يطلب منه السماح له بدخول الأراضي السعودية، وبعد إرسال البرقية وقبل أن يصل الرد غير أحمد رأيه وقرر البقاء في اليمن وقيادة الثورة المضادة. أرسل برقية ثانية يخبر فيها الملك عبد العزيز بقراره الجديد ويطلب منه الدعم المعنوي.

كان عبد الله الوزير صديقا شخصيا للملك عبد العزيز ، وقد كان يفترض بشكل عام في اليمن أن المملكة العربية السعودية سوف تعترف بنظامه. لكن الملك عبد العزيز أصيب بصدمة نتيجة اغتيال الإمام يحيى، كما أنه أيضا كان يخشى من أن هذا النموذج لإزاحة نظام قائم بالقوة سيتم إتباعه في البلدان العربية الأخرى - بما فيها بلده هو. ولهذا فقد عارض نظام

الوزير وتعاطف مع أحمد، ورغم ذلك لم يكن راغبا في التدخل بشكل نشط. وحين وصلت برقية الإمام أحمد الأولي رد بالترحيب به في السعودية ولكنه طلب منه الدخول مع عدد قليل من الأشخاص وبدون أي أسلحة ثقيلة. من الواضح أن الملك لم يكن يرغب في أن تتحول أراضي السعودية إلى نقطة انطلاق لعمليات أحمد.

أرسل عبد الله الوزير برقية إلى الملك عبد العزيز يطلب فيها الاعتراف به لكن الملك تجاهلها. وحين وصلت بعثة الأمم المتحدة إلى جدة دعا الملك أفرادها لزيارته في الرياض.⁽⁸⁾ قال الملك أنه لم يكن من الأمن بالنسبة لهم أن يتقدموا إلى اليمن وأقنع البقية بأن يظلوا في الرياض. أرسل الوزير وفدا ليعرض موقفه أمام اللجنة وليرسل المساعدة من الملك عبد العزيز. وصف فيلبي اللقاء بين الملك والوفد اللقاء قائلا:

سمح لأعضائه بشكل مهذب بالقاء كلمة في اجتماع عام، وحين انتهوا التفت إليهم الملك قائلا: "كيف يمكنكم أن تأتوا إلى هنا وتطلبوا دعمي وحسن نواياي لسيدكم؟" وواصل قائلا: "أنتم قتلة. لقد حضرتم إلى هنا باعتباركم ضيوف وبعد أن استمعت إلى ما لديكم لا يسعني إلا أن أطلب منكم مغادرة بلادي."⁽⁹⁾

كان الإمام أحمد يبسط سيطرته بشكل سريع. طلب أجهزة لاسلكي من السعودية ورفض طلبه. ولكن يبدو أنه بقدر ما كان الملك عبد العزيز غير راغب في الانخراط بشكل نشط فإن الإمام أحمد - بشكل جزئي سبب خوفه من عواقب التدخل الخارجي، وأيضا لأنه لم يكن يرى الحاجة إلى مساعدات كبيرة - لم يطلب تدخلا سعوديا نشطا. تسبب قيام الملك عبد العزيز بإبقاء بعثة الجامعة العربية في السعودية في الإضرار بالثوار الذين كانوا في أمس الحاجة إلى الاعتراف الدولي، لكنه لم يؤثر بشكل جذري على الوضع الداخلي. ولو كان الإمام أحمد قد طلب المزيد من المساعدات من السعودية فمن غير المعروف هل كان الملك عبد العزيز على استعداد لتقديمها أم لا.

1948-1962: حسن الجوار

رغم أن التدخل السعودي لم يكن حاسما بأي حال من الأحوال لكنه أدى إلى نتائج هامة. شعر الإمام أحمد بالامتنان وساعد هذا في تشكيل العلاقات الودية التي استمرت عبر معظم فترة حكمه. أسس الموقف السعودي الداعم للشرعية في اليمن سابقة في السياسة السعودية تجاه اليمن. ومنذ ذلك الوقت أصبح الليبراليون والثوار اليمنيون ينظرون إلى السعودية بخوف وعداء.

وفي الخمسينيات كان هناك عاملان قادا إلى تقوية الروابط بين البلدين. بينما ازدادت امتيازات النفط السعودي تضاعفت فرص العمل وانتقل عدد كبير من اليمنيين - يقدر بحوالي مائتي ألف شخص - للعمل في السعودية. وبالنسبة للاقتصاد السعودي الذي يفتقر للأيدي العاملة كان هذا يعني إضافة مطلوبة للقوى العاملة، في حين استفاد الاقتصاد اليمني كثيرا من التحويلات التي كان اليمنيون يقومون بإرسالها. نشأ مجتمع غني ضخم في السعودية وازداد التبادل بين البلدين بنسبة كبيرة. كان الطرفان حريصين على تشجيع هذا النظام الاقتصادي. وكان العامل الثاني هو تبني الملك سعود سياسة عربية نشطة سرعان ما بدأت تتمركز حول دور مناهض للاستعمار. كان اليمن يقوم بدور مماثل فيما بين عامي 1955 و 1957، وكانت السياسات العربية للبلدين تسير على نحو متشابه.

وأثناء انقلاب 1955 أرسل البدر وفدا إلى الملك عبد العزيز ليطلب مساعدة السعودية. كانت كل من مصر والسعودية تمارسان دورا مناهضا للاستعمار وأرادتا أن تستمر اليمن في المعسكر العربي المناهض للاستعمار. وهكذا كان البلدان معادين لنظام عبد الله الذي كان ينظر إليه على أنه موالي للغرب، كذلك رغبت مصر والسعودية في استعادة نظام أحمد. وبدافع من رغبته في دعم أحمد الذي كان مناهضا للاستعمار، وبسبب شعوره بالقوة نتيجة التشجيع المصري، قرر الملك سعود الاستجابة لطلب البدر للمساعدة. لكن الملك سعود لم يكن يرغب في أن تشارك السعودية بشكل نشط؛ أرسل الأسلحة وليس القوات إلى البدر. ومرة أخرى حسم الصراع الداخلي في اليمن قبل أن يتم الشعور بأثر التدخل الخارجي. عاد الإمام أحمد للإمساك بزمام الأمور قبل وصول الأسلحة السعودية إلى البدر. كرر التدخل السعودي عام 1955 نفس النمط الخاص بعام 1948: في كلتا الحالتين تم تقديم الدعم إلى السلطة الشرعية، وفي كلتا الحالتين أيضا كان التدخل محدودا.

وفي أبريل 1956 سافر الإمام أحمد إلى جدة حيث التقى بالرئيس عبد الناصر والملك سعود.⁽¹⁰⁾ وكانت نتيجة اللقاء هي توقيع ميثاق جدة الثلاثي. وقد استخدم هذا الميثاق - والذي أنشأ تحالفا عسكريا بين الدول الثلاثة - بواسطة كلا من مصر والسعودية لتبرير التدخل في اليمن. كانت تتم الإشارة إلى المادة رقم 2 من الميثاق والتي نصت على ما يلي:

تعتبر الدول الموقعة أي عدوان مسلح يتم ضد أي دولة منها أو ضد قواتها اعتداء عليها جميعا. ولهذا، وتنفيذا للحق الفردي والجماعي المشروع في الدفاع عن كيانها، فإن كل دولة ملتزمة بالمشاركة في مساعدة الدولة التي وقع ضدها الاعتداء واستخدام عمل الوسائل

المتاحة - بما في ذلك استخدام قواتها المسلحة - لرد الاعتداء واستعادة الهدوء والسلام.⁽¹¹⁾

في عام 1956 وافق الإمام على افتتاح فرع لأحد البنوك السعودية في الحديدة.⁽¹²⁾ وفي عام 1957 أنشئت خدمة جوية بين اليمن والسعودية.⁽¹³⁾ وفي نفس العام قدم أول وزير مفوض سعودي أوراق اعتماده للإمام؛⁽¹⁴⁾ في السابق كانت العلاقات تدار عبر تبادل بعثات مؤقتة.

حدث أهم تحول في السياسات حين طلب الإمام الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. كانت السعودية في ذلك الوقت معادية للجمهورية العربية المتحدة، وقد أدى قرار الإمام بتبني دور وحدوي إلى شعور الملك سعود بالحيرة والغضب. أرسل الملك مبعوثا خاصا لإثنية الإمام عن الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. أبقى المبعوث تسعة عشر يوما قبل أن يسمح له بالحديث إلى الإمام. قال الإمام أنه بحاجة إلى كل الدعم الذي يمكنه الحصول عليه أثناء انخراطه في المواجهة مع البريطانيين. سأل عما إذا كانت السعودية على استعداد لدعم اليمن عسكريا. أخبره المبعوث أن السعودية لم تكن في وضع يسمح لها بتقديم مثل هذا الدعم. انتهى الاجتماع بدون التوصل لنتائج، وحين أعلن عن محاولة السعودية إجهاض الوحدة بين سوريا ومصر نظمت مظاهرة ضخمة عدائية ضخمة أمام المفوضية السعودية في صنعاء واحتج الوزير السعودي لدى الإمام.

بينما عملت السعودية على تحسين علاقتها مع الجمهورية العربية المتحدة، أصبح من الواضح أن الإمام أراد الاتحاد أن يكون حبرا على ورق. تحسنت العلاقات مع اليمن رغم أنه كان هناك برود واضح في ذلك الوقت. اعتبرت الحكومة السعودية قرار أحمد بالانضمام للجمهورية العربية المتحدة قرارا أحرق للغاية وأصبحت متخوفة من وجود أعداد كبيرة من الشيوعيين في الجوار. وبالإضافة إلى ذلك بدا البدر ثوريا أكثر من اللازم بالنسبة للمزاج السعودي، وكان حكام السعودية يفضلون رؤية الحسن كخليفة للإمام.

وفي عام 1960 كانت هناك أزمتان صغيرتان. وضعت الحكومة السعودية قيودا جديدا على عمل غير السعوديين في البلاد. عانى العاملون اليمنيون بسبب ذلك وعاد عدد منهم إلى اليمن. وجهت صحيفة يمنية خطابا مفتوحا للملك سعود تشكو فيه من أن اليمنيين كانت "تساء معاملتهم ويتم اضطهادهم" على يد السلطات السعودية.⁽¹⁵⁾ كان ينظر إلى الضوابط الجديدة على أنها محاولة لممارسة الضغط على اليمن لتغيير سياساته،⁽¹⁶⁾ لكن تم حل الأزمة حين ألغيت تلك الضوابط الجديدة. قال بيان صادر من المفوضية السعودية في اليمن أنه كانت تتم معاملة اليمنيين مثل المواطنين السعوديين تماما.⁽¹⁷⁾ وفي نفس العام طلب الإمام أن يتم

استبدال الوزير السعودي. لم يقدم طلب رسمي لكن كان يفترض أن البدر الذي كان يرفض انتقادات الوزير العلنية للجمهورية العربية المتحدة كان وراء القرار. لم يتم تعيين وزير جديد، وحين اندلعت الثورة كان من يمثل السعودية في اليمن قائم بالأعمال.

أصبحت العلاقات بين اليمن والسعودية أقوى بدرجة كبيرة عند حل الاتحاد وبدء الحملة المصرية ضد نظامي الحكم في اليمن والسعودية. بالنسبة للرئيس عبد الناصر كان الإمام أحمد والملك سعود شريكين في تحالف رجعي، وكان انهيار أحدهما إيذاناً بانتهاء الآخر. أدرك الإمام والملك الحاجة للحفاظ على جبهة صلبة في مواجهة الهجمات المصرية. ورغم أن تعاطف البدر كان دوماً مع مصر أكثر من السعودية لكنه أدرك الحاجة إلى الحفاظ على علاقات جيدة مع جيرانه. وحين أصبح إماماً لم تكن لديه النية لإنهاء العلاقات الودية التي كانت قائمة مع السعودية. وبدلاً من مهاجمة النظام السعودي لإرضاء مصر رأى في نفسه وسيطاً بين مصر والسعودية. كانت رسالته إلى الملك سعود التي أخبره فيها بوفاة الإمام أحمد تتميز بدفء استثنائي ورد الملك بدفء مماثل. زار وفد سعودي رفيع المستوى صنعاء لتهنئة الإمام الجديد.

لم تكن العلاقات بين حكومتي اليمن والسعودية خالية من التقلبات لكنها كانت مرضية بشكل عام. كان موقف الليبراليين والثوار اليمنيين من السعودية مختلفاً، رغم أن التدخلات السعودية عامي 1948 و1955 كانت محدودة وغير حاسمة لكنها أُنعتهم أن السعودية سوف تعارض فوراً أي تغيير في اليمن. كانت السعودية تعتبر حارس الأوضاع المتخلفة في اليمن. وحين تبنت مصر دوراً مناهضاً للرجعية اتبع الليبراليون اليمنيون النهج المصري وجرت مهاجمة السعودية رغم عدم وجود ضرورة لذلك. فتعليقاً على زيارة فريق سعودي للإمام أحمد في صيف 1962 هاجم منشور ثوري النظام السعودي. ذكر المنشور أنه "لا توجد في السعودية مدرسة ابتدائية جيدة" ومضى يقول أن "السعودية تريد العودة بعجلة التاريخ إلى الخلف".⁽¹⁸⁾

وقد تم تجاهل حقيقة أن الحكومة اليمنية كانت ستتجنب صعوبات كثيرة لو أن علاقتها كانت جيدة مع السعودية. كان يتم التقليل من قدر الحكام السعوديين بدرجة كبيرة مثلما تشير كلمات البيضانى التالية:

الحقيقة هي أن الحكام السعوديين لا يمثلون أي خطر حقيقي في المنطقة بسبب سذاجتهم وأساليب عملهم السياسي البدائية وفلسفتهم التي لا يطرأ عليها أي تغيير: الاعتماد على مبدأ شراء أرواح رخيصة... إن أنشطتهم خارج حدودهم مقتصرة على تقديم الرشاوى وشراء الولاءات ورعاية الاغتيالات.⁽¹⁹⁾

وهكذا كان العداء بين النظام السعودي والثوار اليمنيين قد بدأ حتى قبل اندلاع الثورة.

(1) Harold, Ingrams, The Yemen (London: John Murray, 1963), p. 50-51.

(2) انظر محمد علي الشوكاني، البدر الطالع (القاهرة: مطبعة السعادة، 1929)، ص 262-263.

(3) انظر على سبيل المثال

Manfred W. Wenner, Modern Yemen (Baltimore: The John Hop.kins Press, 1968), pp.142-147;

H. St. J.B. Philby, Arabian Jubilee (London: Robert Hale Ltd., 1952), pp.184-188;

أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1963) ص 276-288؛ أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية الجزء 2 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1964)، ص 362-389؛ محمد علي الشهاري، طريق الثورة اليمنية (القاهرة: دار الهلال، لا يوجد تاريخ)، ص 33-42.

(4) لمعلومات حول هذه الاجتماعات والمراسلات انظر المملكة العربية السعودية، بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين (مكة: مطبعة أم القرى، 1934).

(5) على سبيل المثال انظر شرف الدين، المرجع المذكور، ص 288؛ عبد الرحمن البيضاني، أبعاد الثورة اليمنية (بيروت: غير منشور، 1967)، ص 13.

(6) Philby, op. cit., p. 189.

(7) انظر على سبيل المثال أحمد محمد نعمان، إلى المناضلين في اليمن (دار البعث، لا يوجد تاريخ)، ص 14؛ محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1965)، ص 290.

(8) انظر أعلاه ص 30.

(9) Philby, op. cit., p. 191.

(10) كانت هذه الرحلة إلى جدة هي أول رحلة يقوم بها أحمد خارج اليمن وهو إمام.

(11) Muhammad Khalil, The Arab States and the Arab League Vol. 2 (Beirut: Khayats, 1962), p. 251.

(12) سبأ، 19 أبريل 1956، ص 1.

(13) النصر، 19 يونيو 1957، ص 6.

(14) النصر، 7 نوفمبر 1957، ص 2.

(15) النصر، 10 مارس 1960، ص 8.

(16) النصر، 10 أغسطس 1960، ص 5.

(17) النصر، 8 سبتمبر 1960، ص 5.

(18) اليمن الجديدة (سبتمبر، 1963)، ص 14.

(19) عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن (القاهرة: كتب قومية، 1962)، ص 210.

الفصل التاسع

مصر والمملكة العربية السعودية

يتناول هذا الفصل الصدام المصري-السعودي في القرن التاسع عشر ويناقش الاتصالات بين الملك عبد العزيز والملك فؤاد. ويختتم الفصل بدراسة أكثر تفصيلا للعلاقات المصرية السعودية فيما بين عامي 1952 و1962.

ذكريات الماضي

بحلول السنوات الأولى من القرن التاسع عشر كانت الوهابية التي بدأت في نجد كحركة إحياء دينية خالصة قد أصبحت حركة سياسية كبيرة تحت قيادة أسرة آل سعود. فبعد السيطرة على نجد نجح الوهابيون في السيطرة على الحجاز وكانوا يشنون هجمات على سوريا والعراق واليمن. شعر السلطان العثماني بالانزعاج من امتداد نفوذهم فقام بإرسال حملات محلية ثبتت عدم فاعليتها. طلب السلطان من محمد علي والي مصر التدخل نيابة عنه. وافق محمد علي الذي كان متلهفا على كسب ود السلطان وتوسيع منطقة نفوذه. اتضح أن الحرب ضد الوهابيين هي حرب طويلة ومكلفة، وبعد ثماني سنوات من القتال العنيف تمكن إبراهيم بن محمد علي من احتلال الدرعية عاصمة السعودية عام 1818. استسلم عبد الله بن سعود - الحاكم الرابع في الترتيب - لإبراهيم، وأرسل إلى مصر ومنها إلى القسطنطينية حيث جرى إعدامه، كما تم نفي حوالي 400 وهابي إلى مصر.

أثناء الحرب وقبل الاستسلام كان إبراهيم قاسيا مع الوهابيين.⁽¹⁾ ورغم أن إبراهيم كان ألبانيا مثل والده لكن الذكريات التي بقت في نجد كانت مرتبطة بـ "أعمال المصريين الوحشية". وبالنسبة لأسرة آل سعود كانت الهزيمة على يد المصريين نكسة قوية. لم يستطع أي فرد في الأسرة - سواء الملك أو غيره - نسيان الهزيمة المذلة التي تلاها إعدام عبد الله، ولا يستطيع أحد نسيان ذلك حتى الآن. ورغم ذلك فإن هذه الذكريات المؤلمة المرتبطة "بالعدوان المصري" لم تحل دون إقامة علاقات ودية مع مصر. لكن في كل مرة كانت تلك العلاقات تتدهور كانت تلك الذكريات موجودة لتحيي الشك والعداء.

بدايات مشئومة 1924-1936

لم تبدأ اتصالات الملك عبد العزيز بمصر إلا حين ضمت مملكته الحجاز التي كانت لها روابط تجارية وثقافية قوية مع مصر. وحين كان الملك على وشك السيطرة على الحجاز عام 1925 عرض الملك فؤاد ملك مصر الوساطة بينه وبين خصمه الملك علي ملك الحجاز، لكن عبد العزيز رفض بطريقة مهذبة.⁽²⁾ لم يكن الملك فؤاد راضيا عن فكرة أن يحكم الحجاز رجل كان يعتبره زعيم قبيلة بدوية عادي، وقد أصابه سقوطها في نفس العام بالإحباط، لكن لم يكن بإمكانه فعل أي شيء حيال ذلك.

لعدة سنوات كانت العادة هي أن تقدم مصر الكسوة – أي غطاء الكعبة – كل عام كهدية. بالنسبة لمصر كان هذا يمثل شرفا عظيما، وكان يتم إرسال الكسوة في موكب واحتفال. كان المحمل – أي الجمل الذي كان يحمل الكسوة – يرافق الحجاج إلى مكة وعرفات. كانت وحدة من القوات المصرية تقوم بحراسة المحمل الذي كان يجتذب قدرا كبيرا من الاهتمام. وخلال موسم الحج الأول بعد احتلال الحجاز شعر وهابيو نجد المتعصبون بالغضب من وجود الحيوان المزين وقاموا بمهاجمته. نتجت عن ذلك معركة بين المهاجمين النجديين والجنود المصريين. تدخل الملك شخصيا لإنهاء القتال لكن كان قد قتل عدد قليل من الحاضرين.⁽³⁾ نشأت أزمة دبلوماسية: أصر الملك أن يظل المحمل في جدة في المستقبل، وقررت الحكومة المصرية التوقف عن إرسال الكسوة تماما.

وبعد احتلال الحجاز عام 1925 افتتح الملك وكالة في مصر لكن الحكومة المصرية لم تمنح نظامه اعترافا قانونيا. رفضت مصر أن تعطي الوكالة الصفة الدبلوماسية. وبعد أربع سنوات طلب الملك سحب القنصل المصري في جدة وتم إغلاق القنصلية المصرية. لم تتحسن العلاقات إلا بعد وفاة الملك فؤاد عام 1936. اعترفت مصر بالملكة العربية السعودية وتمت تسوية القضايا البارزة. جرى توقيع اتفاقيات تتناول مسائل البريد والجمارك والملاحة.⁽⁴⁾ أعيد إرسال الكسوة مرة أخرى، لكن المحمل كان يبقى في جدة.

1952-1957: الصداقة والتحالف

عقب توقيع معاهدة 1936 تحسنت العلاقات وازداد التبادل الثقافي والاقتصادي بشكل ثابت. وبعد تأسيس جامعة الدول العربية اتبعت مصر والسعودية خطا متشابها في السياسات العربية. في عام 1945 زار الملك فاروق السعودية، وفي عام 1947 قام الملك عبد العزيز برد الزيارة، ويقال أنه كان يمنح ملك مصر دعما سنويا حوالي مليون جنيه إسترليني.⁽⁵⁾ ورغم أن سقوط الملك فاروق خلق "رد فعل من التعاطف والقلق بشأن الأسرة الحاكمة التي انهارت وبشأن أعضائها البارزين"،⁽⁶⁾ لكن النظام السعودي لم يظهر أي عداوة تجاه النظام الثوري في مصر. في عام 1955 كانت كلا الدولتين تتبعان سياسات عربية نشطة، وبحلول عام 1955 كانتا تتبنيان أدوارا مناهضة للاستعمار، وذلك لأسباب مختلفة. وخلال العامين التاليين كانت العلاقات بينهما أوثق من أي وقت مضى.

في أكتوبر 1955 تم توقيع اتفاقية دفاع مشترك تم تعزيزها فيما بعد من خلال تحالف جدة الثلاثي، وفي يناير 1957 وقعت كلا من الأردن وسوريا ومصر والسعودية معاهدة تعهدت فيها سوريا ومصر والسعودية بتقديم دعم سنوي للأردن. ورغم أن تلك الاتفاقيات كانت

تنفذ بشكل جزئي في أحسن الأحوال لكن حقيقة توقيعتها تشير إلى مدى التشابه في سياسات الدولتين.

وخلال الجدل الناتج عن حلف بغداد والنقاش الذي دار حول صفقة الأسلحة التشيكية وأزمة قناة السويس وقفت السعودية بشدة إلى جانب مصر. وفي عام 1956 كانت العلاقات أقوى من أي وقت مضى أو من أي وقت لاحق. في أبريل ونوفمبر أشاد الرئيس عبد الناصر بالملك سعود،⁽⁷⁾ وهي إشارة إلى الحد الذي اتبعت فيه سياسة السعودية بشكل وثيق نظيرتها المصرية لدرجة أن البعض كان يعتقد أن السعودية كانت "في طريقها لأن تصبح أهم مستعمرة لمصر".⁽⁸⁾

1958-1961: الهدنة

في عام 1957 كان الملك سعود ينسحب تدريجيا من الدور المناهض للاستعمار ويتلمس الطريق نحو دور جديد مستقل. كان وقتها أكثر عزما على أن يكون له مكان في قيادة السياسة العربية، ولم تعد علاقته السابقة بعبد الناصر مقبولة. وبالإضافة إلى ذلك كان سعود قلقا مما اعتبره ميولا توسعية لدى عبد الناصر. وحينما بدت سوريا على وشك الاتحاد مع مصر تأكدت شكوكه.

في محاولة لإيقاف هذا الاتحاد والذي اعتبره لا يزيد عن توسع لنفوذ عبد الناصر اندفع الملك سعود نحو خطة متهورة غير مدروسة: استمالة الضباط السوريين من خلال دفع المال لهم لإجهاض الوحدة. طلب الضابط السوري الذي تم الاتصال به بمبالغ كبيرة، وحين حصل على ثلاثة شيكات بلغ مجموع قيمتهم اثنين مليون جنيه إسترليني أخذها إلى عبد الناصر الذي كشف النقاب عن القصة في خطاب ألقاه يوم 5 مارس. كان يفترض أن تتضمن الخطة إسقاط طائرة عبد الناصر. أنكر بيان رسمي سعودي أي معلومات عن الموضوع وتحدث عن تشكيل لجنة تحقيق، لكن الأدلة كانت أخطر مما يمكن إنكاره بهذه الصورة، ولم يسمع أي شيء عن اللجنة بعد ذلك.

كان من الطبيعي أن يرد عبد الناصر بشكل غاضب. شنت وسائل الإعلام المصرية هجوما على الملك سعود. سمح لناصر السعيد - وهو منفي سعودي سجن في السعودية في أعقاب اضطرابات عمالية - بإنشاء جبهة وطنية وأتيح له استخدام وسائل الإعلام المصرية.

كان هناك رد فعل آخر أكثر خطورة في الداخل. كانت هناك مجموعة من الأمراء المؤثرين - كان معظمهم من أشقاء الملك - غير راضية عن إسراف الملك وسوء إدارته لموارد البلاد المالية. وحين أذيعت الأخبار بشأن محاولته المتهورة لإيقاف اتحاد كان يثبت شعبيته

بشكل متزايد لدى الجماهير العربية في كل مكان أصبح الأمراء مقتنعين بأن الملك لم يعد صالحا للحكم. طالبوه بأن يتخلى عن صلاحياته لأخيه ولي العهد الأمير فيصل. وافق الملك الذي كان يواجه أزمة مالية حادة إلى جانب موجة من الاستياء داخليا وخارجيا. وفي 24 مارس تولى الأمير فيصل مسؤولية الحكم.⁽⁹⁾

شرع فيصل على الفور في تحسين العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة. في ذلك الوقت كان ينظر لفيصل باعتباره معجبا بعبد الناصر بشكل عام، وقد ساعدته هذه الصورة. زار عامر نائب عبد الناصر السعودية في يونيو، وفي أغسطس توقف فيصل في القاهرة والتقى بعبد الناصر. بدت العلاقات طبيعية مرة أخرى وتوقفت الحملة الدعائية المصرية.

لكن برغم الهدوء الواضح وبرغم محاولات فيصل وتوضيحات سعود⁽¹⁰⁾ لم يتم نسيان قصة "المؤامرة" أبدا. كان عبد الناصر ليشير إليها من وقت لآخر فيما بعد لكي يثبت أن التعايش مع "الرجعيين" كان مستحيلا. شعر فيصل بأن الملك سعود والمملكة نفسها قد قدما ما يكفي من ترضيات وأنه يجب أن تكون هناك بداية جديدة. لم يكن الأمر كذلك: كانت بذرة الشك قد زرعت، ومن الآن فصاعدا لن تكون العلاقات كما كانت.

رغم أن فيصل كان مهتما بتسوية الخلافات مع الجمهورية العربية المتحدة لكن لم يكن مستعدا للذهاب بعيدا نحو تبني دور وحدوي. وفيما بين عامي 1958 و 1961 كانت العلاقات طبيعية بدون دفء السنوات الماضية ولا اضطرابات السنوات التالية. كتب هيكل ليبرر تلك الفترة بقوله أن الجمهورية العربية المتحدة كانت مشغولة بشكل كبير لا يسمح لها بالاهتمام بسعود. كانت مشغولة أولا بالوحدة ثم بالثورة العراقية ثم بالتهديد الخاص بانقلاب شيوعي في العراق.⁽¹¹⁾

1961-1962:المواجهة

بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر 1961 سارعت مصر لتبني دور مناهض للرجعية. ردت السعودية بتبني دور مناهض للاشتراكية. ظهرت علامات مواجهة قادمة. هاجمت الصحافة السعودية الاشتراكية بدون ذكر اسم مصر. في 16 أكتوبر قال عبد الناصر أنه من الآن فصاعدا أصبح من الضروري "محاربة الاستعمار في قصور الرجعية ومحاربة الرجعية في حضن الاستعمار".⁽¹²⁾ وفي ديسمبر تحدث هيكل كثيرا بشكل غير مباشر عن اتهام سابق للملك سعود بأنه مول الانقلاب في سوريا.⁽¹³⁾ وفي 23 ديسمبر هاجم عبد الناصر الملك سعود بشكل علني:

لو كانت هناك عدالة اجتماعية في المملكة العربية السعودية، لو كانت قوانين العدالة التي هي قانون الله تطبق، كيف كان الملك سعود سيكدس الأموال؟ من أين كان سيحصل على الذهب لو طبقت العدالة الاجتماعية في المملكة؟ من أين كان سيأتي بالمال الذي ينفقه على العشيقات؟⁽¹⁴⁾

وبعد حوالي عام تقريبا قال الأمير فيصل في إشارة إلى خطاب عبد الناصر: حين كان الأمر مقصورا على الصحافة والإذاعات والتعليقات لم نأخذ الموضوع على محمل الجد، لكن حين وقف رأس الحكم في مصر في بورسعيد العام الماضي وتحدث ضد ملك البلاد وضد أماكنها المقدسة فقد تعاملنا مع الأمر عن طريق إرسال مذكرة احتجاج للحكومة المصرية...رفضت المذكرة بشكل مخجل. أعيدت لنا بدون كلمة واحدة وفي مظروف لم يتضمن حتى بطاقة...⁽¹⁵⁾

وبعد خطاب عبد الناصر بدأت حملة دعائية شاملة ضد النظام السعودي كانت أكثر شراسة من الحملة على الإمام. لكن على عكس النظام اليمني رد النظام السعودي. تبع ذلك معارك تشهير حاول فيها كل طرف أن يتفوق على الآخر. بحسب قادة الحملة المصرية كان لدى الملك سعود "3000 زوجة و400 قصر و10 آلاف سيارة"،⁽¹⁶⁾ كما أنه كان يعيش "في خطيئة وفجور".⁽¹⁷⁾ كان "يمكن الأجانب من سرقة الثروات العربية".⁽¹⁸⁾ وكان هو والملك حسين ينظران إلى إسرائيل باعتبارها "حامية" لهم.⁽¹⁹⁾ أما الأمير فيصل فقد "أحاط نفسه بسحابة من الغموض وكان يخدع الناس حسني النية وطيب القلب".⁽²⁰⁾ وداخلها كان هناك اضطراب متصاعد أدى إلى موجة من الاعتقالات والإعدامات بدون محاكمة.⁽²¹⁾ أصدر الملك أمرا ملكيا "بقطع رؤوس دعاة الاشتراكية".⁽²²⁾

وبدورها وصفت وسائل الإعلام السعودية الرئيس عبد الناصر بأنه "شيوعي متحمس لا يزال مخلصا للشيوعية مثلما كان يوم أن انضم إلى تنظيم شيوعي في القاهرة كعضو بارز".⁽²³⁾ كان الدافع وراء هجومه على النظام السعودي هو رغبته في "تدمير كل شيء مرتبط بالدين من قريب أو بعيد".⁽²⁴⁾ كان يعمل وفق خطة شيوعية و"كان يتبقى القليل مما لم يتم القيام به حتى تتحول مصر إلى دولة شيوعية خالصة".⁽²⁵⁾ كان عبد الناصر "يتعاون مع الولايات المتحدة للتوصل إلى سلام مع إسرائيل"،⁽²⁶⁾ وكان "مرتبطا باتفاق سري مع إسرائيل يسمح لها باستخدام خليج العقبة".⁽²⁷⁾ وداخلها فقد بقي في السلطة عن طريق القمع الوحشي، وكان الدليل موجودا "على المشانق التي لا يزال الدم يقطر منها وعلى أيدي جلاديه".⁽²⁸⁾

وكجزء من حملتها تحدثت وسائل الإعلام المصرية كثيرا عن أنشطة ناصر السعيد وبعض السعوديين الآخرين الذين كانوا يحرضون ضد النظام. أولا جرت الإشارة إلى جبهة الإصلاح الوطني والتي تحولت فيما بعد إلى اتحاد أبناء شبه الجزيرة العربية. وحين وصل الأمير طلال إلى القاهرة في أغسطس⁽²⁹⁾ حظي بترحيب حار وتحدثت الصحافة المصرية عن تكوين وشيك لجبهة تحرير سعودية تتكون من الأمراء الأحرار والمتقنين السعوديين.⁽³⁰⁾ وحتى لا تهزم وسائل الإعلام السعودية فقد تحدثت عن أنشطة جبهة إنقاذ مصر⁽³¹⁾ التي كان يفترض بها أن تعمل ضد نظام عبد الناصر داخل وخارج مصر. شارك كل من الرئيس عبد الناصر والملك سعود في الحملة. في يونيو قال عبد الناصر أن الذهب السعودي كان ينفق على المؤامرات.⁽³²⁾ وفي يوليو اتهم الملك سعود بأنه دفع قبل شهرين 25 مليون ريال سعودي (حوالي 2 مليون إسترليني) لتمويل مؤامرة ضده. مضى عبد الناصر يقول:

يستطيع الشعب في السعودية تحطيم الرجعية واسترجاع حقوقه،
أموال النفط التي يضعها سعود في البنوك السويسرية...لقد حرم
الشعب من كل شيء وكان يتم توزيع المال على سعود وأولئك الذين
يعملون معه...لقد قالوا أن الاشتراكية كفر...الاحتفاظ بالعشيقات
وتكديس المال والاستيلاء على أموال الناس - هذا هو الكفر، هذا ضد
الدين وضد الإسلام وضد كتاب الله.⁽³³⁾

وفي أغسطس عقد الملك سعود مؤتمرا صحفيا قال فيه أن عبد الناصر "أعطى إسرائيل الفرصة كاملة حينما تجاوب مع رغبتها وقام بحمايتها بجيش الاحتلال الدولي في الأرض العربية".⁽³⁴⁾ كما تحدث عن "مؤامرة مشينة جديدة من الرئيس المصري لاغتيال أخينا الملك حسين".⁽³⁵⁾

وبالإضافة إلى الحملات المستمرة كان عام 1962 عاما مليئا بالأزمات فكل شهر تقريبا حمل واقعة جديدة. في يناير استقال المصريون الذين كانوا يعملون لصالح مطبعة صحيفة سعودية في جدة. أرجعت إذاعة مكة استقالاتهم إلى تحريض السفارة المصرية، بينما قالت إذاعة القاهرة أنهم استقالوا طوعا كنوع من الاحتجاج على الهجوم السعودي على الجمهورية العربية المتحدة. لم يسمح للعاملين المصريين بالمغادرة على الفور؛ قالت إذاعة مكة أنه لن يكون بإمكانهم الرحيل قبل تسديد ديونهم والتوصل إلى تسوية مع أصحاب العمل. اعتبرت مصر ذلك عملا استفزازيا ومنعت السعوديين من مغادرة مصر. ظل الحظر ساريا حتى عودة العاملين المصريين. وفي فبراير ذكرت إذاعة القاهرة أن بعض المصريين تعرضوا للاعتقال في السعودية. وفي مارس قالت مصر أن السفن الحربية السعودية فتحت النار على مراكب الصيد المصرية في خليج العقبة لكن السعودية أنكرت الاتهام. وفي أبريل قالت إذاعة القاهرة أن

طائرة ركاب مصرية تعرضت لمشكلة ولم يتم السماح لها بالهبوط في جدة، وحين هبطت رغم رفض التصريح لها بذلك أحاط بها الجنود السعوديين ومنعوا الركاب من مغادرتها. وفي مايو رفضت السعودية الكسوة المصرية.⁽³⁶⁾ توالى الاتهامات والاتهامات المضادة فادعت مصر أن الحجاج المصريين كانوا يتعرضون لسوء المعاملة. وفي يونيو قالت مصر أن "عصابة" سعودية هاجمت واحتلت بنكا مصرية في جدة. لم يشهد شهرا يوليو وأغسطس أي تحسن وبحلول الوقت الذي اندلعت فيه الثورة اليمنية كانت العلاقات بين مصر والسعودية أسوأ مما كانت عليه في أي وقت مضى.

(1) انظر

R. Bayly Winder, Saudi Arabia in The Nineteenth Century (London: Macmillan, 1965), p. 19.

(2) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية الجزء 2 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1964)، ص 232.

(3) بشأن حادثة المحمل انظر

H. St. J.B. Philby, Arabian Jubilee (London: Robert Hale Ltd., 1952), pp.89.

(4) سعيد، المرجع المذكور، ص 236.

(5) George A. Lipsky and others, Saudi Arabia (New Haven: HRAF Press, 1959), p. 141.

(6) H. St. J.B. Philby, Saudi Arabia (London: Ernest Benn Limited, 1955), p. 354.

(7) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر 1952-1959 (القاهرة: اخترنا لك، 1959)، ص 1122 وص 1489.

(8) Lipsky, op. cit., p. 142.

(9) Gerald De Gaury, Faisal (London: Arthur Barker Limited, 1967), pp. 92-93.

(10) بحسب هيكل، في لقائهما التالي أقسم سعود لعبد الناصر أنه لم يخطط لاغتياله أبدا لاغتياله عام 1958. انظر الأهرام، 3 نوفمبر 1962، ص 9.

(11) نفس المصدر.

(12) الجمهورية العربية المتحدة، مجموعة كتب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، الجزء 3 (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، لا يوجد تاريخ)، ص 567.

(13) الأهرام، 1 ديسمبر 1961، ص 9. في هذه الحالة – وكذلك في حالات تالية – لم يتم تقديم دليل يؤكد الاتهامات الخاصة بـ "مؤامرة" الملك سعود.

(14) المتحدة، المرجع المذكور، ص 652-653.

(15) المملكة العربية السعودية، الأمير فيصل يتحدث (وزارة الإعلام، 1963)، ص 26.

(16) SWB, 26-3-1962, p.3.

(17) SWB, 5-7-1962, p.7.

(18) SWB, 7-3-1962, p.3.

(19) SWB, 21-12-1962, p.5.

(20) SWB, 16-6-1962, p.1.

(21) انظر على سبيل المثال

SWB, 25-4-1962, p.10.

(22) SWB, 13-8-1962, p.4.

(23) SWB, 5-3-1962, p.3.

(24) SWB, 6-2-1962, p.7.

(25) SWB, 19-2-1962, p.3.

(26) SWB, 7-5-1962, p.12.

(27) SWB, 2-5-1962, p.5.

(28) SWB, 30-1-1962, p.13.

(29) انظر أدناه ص 267.

(30) SWB, 6-9-1962, p.3.

(31) SWB, 18-5-1962, p.2.

(32) الجمهورية، 27 يونيو 1962، ص 3.

(33) الجمهورية، 27 يوليو 1962، ص 4.

(34) SWB, 10-8-1962, p.3.

(35) نفس المصدر.

(36) انظر أدناه ص 177-178.

الجزء الثالث

تأثير الثورة على السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة

الفصل العاشر

الوضع

تحت عنوان الوضع الداخلي يناقش هذا الفصل كلا من آلية اتخاذ القرارات فيما يخص السياسة الخارجية المصرية وكذلك الرئيس جمال عبد الناصر باعتباره صانع القرار، إلى جانب الموقف الداخلي عام 1962. وتحت عنوان الوضع الخارجي يتناول هذا الفصل تطور الأدوار في سياسات مصر العربية والدولية، ويختتم بوصف للموقف الخارجي عام 1962.

الوضع الداخلي

آلية اتخاذ القرارات

تقليديا كانت سياسة مصر الخارجية "امتيازاً حصرياً ومسئولية منفردة للمسئول التنفيذي"⁽¹⁾. وكان المدى الذي يتم به توجيهه بواسطة معاونيه "مسألة اختيار شخصي"⁽²⁾. وعقب ثورة 1952 جري تقسيم السلطة بين اللواء نجيب ومجلس قيادة الثورة الذي كان عبد الناصر مهيمناً عليه. وفيما بين عامي 1952 و 1954 كانت القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية، إلى جانب كل الموضوعات الرئيسية الأخرى، تتم مناقشتها في المجلس. وفي حالة الخلاف كان يتم اخذ الأصوات. وفي أواخر 1954 تم إعفاء نجيب من كل مناصبة وبرز عبد الناصر باعتباره الزعيم بلا منازع. وكرئيس للوزراء كان عبد الناصر يسيطر بشكل مباشر على الشؤون الخارجية. وفي عام 1956 تم انتخابه رئيساً للجمهورية مع صلاحيات واسعة شملت المسؤولية عن الشؤون الخارجية، وقد احتفظ بنفس الصلاحيات كرئيس للجمهورية العربية المتحدة.

وإلى جانب التقليد والالتزامات الدستورية كانت هناك عوامل أسهمت في سيطرة عبد الناصر على اتخاذ القرارات فيما يخص السياسة الخارجية. كانت شعبيته الكبيرة في العالم العربي تتعلق بإنجازاته الخارجية أكثر من إنجازاته الداخلية. واجهت مصر سلسلة من الأزمات كان بعضها يهدد وجودها نفسه – وكان اهتمام عبد الناصر الشخصي مطلوباً دائماً. وبالإضافة إلى هذا اكتسب عبد الناصر خبرة في السياسة الخارجية مقارنة بالسياسة الداخلية.

كانت وزارة الشؤون الخارجية مسئولة عن التمثيل الدبلوماسي الروتيني وتنفيذ القرارات، وكان الرئيس هو الذي يتخذ القرارات. كان يعاونه فريق صغير من المساعدين الشخصيين كان معظمهم من ضباط الجيش السابقين الذين كان عبد الناصر يعرفهم منذ فترة ما قبل الثورة. كانت المركزية تفسر السرعة والكفاءة اللتين كان يتم بهما اتخاذ القرارات.

صانع القرار الرئيسي

الرئيس جمال عبد الناصر

بحلول عام 1962 كان عبد الناصر قد قطع شوطاً كبيراً ولم يعد ضابط الجيش غير المعروف كما كان منذ عشر سنوات. لم يكن هناك أحد أكثر وعياً بالتغيير من عبد الناصر نفسه. فخلال حديثه عن الاشتراكية علق عبد الناصر قائلاً:

في 23 يوليو (1952) لم أكن أعرف الأمور التي أتحدث عنها اليوم. لو أنني جلست معكم يوم 23 يوليو لم أكن لأعرف هذا لأنني لم أحيأ تجربة السنوات العشرة الأخيرة. لو طلبتم مني محاضرة عن التكتيك أو عن موضوع عسكري كنت سأستطيع إلقاءها. لكن لو طلبتم مني الحديث عن الثورة والأمور التي نناقشها الآن كنت سأجد ذلك صعبا جدا.(3)

خلال عشر سنوات كان العقيد غير المعروف قد أصبح الشخصية المحورية في سياسة الشرق الأوسط،⁽⁴⁾ والزعيم المعترف به للقومية العربية. لم يجتذب أي رجل في التاريخ العربي الحديث مثل هذا القدر من الجدل. لم يحظ أي شخص بحب أكثر من المعجبين به ولا بكرهية أكثر من أعدائه. بالنسبة للجماهير العربية كان عبد الناصر يبدو صانع معجزات يشير لبدء عصر الاستقلال والرخاء، وبالنسبة لأعدائه كان ديكتاتورا ديماجوجيا مصمما على بناء إمبراطورية مصرية باسم القومية العربية. جرى تحليل نجاح عبد الناصر العملي المدهش وشخصيته المركبة عدة مرات وسيتم تحليلهما أكثر بلا شك، لكن اهتمامنا هنا ستركز على تصوراتنا عن الشئون الخارجية وعلى سماته كصانع قرار.

بدأ عبد الناصر بلا خبرة في الشئون الخارجية وتقريبا بلا أفكار مسبقة. كان هناك فقط أمران واضحا في ذهنه. أولا: كان مقتنعا بأنه كان لمصر دور كبير لتلعبه في شئون العالم. ونقاشه للدوائر الثلاثة - العربية والأفريقية والإسلامية - في كتابه فلسفة الثورة يشير بوضوح لهذا الاعتقاد. كان عبد الناصر مصمما على أن تعي مصر إمكانياتها الكاملة في دائرة الشئون الخارجية. وثانيا: أراد عبد الناصر أن تكون مصر حرة في اختيار السياسة الخارجية الملائمة لها ولم يكن مستعدا أن يدع أي قوة - صغيرة أو كبيرة - تفرض على مصر مسارها كما لخص الأمر:

كل ما نريده اليوم هو أن نخلق لأنفسنا شخصية حرة ومستقلة وقوية
وغير منحازة توجه سياستها الداخلية كما تريد وكذلك توجه سياستها
الخارجية من أجل تحقيق مصالحها.(5)

وهكذا بدأ عبد الناصر بموقف مرن. جاءت القرارات التي اتخذها في وسط تفاعلات نشطة بين مصر من ناحية وبين الغرب والشرق وباقي العالم العربي من ناحية أخرى. ويجب فهم التعليق الذي كان ينسب إليه دائما - "أنا لا أتصرف؛ أنا أتفاعل" - في ضوء ذلك.

رغم أنه كان برجماتيا بشكل هائل في المحيط الداخلي وأيضا في المحيط الخارجي لكن عبد الناصر كان يرجع قراراته دائما إلى "المبادئ". كانت كلمة شعار واحدة من أكثر

الكلمات المفضلة لديه وهي كلمة تلخص هدفا قوميا. وباستثناء العامين الأولين الذي كان عبد الناصر فيهما يتلمس توجهها كان هناك شعار أساسي دائما. من 1955 حتى 1957 كان الشعار هو "مقاومة الاستعمار"، ومن 1958 إلى 1961 كان "الوحدة العربية"، ومن 1961 كان "الحرب على الرجعية". وكما سنري كانت أدوار مصر في السياسة العربية مرتبطة بشكل وثيق بهذه الشعارات. كان الشعار يمثل أحدث استنتاج مستمد من التجربة الوطنية، ورغم أنه نشأ بشكل برجماتي لكنه كان يتمتع بصلاحية نظرية. لم يفسر أي شعار سائد كل القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية لكنه كان يقدم الإطار الذي كانت السياسة الخارجية تعمل من خلاله. وعند اتخاذ قرار في أي وقت كان بإمكان عبد الناصر أن يقول أنه مخلص لشعاره.

بدأ عبد الناصر عمله في السياسة الخارجية بآمال كبيرة ولكن تلت ذلك إحباطات سريعة. رفض طلبه الحصول على أسلحة من الغرب، وتعارض إصراره على أن تكون له سياسة خارجية مستقلة مع خطة الغرب الخاصة بالدفاع الإقليمي في الشرق الأوسط. أكد له العدوان الثلاثي عام 1956 إلى الأبد الخيانة والشر المتأصلين في الاستعمار. وكانت بعض الحكومات العربية التي كان يسيطر عليها "عملاء الاستعمار" تعمل ضده. بدأ عبد الناصر تدريجيا يطور ما أطلق عليه "مفهوم المعركة" في العلاقات الدولية. كانت إنجازاته "انتصارات" حققها في "معارك" ضد الأعداء وقد تنوع الأعداء وفقا للظروف، لكن المعركة استمرت:

لقد انتصرنا في معركة حلف بغداد، وانتصرنا في معركة بورسعيد،
وانتصرنا في معركة المؤامرات، وانتصرنا في معركتنا من أجل
الوحدة، وانتصرنا في معركتنا من أجل القضاء على عملاء
الاستعمار.⁽⁶⁾

كان هناك جزء مماثل يشير إلى المعارك والانتصارات يظهر تقريبا في كل خطاب عبد الناصر. وخلال تلك المعارك كان عبد الناصر يعتبر دعم الجماهير العربية سلاحه الأقوى وكان يرى نفسه - ويتوقع أن تتم معاملته - باعتباره المتحدث الرسمي باسم هذه الجماهير "ما يقوله عبد الناصر لا يمثل عبد الناصر وحده؛ إنه يمثل هذه الملايين... من مصر إلى سوريا - لا- هذه الملايين في كل أنحاء الوطن العربي".⁽⁷⁾ وبينما ضعفت علاقاته مع الحكومات العربية كان يشعر أن علاقاته مع الجماهير قد أصبحت أقوى للمرة الأولى في أكتوبر 1961 وجه خطابا بشكل رسمي إلى "الأخوة في الوطن العربي".⁽⁸⁾ تدريجيا بدأ يؤمن أن قراراته كانت تنبع من آمال وطموحات تلك الجماهير.

بالنسبة لعبد الناصر كان من المستحيل ببساطة أن يؤيد عربي قومي حقيقي زعيما منافسا، ففي النهاية كان عبد الناصر هو الزعيم الذي أعطى العرب كرامة والذي تجاوزت معه الجماهير العربية بحماس. وربما كان هذا الإحساس بأنه الممثل الوحيد للجماهير هو الذي جعل شعورا بالحصانة ينمو لديه. فمن ناحية أصبح عبد الناصر حساسا للغاية تجاه النقد، وأي إهانة موجهة إليه كانت تفسر باعتبارها إهانته للعرب في كل مكان. ويعلق أحد كتاب السيرة الشخصية لعبد الناصر قائلا:

لقد أثبتت حساسية عبد الناصر المتزايدة تجاه النقد نقطة ضعفه في أكثر من مناسبة. فالرجل الذي يمتلك أعصابا فولاذية في مواجهة الأزمات الدولية سوف يفقد أعصابه ويتخذ مواقف تتسم بالاندفاع وضيق الأفق بسبب إهانات سطحية.⁽⁹⁾

في عام 1960 حظر عبد الناصر دخول مجلة نيوزويك إلى الجمهورية العربية المتحدة لأنها ذكرت أن الأمين العام للأمم المتحدة تحدث بحدّة إلى عبد الناصر. قال عبد الناصر مبررا الحظر: "لا يسمح شعب الجمهورية العربية المتحدة لأي شخص أن يتحدث بحدّة إلى رئيسه أو يرفع صوته عليه."⁽¹⁰⁾ وفي خطبه لم يكن يمل أبدا من الإشارة إلى الهجوم الموجه ضده. ومن ناحية أخرى قاد الشعور بالحصانة عبد الناصر لأن يصبح غير قادر بشكل غريب على التعاطف. فبينما كان يرد بشكل قوي على أي تصرف يعتبره يشكل تهديدا أو إهانة حتى ولو من بعيد فقد أخفق في أن يقدر أنه يمكن أن يستجيب الآخرون بشكل مباشر لتصرفاته. شعر بالحرية في إدانة حكومات الشرق الأوسط المؤيدة للغرب مستخدما في بعض الأحيان لغة تهديد صريحة:

لا فائدة: الاستعمار والرجعية. لا يمكن لعملاء الاستعمار أن ينتصروا أبدا... سوف نقضي على عملاء الاستعمار في كل أنحاء العالم العربي، لأن هذه هي مبادئنا ولن نتخلى عنها... لبعض الوقت قد نتحدث بشكل عام دون ذكر أسماء. لكن يجب أن تذكر أسماء... نحن مسئولون عن تحقيق العدالة الاجتماعية، ليس فقط هنا ولكن في كل أنحاء الأمة العربية.⁽¹¹⁾

وكان أي رد من الحكومات التي هاجمها يثير شعورا بالإهانة والغضب. وربما لن تحسم أبدا قضية ما إذا كان عبد الناصر أراد حقا تأسيس إمبراطورية مصرية أم لا. على أي حال رأى الآخرون بعض تحركاته باعتبارها توسعية ولم يهتم عبد الناصر بتبديد مخاوفهم. وحتى لو كانت هناك تلميحات خاصة فإن تصريحاته العلنية جعلتها بلا قيمة تماما.

ظهرت صفات عبد الناصر كصانع قرار بشكل تدريجي. أثبت عبد الناصر أنه قادر على اتخاذ قرارات مصيرية في وقت قصير. ورغم أن تلك القرارات كانت جريئة وبدت متهورة في بعض الأحيان لكنها قد اتخذت بعد دراسة متأنية. " رغم أنه سياسي بدرجة كبيرة لكن يجب أن ينظر لعبد الناصر – على عكس النظرة الشائعة - على أنه حذر ومتأنى ويقظ." (12) لم يثق عبد الناصر أبداً في "الخبراء"، وكان يريد أن يكون على دراية جيدة بكل موضوع قبل اتخاذ أي قرار. كان عبد الناصر يمتلك قدرة هائلة على التعلم وكان يقرأ بقدر مذهل يومياً. كان يفتخر بأن لديه معرفة كبيرة بحجج أعدائه. وبمجرد أن يتخذ قراراً كان عبد الناصر ينتقل إلى القرارات الأخرى بدون أن تزعجه الشكوك والأفكار اللاحقة. كان مفعماً بالثقة، وقد وصف بأنه يكون "في أفضل حالاته في أوقات الأزمات." (13) وبينما تراكمت خبراته بدأ يشعر بأنه أكثر مهارة في التعامل مع الشؤون الخارجية. (14)

كانت التحديثات التي أدخلها عبد الناصر إلى السياسة الخارجية المصرية نوعين: تحديثات في المضمون وتحديثات في الأسلوب. فمن حيث المضمون أثبت عبد الناصر أن الأمور التي كانت تعتبر "مستحيلة" يمكن أن تتم في الواقع. نجح في تحدي الهيمنة البريطانية في الشرق الأوسط وأظهر أن قوة صغيرة يمكن أن تتعامل مع القوى الكبرى كند لها. تحدى عبد الناصر بحرية المحاذير المرتبطة بالتعامل مع الاتحاد السوفيتي. ومن حيث الأسلوب أدخل تحديثين. أولاً: استخدم آلة الدعاية المصرية لدعم سياسته الخارجية لدرجة لم تكن معروفة من قبل في الشرق الأوسط. ثانياً: خرج على التقليد السائد والمقبول في العالم العربي والذي ينص على أنه يجب على رئيس الدولة أن يلتزم في خطابه باللغة الدبلوماسية والملائمة. كان عبد الناصر متحرراً في خطابه وكان يستخدم اللغة العامية ويسخر من أعدائه – بمن فيهم رؤساء الدول الآخرين في بعض الأحيان. ورغم أنه كان يكشف فقط ما كان ينوي كشفه فقد كان يصر على أنه لا توجد أسرار مخفية عن الجماهير. بلا شك كان عبد الناصر أكثر المتحدثين تأثيراً من بين الزعماء العرب.

كان عبد الناصر يستفيد دائماً من المناقشات مع مستشاريه لكن تدريجياً وحينما ازدادت مكانته تضاعف دور المستشارين. ولت الأيام التي كان فيها القرار يطرح للتصويت. ذكر أحد دارسي السياسة الخارجية المصرية هذه الملاحظة:

بعد أزمة السويس حدث تغيير في أسلوب وضع السياسة الخارجية بشكل جزئي نتيجة تغيير في عبد الناصر نفسه. آمن معظم مواطنيه وكثير من العرب الآخرين أنه بسبب البركة الخاصة به (الحظ أو السحر الناتج عن نجمه الشخصي) فقد أحرز انتصارات على

الصعوبات الهائلة. لا يمكن ألا يكون قد تأثر إطلاقاً بهذا الشعور الشائع نحوه، وقد حدث تغيير أكبر في موقف الأشخاص المحيطين به، فالأشخاص المرتبطون به بشكل وثيق لعدة سنوات والذين تحاوروا معه عبر عدد لا ينتهي من الاجتماعات الإستراتيجية وكانوا يردون عليه الحجة بالحجة بدأوا يشيرون إليه باسم الرئيس (القائد أو الرئيس) ويستشهدون بأرائه باعتبارها القول الفصل في كل موضوع.⁽¹⁵⁾

كان مستشاروه لا يزالون يناقشون البدائل والعواقب المحتملة لقراراته لكن أصبح هناك الآن تحفظ نابع من الرهبة. لم يكن يتم الطعن في فرضيات الرئيس الأساسية حيث كان ينظر إليه على أنه يمتلك فكراً أفضل بكثير. وقد أظهرت التجارب الماضية أنه كان على حق مرات عديدة من قبل. وحين كتب الميثاق الوطني عام 1962 كان يعتبر ليس فقط رجل دولة وإنما واضع نظريات بارع أيضاً. وكان هناك إجماع كبير بين مستشاريه عن التشكيك في قراراته.

الوضع الداخلي عام 1962

في يوليو تم تطبيق الإجراءات الاشتراكية. سيطرت الحكومة على كل التجارة المرتبطة بالاستيراد وعلى جانب كبير من التجارة المرتبطة بالتصدير. تم تأمين البنوك وشركات التأمين ونقل ملكية حوالي 300 مؤسسة صناعية وتجارية بشكل كلي أو جزئي إلى الدولة وأصبح الحد الأدنى للدخل هو خمسة آلاف جنية مصري.⁽¹⁶⁾ كذلك تم تعديل قانون الإصلاح الزراعي لعام 1952 من أجل حظر ملكية ما يزيد على مائة فدان بدلاً من مائتي فدان كما كان في السابق. وهكذا ولدت الاشتراكية العربية.

في سبتمبر 1961 واجه الرئيس عبد الناصر أقسى نكسة في حياته العملية: انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. في البداية قرر سحق الحركة الانفصالية وأرسل قوات لكن سرعان ما أصبح واضحاً أن حكومة التمرد الجديدة كانت تسيطر على سوريا سيطرة كاملة. تراجع عبد الناصر عن قراره وأمر بعودة القوات. تلت ذلك فترة من التأمل والفحص. تم الإعلان عن بداية جديدة. خارجياً لم تكن الجمهورية العربية المتحدة تقبل بتسوية مع "الرجعية"، وداخلياً لم يكن هناك طريق مفتوح سوى الاشتراكية الثورية.

كان عبد الناصر يريد دائماً أن ينشئ قاعدة سياسية منظمة تخفف على الأقل من اعتماده على الجيش. اختار نظام الحزب الواحد من أجل تحقيق ذلك. من عام 1953 إلى 1957 كانت هناك هيئة التحرير، ومن 1957 إلى 1961 كان هناك الاتحاد القومي. تم إنشاء

كلا التنظيمين من خلال مرسوم ولم يتمتع أي منهما بصلاحيات حقيقية. كانت الوظائف التي كانا يؤديانها اسمية بدرجة كبيرة. وبعد الانفصال أعلن عبد الناصر أن الرجعية قد تسلمت إلى الاتحاد القومي وأشار إلى الحاجة إلى تنظيم جديد يمثل تحالف قوي الشعب العامل ويمنح الحرية الكاملة للشعب – لكن ليس لأعدائه (الرأسماليين). وفي نوفمبر 1961 انعقدت لجنة تحضيرية للإعداد للمؤتمر الوطني الذي سوف يقر ميثاق العمل الوطني. وفي مايو 1962 انعقد المؤتمر الوطني. وفي يونيو أقرت مسودة الميثاق الوطني التي قدمت إلى الرئيس عبد الناصر. أدخل الميثاق الاتحاد الاشتراكي العربي باعتباره التنظيم السياسي الوحيد في البلاد.⁽¹⁷⁾

وبعكس توقعات أعدائه تجاوز عبد الناصر النكسة. وبرغم الإعلان عن بعض الاعتقالات الاحترازية ومصادرة الممتلكات في القاهرة عقب انفصال سوريا كان من الواضح أن النظام لم يكن يواجه تهديدات خطيرة. كانت مناقشات كل من اللجنة التحضيرية والمؤتمر الوطني تسير بحرية بدون قيود. كان بإمكان عبد الناصر عام 1962 أن يشعر أخيراً أن مصر كانت على الطريق الصحيح للديمقراطية الحقيقية.

بحسب إعلان دستوري⁽¹⁸⁾ أصدر عبد الناصر في 27 سبتمبر مرسوماً بإنشاء مجلس رئاسي مكون من 12 عضواً.⁽¹⁹⁾ نظرياً كانت سلطات الرئيس مخولة إلى المجلس، وهكذا تم إصدار بعض القرارات والبيانات الخاصة بالتطورات في اليمن باسم المجلس، لكن الترتيبات الجديدة لم تؤثر على سيطرة الرئيس على الشؤون الخارجية. أنشئ المجلس كإجراء مؤقت حتى يمكن انتخاب مجلس وطني، وكان مختصاً بالتشريع بشكل أساسي.⁽²⁰⁾ تم اتخاذ بعض القرارات الهامة فيما يخص التدخل في اليمن بواسطة الرئيس ثم جرت مناقشتها وإقرارها بواسطة المجلس.

الوضع الخارجي

1954-1952 : البحث عن دور

في أعقاب الثورة المصرية لم يكن لدى الضباط أي فكرة محددة عن أدوار مصر العربية والدولية؛ كانوا يتركون الأمور للظروف. تبنت الولايات المتحدة موقفاً ودياً من الثورة، وكان الضباط يأملون في أن يروا تعاوناً أمريكياً مستمراً. كانت لديهم شكوك أكبر فيما يخص بريطانيا التي كانت لا تزال تحتل أكبر قاعدة عسكرية في القناة. كان أحد الأهداف الأولى للضباط هو إخراج البريطانيين من مصر، ولكن من الطبيعي أنهم كانوا يفضلون أن يقوموا بذلك بدون استخدام العنف إن أمكن. لم يكن الضباط يميلون إلى الشيوعية، وفي العامين التاليين للثورة لم يحدث أي تكثيف ملموس للاتصالات مع الاتحاد السوفيتي.

فيما بين عامي 1952 و1954 كانت علاقات مصر مع الغرب في حالة تغيير مستمر. من ناحية كانت هناك علامات مشجعة. كانت الولايات المتحدة تأمل في تسهيل التوصل إلى تسوية مع البريطانيين. أبدت بريطانيا استعدادا للانسحاب، وتم الوصول إلى اتفاقية عام 1954. ومن ناحية أخرى كانت هناك صعوبات؛ لم تتم الاستجابة لمطالب مصر بالحصول على الأسلحة. كانت بريطانيا والولايات المتحدة مهتمتين بصورة أكبر بإنشاء تحالف عسكري مناهض للاتحاد السوفيتي وضم الدول العربية إليه. ومثلما لخص عبد الناصر الأمر عام 1955: "هم مهتمون بالدفاع ونحن مهتمون بحريتنا."⁽²¹⁾ ولكن في عام 1954 لم يكن أي جانب قد توصل إلى استنتاجات محددة بشأن الجانب الآخر، بل أن بعض العرب كانوا ينظرون إلى عبد الناصر باعتباره عميلا أمريكيا.

كان القوميون العرب يشكون دائما من انشغال مصر بشئونها الداخلية لدرجة إهمال القضايا العربية. في مصر لم يترسخ مفهوم القومية العربية أبدا. كان المصريون يفكرون من منطلق قومية مصرية خالصة، وحين اندلعت الثورة لم يتغير هذا الموقف على الفور. لم يفكر أي من القادة المصريين كثيرا في موضوع العلاقات مع الدول العربية الأخرى. وتشير خطابات عبد الناصر الأولى إلى أنه كان يمتلك القليل من المعرفة عن الشؤون العربية. وعند قراءة هذه الخطابات يجد المرء أنه من الصعب أن يتذكر أن نفس الرجل قد برز بعدها بعدة سنوات باعتباره زعيم القومية العربية. في عام 1953 تحدث عبد الناصر عن "الأمة العربية"،⁽²²⁾ وهو تعبير اعتبره القوميون العرب غريبا لأنه لم تكن هناك سوى أمة عربية واحدة. وفي نفس العام قال عبد الناصر أن رابطة العروبة "كانت حتى الآن وهمية وغير حقيقية".⁽²³⁾

ربما في عام 1954 أصبح عبد الناصر واعيا تماما بـ "الدائرة" العربية. في ذلك العام تحدث عن "الأمة العربية الواحدة".⁽²⁴⁾ وفي خطاب آخر قال إن "مشكلات العرب هي مشكلات المصريين".⁽²⁵⁾ لكن الالتزام بالتوجه العربي لم يكن كاملا. في أغسطس من نفس العام أشار عبد الناصر إلى "مصر العظمى"⁽²⁶⁾، وهو تعبير متعارض مع فكرة الأمة العربية الواحدة.

كان عبد الناصر واعيا تماما بإمكانيات مصر في المشهد العربي. كان لمصر حق طبيعي في قيادة العالم العربي. كانت الدولة الأكثر كثافة سكانية والأقوى والأكثر استقلالا وتقدما في نواحي كثيرة مقارنة بالدول العربية الأخرى. اجتذبت المؤسسات التعليمية المصرية أجيالا من الطلاب العرب. كذلك تمتعت الثقافة المصرية بجاذبية كبيرة في أنحاء العالم العربي. في عام 1954 أراد عبد الناصر أن يمارس هذه القيادة رغم أنه في ذلك الوقت لم يكن يعرف في أي اتجاه.

تطور الأدوار العربية

1955-1957 : الدور المناهض للاستعمار

سواء كان عمر القومية العربية يمتد لقرون - مثلما يدعي الكتاب العرب - أو أنها كانت - كما يؤكد الكتاب الغربيون - ظاهرة أدخلت عبر الاتصالات مع الغرب خلال القرن التاسع عشر هو أمر محل جدال. لكن الكل يجمع على أن مفهوم القومية العربية يشير إلى وعي العرب بانتمائهم لأمة واحدة وإلى رغبتهم في الاستقلال وفي نوع من الوحدة والعدالة الاجتماعية. لكن لم يتم شرح هذه الأهداف بشكل واضح أبدا واختلف التركيز عليها من فترة تاريخية إلى أخرى. في عام 1955 بدأ عبد الناصر يستوعب مبادئ القومية العربية وتدرجيا بدأ يطلب من المصريين ألا يفكروا في أنفسهم باعتبارهم مصريين تصادف أنهم يتحدثون اللغة العربية وإنما باعتبارهم عربا تصادف أنهم يعيشون في مصر. ومنذ عام 1955 ترك عبد الناصر بصمته الخاصة على مبادئ القومية العربية.

في يناير 1955 أعلنت تركيا والعراق عن نيتهما في إقامة تحالف عسكري، وعرف هذا التحالف الذي كانت ترعاه بريطانيا باسم حلف بغداد. بالنسبة لعبد الناصر الذي كان حساسا بالفعل لتاريخ طويل من الاحتلال والإذلال على يد البريطانيين كان الحلف حدثا مؤثرا على الأدوار. اعتبر عبد الناصر هذا الحلف دليلا على أن البريطانيين كانوا يريدون الاستمرار في تشكيل مصائر الدول العربية. في رأيه كان حلف بغداد مجرد بداية: "إرادة الامبرياليون قاعدة ينقضون منها على الأردن ولبنان وسوريا ومصر والسودان".⁽²⁷⁾ وفي فبراير من نفس العام كان هناك هجوم إسرائيلي واسع النطاق على غزة. ظهر الضعف العسكري المصري بصورة مؤلمة، وقد أرجع عبد الناصر هذا الضعف إلى رفض الغرب تزويد مصر بالسلاح. اعتبر عبد الناصر هذا الهجوم محاولة استعمارية أخرى لإذلال مصر.

في عام 1955 نشأ دور مناهض للاستعمار. كانت بريطانيا هي العدو الإمبريالي لكن اعتبرت فرنسا والولايات المتحدة أيضا دولا استعمارية بقدر ما كانتا متواطئتين مع بريطانيا في الشرق الأوسط. كان هذا الدور يعني علاقات أوثق مع الدول العربية التي تتبنى سياسات مناهضة لبريطانيا، وعداء للأنظمة الموالية لبريطانيا، وهجوما عاما على المصالح البريطانية في كل أنحاء الشرق الأوسط.

خلال هذه المرحلة كان عبد الناصر يفكر في القومية العربية باعتبارها تعني قبل أي شيء مقاومة الاستعمار. تم تجاهل الاختلافات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين العرب المناهضين لبريطانيا واعتبروا جميعا قوميين عرب:

إن الكيان العربي يمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي. نحن جميعا شعب واحد - شعب عربي واحد نكافح معا متحدين كتفا بكتف لنيل حقنا في الحرية وحقنا في الحياة، نكافح معا ضد الاستعمار وعملاء الاستعمار.⁽²⁸⁾

تجاهل عبد الناصر مشكلة النظريات الاجتماعية غير المتوافقة فقال عام 1956: كل ما نتمناه مصر هو الحرية لكل بلد عربي؛ كل ما نتمناه لكل بلد عربي هو القوة والكرامة. ولتحقيق ذلك مصر مستعدة للاتفاق مع أي بلد عربي بقدر ما يريد ذلك البلد. إن سياستنا تقوم على عدم التدخل. نحن غير معنيين بأي شأن داخلي. نحن لا نتدخل أبدا.⁽²⁹⁾

طورت مصر علاقات وثيقة مع الدول العربية التي كانت تتبنى أدوارا مناهضة للاستعمار: سوريا والسعودية واليمن. وحين بدا أن الأردن يلعب دورا مناهضا للاستعمار عام 1956 كانت العلاقات قوية معه، لكن حين تراجع الملك حسين عن ذلك الدور وتبنى موقفا مؤيدا للغرب عام 1957 تدهورت العلاقات. كان العراق مؤيدا للغرب بشكل صريح فكانت علاقاته مع مصر عاصفة. كانت مصر تدعم الحركات المناهضة لبريطانيا في عدن وعمان، كما شجعت النضال ضد الفرنسيين في شمال إفريقيا.

1958-1961: الدور الموحد

في فبراير 1958 اتحدت مصر وسوريا معا ليكونا الجمهورية العربية المتحدة. جاء ذلك الاتحاد بمبادرة سورية. كان عبد الناصر مترددا في البداية واقترح وحدة تدريجية، وأمام إصرار السوريين وافق في النهاية. وبشكل مميز وبمجرد أن وافق عبد الناصر على الوحدة نسي تشككه السابق وانخرط في مسئولياته الجديدة. تبنت مصر دورا وحدويا.

كانت للدور الجديد دلالتان. أولا: اتجه اهتمام عبد الناصر إلى الشأن الداخلي. "إن قراءة خطابات عبد الناصر عامي 1958 و1959 تظهر تحولا واضحا في التركيز (رغم أنه ربما كان مؤقتا) من الشأن الخارجي إلى الشأن الداخلي".⁽³⁰⁾ وفيما يعد قال عبد الناصر نفسه أنه كان يقضي ثلاثة أرباع وقته في التعامل مع الشؤون الخاصة بسوريا.⁽³¹⁾ ثانيا: أيدت مصر الوحدة العربية بشكل صريح. حين كانت مصر تتبنى دورا مناهضا للاستعمار كانت تؤكد على أهمية الوحدة ضد الاستعمار، لكن "الوحدة الشاملة لم تكن تلوح في الأفق في السياسة المصرية حتى بعد الوحدة بين مصر وسوريا، أي حتى فرضت على مصر بسبب منطوق الأحداث نفسها".⁽³²⁾ كان يتم تفسير القومية في ذلك الوقت باعتبارها تعني ليس فقط مناهضة الاستعمار

وإنما أيضا الرغبة في الوحدة. ورغم أن عبد الناصر أوضح أنه لا يجب أن يتم فرض الوحدة لكنه كان يؤمن أن النفوذ الإمبريالي هو فقط ما كان يعيق تحقيق الوحدة العربية الكاملة .

إن الوحدة العربية هي أعلى مرحلة للوطنية...حين ينتهي النفوذ

الإمبريالي، حين لا يصبح هناك أشخاص يتلقون الأوامر من الدول

الأجنبية، ستصبح الوحدة العربية سهلة جدا. (33)

نتيجة انشغاله بالشئون الداخلية للاتحاد كان عبد الناصر مستعدا لاتباع سياسات عربية تصالحية. حين طلب اليمن الانضمام للاتحاد وافق عبد الناصر، وحين أبدت السعودية - تحت قيادة الأمير فيصل - رغبتها في تحسين العلاقات كان رد عبد الناصر إيجابيا. وعندما اندلعت ثورة العراق في يوليو 1958 انهار الاتحاد الذي تأسس بين العراق والأردن كخطوة مضادة لقيام الجمهورية العربية المتحدة. تحسنت العلاقات مع العراق على الفور، لكن سرعان ما نشأ صراع داخل العراق بين أولئك الذين أرادوا انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة - بقيادة العقيد عبد السلام عارف - وأولئك الذين أرادوا الحفاظ على كيان العراق - بقيادة اللواء عبد الكريم قاسم. خسر عارف وتم سجنه. كانت هناك قطيعة علنية بن قاسم والعناصر الناصرية التي تم قمعها بقسوة. ولضمان الحصول على الدعم اعتمد قاسم على الشيوعيين العراقيين. نددت الجمهورية العربية المتحدة بعبد الكريم الذي وصف بدوره الوحدة بين مصر وسوريا بأنها إمبريالية ناصرية.

1961-1962: الدور المناهض للرجعية

كان انفصال سوريا في سبتمبر 1961 أول هزيمة لعبد الناصر بعد سلسلة متواصلة من "الانتصارات". وصف هو نفسه التمرد في سوريا بأنه أكثر خطورة من العدوان الثلاثي عام 1956. (34) نظر إلى الانفصال مؤامرة دبرها الإمبرياليون بالاشتراك مع "الرجعيين"، كما اعتبره عبد الناصر فقط الخطوة الأولى في مخطط إمبريالي -رجعي لتدمير الثورة الاشتراكية من خلال تدمير نظامه. كان عبد الناصر مصمما على إحباط مخططهم عن طريق مقاومة وهزيمة الرجعية. في 2 أكتوبر قال:

يمكننا تحويل هذه الانتكاسة إلى قوة دفع إلى الأمام للقضاء على

الرجعية في كل أنحاء الأمة العربية. علينا أيها الأخوة أن نسير في

هذا الطريق. يجب أن تصبح هذه الانتكاسة نقطة البداية لمبادرة كبرى

للقضاء على الرجعية في كل أنحاء الأمة العربية. (35)

وفي 16 أكتوبر تحدث عبد الناصر عن مخاطر التوصل لتفاهم مع الرجعيين.⁽³⁶⁾ منذ ذلك الحين كانت القومية العربية تعني - بالإضافة إلى مقاومة الاستعمار والرغبة في الوحدة - الإيمان بالاشتراكية ت بنت مصر دورا مناهضا للرجعية. بشكل عام كانت الرجعية تشير إلى الأنظمة غير الاشتراكية التي تربطها بالغرب علاقات وثيقة. ترك التعريف مبهما بشكل متعمد من أجل السماح ببعض المرونة في السياسة الخارجية.

وتعليقا على التشدد الجديد قال هيكل أنه كان لمصر دوران: دور الدولة ودور الثورة. منذ ذلك الوقت لو حدث تعارض بين الدورين يجب أن تعطى الأولوية للدور الثوري. وبهذا ينبغي على مصر أن تقبل احتمالات أن تصبح الجامعة العربية عاجزة وأن تقطع العلاقات الدبلوماسية مع أي دولة عربية "تحكمها الرجعية". كتب هيكل: "المعركة الآن لا تحتاج إلى أقل من المواجهة ولا تتطلب نتائج أقل من تحقيق الانتصار التام".⁽³⁷⁾ تم تضمين هذا الموقف المتشدد في الميثاق الذي نص على:

لقد كشف الاستعمار عن وجهه بنفسه وكذلك فعلت الرجعية بأن أصبحت متلفة للتعاون معه. لذلك أصبح لزاما على الشعب أن يهاجمهما ويهزمهما معا، وفي نفس الوقت أن يؤكد انتصار الثورة السياسية في الأجزاء الباقية من الأمة العربية، وأن يدعم حق الجماهير العربية في حياة اجتماعية أفضل...⁽³⁸⁾

كذلك نص الميثاق أيضا على أنه يجب على الجمهورية العربية المتحدة أن تدافع عن مبادئها "بدون تردد لدقيقة واحدة أمام الحجة البالية بأن هذا سوف يعتبر تدخلا في شئون الآخرين".⁽³⁹⁾

وكما هو متوقع أدى الدور الجديد إلى توتر العلاقات مع بعض الدول العربية. عقب اعتراف الملك حسين الفوري ببعض الحركات الانفصالية في سوريا تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن وأطلقت حملة هجوم حادة على النظام الأردني. لم ترفض مصر فقط الاعتراف بالحكومة السورية وإنما نددت بها بشدة. وفي ديسمبر تم إنهاء الاتحاد مع اليمن، وفي نفس الشهر شن هجوم على النظامين اليمني والسعودي، واستمر التدهور في العلاقات مع العراق.

تطور الأدوار الدولية

1962-1955: عدم الانحياز

دفع اهتمام الغرب بالتحالفات العسكرية ورفضه تلبية طلب مصر بالحصول على سلاح عبد الناصر للسعي لإقامة علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتي، والذي أثبت استعداده لإمداد مصر بالأسلحة التي كانت بحاجة إليها. وهكذا كانت الضرورة العملية هي التي جعلت عبد الناصر يدرك مزايا عدم الانحياز. وبالإضافة إلى أن عدم الانحياز أتاح لعبد الناصر أن يكون مستقلاً فإنه مكنه أيضاً من تلبية مطالب مصر العاجلة. وقد عزز حضور عبد الناصر مؤتمر باندونج الذي عقد في إبريل 1955 وصادقته فيما بعد مع تيتو ونهرو من إيمانه بعدم الانحياز. بحلول عام 1956 كان عدم الانحياز - أو كما أطلق عليه عبد الناصر "الحياد الإيجابي" - قد أصبح حجر الزاوية في سياسة مصر الخارجية.

لكن حتى عام 1959 كانت سياسة عدم الانحياز المصرية مناهضة للغرب بشكل أساسي. أدت سلسلة من التحركات والتحركات المضادة إلى انعدام متبادل للثقة⁽⁴⁰⁾ أشار تبني دور مناهض للاستعمار إلى حجم التدهور في العلاقات المصرية-البريطانية. "قبل أزمة السويس كانت الولايات المتحدة الشريك الأصغر لبريطانيا العظمى"⁽⁴¹⁾ في الشرق الأوسط، وبهذا اعتبرت قوة استعمارية. في عام 1957 أعلنت الولايات المتحدة عن مبدأ إيزنهاور، والذي هاجمته مصر باعتباره محاولة لتبرير التدخل في الشؤون العربية. فقدت الولايات المتحدة معظم مكانتها التي اكتسبتها حين عارضت بريطانيا أثناء أزمة السويس. بالنسبة لصناع القرار الأمريكيين كانت تحركات عبد الناصر في السياسة الخارجية تبدو متوافقة مع مخططات "الشيوعية العالمية".

في عام 1959 تحسنت العلاقات مع الغرب وأصبحت سياسة عدم الانحياز المصرية أكثر توازناً. تدريجياً بدأت الولايات المتحدة تؤمن أن عبد الناصر لم يكن شيوعياً وأنه ربما كان أفضل خط دفاع ضد الشيوعية في الشرق الأوسط. في نفس العام انتقد خروشوف عبد الناصر بسبب هجومه على الشيوعيين العراقيين. رد عبد الناصر على الفور بشكل يثبت أنه كان على استعداد لتأكيد استقلاله حتى على حساب العلاقات المصرية - السوفيتية. وبالإضافة إلى ذلك كانت سياسة عدم الانحياز قد أصبحت مقبولة في كل من الشرق والغرب. ظهر تحسن ملحوظ في علاقات مصر مع أمريكا بعد انتخاب الرئيس كيندي.

الموقف الخارجي عام 1962

في يناير 1962 وصف الرئيس عبد الناصر موقف مصر الدولي على هذا النحو:

يمكنني أن أصف علاقتنا مع الكتلة الشرقية بأنها جيدة. لدينا تعاون

وثيق مع الاتحاد السوفيتي خاصة في الأمور الاقتصادية. كذلك فإن

علاقتنا مع دول الكتلة الشيوعية الأخرى ودية أيضا. وبالنسبة لعلاقتنا مع الكتلة الغربية فهناك درجات مختلفة. بينما لدينا تعاون وثيق مع ألمانيا وإيطاليا على سبيل المثال، نجد أن علاقتنا مع الولايات المتحدة عادية ونحن نحاول تقويتها عن طريق التفاهم المتبادل. لكننا نجد أن علاقتنا مع بريطانيا وفرنسا معرضة دائما لأزمات.⁽⁴²⁾

وقد هذه الصورة ظلت بشكل أساسي بدون تغيير في سبتمبر 1962. استمرت مصر في تبني دورها المناهض للرجعية. وفي عام 1962 كان لمصر أعداء من العرب أكثر من أي وقت مضى. كانت هناك حالة من العداء مع الأردن والعراق وسوريا واليمن والسعودية. وباستثناء اليمن كانت تلك الدول تندد بالنظام المصري بنفس القوة التي كانت مصر تهاجم بها أنظمة تلك الدول. وبالنسبة للأنظمة العربية الأخرى فإنها لم تكن معادية لمصر لكنها كانت تشعر ببعض من عدم الارتياح. كانت الجزائر فقط - والتي نالت استقلالها في صيف 1962 - تقف بقوة إلى جانب مصر.

(1) Boutros Boutros-Ghali, "The Foreign Policy of Egypt", in Joseph E. Black and Kenneth W. Thompson (editors), Foreign Policies in A World of Change (New York: Harper & Row, Publishers, 1963), p. 320.

(2) Ibid.

(3) الجمهورية العربية المتحدة، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، الجزء 3 (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، لا يوجد تاريخ)، ص 586.

(4) "الخبراء المتخصصون في الشرق الأوسط... يمكن تصنيفهم وفقا لنظرياتهم عن دافع وغرض عبد الناصر"

Charles D. Cremeans, The Arabs and the World (London: Frederick A. Praeger, 1963), p. 25.

(5) خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر 1952-1959 (القاهرة: اخترنا لك، 1959)، ص 694.

(6) المتحدة، المرجع المذكور، ص 276.

(7) المتحدة، المرجع المذكور، ص 103.

(8) نفس المصدر، ص 550.

(9) Wilton Wynn, Nasser of Egypt (Cambridge Mass.: Arlington Books, Inc., 1959), p. 63.

(10) المتحدة، المرجع المذكور، ص 121.

(11) نفس المصدر، ص 333.

(12) P.J. Vatikiotis, The Egyptian Army in Politics (Bloomington: Indiana University Press, 1961), p. 51.

(13) Robert St. John, The Boss (New York: McGraw-Hill Co. Inc., 1960), p. 238.

(14) بعد عدة شهور من قراره بالتدخل في اليمن قال عبد الناصر أنه بالنسبة له كانت السياسة الخارجية في أصبحت "مسألة روتينية": محاضر مباحثات الوحدة (القاهرة: الأهرام، 1963)، ص 291.

(15) Cremeans, op. cit., p. 33.

(16) Peter Mansfield, Nasser's Egypt (Harmondsworth, Middlesex: Penguin African Library, 1969).

(17) لمزيد من التفاصيل انظر نفس المصدر، ص 227-231.

(18) انظر

Middle East Affairs (December, 1962), pp. 299-300.

(19) انظر الأهرام، 27 سبتمبر، ص 1.

(20) انظر محاضر، المرجع المذكور، ص 234.

(21) خطب، المرجع المذكور، ص 694.

(22) نفس المصدر، ص 206.

(23) نفس المصدر، ص 209.

- (24) نفس المصدر، ص 366.
- (25) نفس المصدر، ص 420.
- (26) نفس المصدر، ص 465.
- (27) نفس المصدر، ص 1160.
- (28) نفس المصدر، ص 1070.
- (29) نفس المصدر، ص 1228.
- (30) Vatikiotis, op., cit., p. 138.
- (31) المتحدة، المرجع المذكور، ص 536.
- (32) Leonard Binder, The Ideological Revolutions In The Middle East (New York: John Wiley & Sons, Inc., 1964), p. 210.
- (33) المتحدة، المرجع المذكور، ص 333.
- (34) نفس المصدر، ص 522.
- (35) نفس المصدر، ص 542.
- (36) انظر أعلاه ص 184-183.
- (37) الأهرام، 12 ديسمبر 1961، ص 9.
- (38) الميثاق (القاهرة: قسم المعلومات، 1962)، ص 107.
- (39) نفس المصدر، ص 109.
- (40) انظر
- John C. Campbell, Defence of The Middle East (New York: Harper & Brothers, 1958), pp. 67-69.
- (41) John S. Badeau, The American Approach To The Arab World (New York: Harper & Row Publishers, 1968), p. 82.
- (42) المتحدة، المرجع المذكور، ص 675-674.

الفصل الحادي عشر

التدخل المصري: سرد

يسرد هذا الفصل التطورات المتعلقة بالتدخل المصري في اليمن منذ يوم وصول الأنباء الخاصة بالثورة اليمنية إلى القاهرة وحتى يوم 7 نوفمبر 1962. كان اختيار اليوم الأخير عشوائيا لكن ليس تماما، فبحلول ذلك التاريخ كان قد أصبح لمصر عدد كبير من القوات في اليمن. لم يؤد التغيير في القيادة السعودية إلى أي تحسن في العلاقات المصرية السعودية. تم قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في 6 نوفمبر، وهكذا تبذدت أي آمال في التفاوض بشأن وقف إطلاق نار متبادل.

27 سبتمبر

لجأت الحكومة الجمهورية في اليمن إلى مصر طلبا للدعم العسكري.⁽¹⁾ قال الدكتور عبد القادر حاتم وزير الدولة أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تتابع التقارير الخاصة بالثورة في اليمن، وأضاف أنها كانت تعارض أي تدخل خارجي في شئون اليمن.⁽²⁾ أعلن محمد محمود الزبيري دعمه للثورة؛ لم يكن يتوقع أي تدخل من الامبرياليين أو من أي من دول الجوار لأنهم "لن يجدوا أي شخص داخل البلاد معارض للإرادة الشعبية المتمثلة في إقامة الجمهورية".⁽³⁾ قال علي المؤيد مندوب اليمن في الجامعة العربية أن الثورة لم تكن متوقعة.⁽⁴⁾ وقال أحمد محمد

نعمان رئيس الاتحاد اليمني أن الاتحاد لا يمكنه أن يتبنى موقفا معينا تجاه الثورة حتى تتضح الأمور.⁽⁵⁾ قالت إذاعة القاهرة أن بياننا ثوريا صدر في صنعاء ذكر أن كل الزعماء القبليين أعلنوا دعمهم للثورة والجيش.⁽⁶⁾

28 سبتمبر

قال عبد الرحمن البيضاني أن الحسن "ربما يقتل لو جاء إلى اليمن".⁽⁷⁾ قالت إذاعة القاهرة أن القوات الأمريكية والبريطانية "تدفقت على القاعدة العسكرية في عدن في أعقاب اندلاع الثورة اليمنية والإطاحة بالنظام الملكي".⁽⁸⁾ وتعليقا على أنشطة الحسن قالت الإذاعة أنه "فقد عقله ونسي أن الثورة قضت على الملكية تمام ودمرت كل قصورها وقبضت على جميع العناصر التي تؤيدها".⁽⁹⁾

29 سبتمبر

تلقى الرئيس عبد الناصر البرقية التالية من اللواء السلال:

كلنا الممثلون الحقيقيون للشعب بمهمة تحقيق أملهم في تغيير أوضاع الحكم الرجعية البالية وتدمير الطغيان الذي عاني منه شعبنا العربي النبيل والعظيم طويلا. لقد اشتركنا مع الشعب ومع كل جندي وضابط في تحقيق الأمل الذي انتظرناه طويلا. كانت ثورتنا ضد النظام البائد ناجحة منذ الساعة الأولى. في... 26 سبتمبر 1962 تم تأسيس جمهورية ديمقراطية باسم الجمهورية العربية اليمنية، تقوم على نظم الحكم الحديثة، وتحترم كرامة وحقوق الإنسان، وتضمن العدالة والتنمية الاجتماعية للشعب، وتشارك في بناء أمة عربية متحدة، وتقاوم المعتصبين والإمبرياليين...⁽¹⁰⁾

قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بالنظام الجديد في اليمن. كانت أول دولة تقوم بذلك، وكان الاعتراف بالجمهورية اليمنية أول قرار يتخذه المجلس الرئاسي الذي تم تشكيله حديثا.⁽¹¹⁾ أرسل عبد الناصر البرقية التالية إلى السلال:

لقد تابع شعب الجمهورية العربية المتحدة باهتمام وعناية تطورات الأحداث الهامة في اليمن ومحاولة الشعب والجيش إقامة حياة جديدة تحقق كرامة وقيمة الإنسان على التراب اليمني. ويؤمن شعب الجمهورية العربية المتحدة أن هذا هو عصر الشعب الذي يصنع مصيره ويحقق كل أمانيه من خلال إرادته الحرة. لقد خلق الله تعالى القدير البشر أحرارا ومتساويين في الحقوق والفرص. ولن يرضى الله

بأن يرى حواجز الاستغلال والاستبداد والرجعية تقف أمام إرادته. ليس لدينا شك في أن الشعب اليمني المحرر قادر على المشاركة في المعارك العربية الكبرى من أجل حياة عربية كريمة وأمن عربي غالي. لو أن القوى المناهضة للتقدم – العناصر الرجعية والإمبريالية – غير راضية عن تحرر الشعب اليمني فإننا نؤمن أن إرادة الله راضية عن سيادة الحرية لأن هذه هي مشيئة الله تعالى. يسعدني أن أخبركم أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قد قررت الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية وحكومتها. نحن نقف مع الشعب اليمني بلا أي تردد وندعم رغبته وحقه المشروعين. تفضلوا بقبول خالص تحياتي. (12)

ذكرت إذاعة القاهرة أن الدوائر العربية في لندن كانت تعتقد أن بريطانيا تؤيد الأمير الحسن. (13) وقالت الإذاعة نقلاً عن صحيفة مصرية أنه لم يكن بإمكان الملك سعود "سوى الوصول إلى قلوب بعض الأشخاص في القبائل عن طريق الحسن". واختتمت حديثها بقولها أن "الملك سعود يمكن أن يصبح خطراً فقط بقدر اتفاقه مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية". (14)

30 سبتمبر

وصلت طائرة مصرية إلى صنعاء تحمل عبد الرحمن البيضاني ومحمد محمود الزبيري. (15) كانت أول طائرة تهبط في اليمن بعد الثورة. حملت الطائرة أيضاً ضابطاً مصرياً، بالإضافة إلى جهاز إرسال لاسلكي. (16) يبدو أنه في ذلك الوقت كان الرئيس عبد الناصر قد قرر الاستجابة لطلب الجمهوريين. (17) كان على الضابط الاطلاع على الوضع، وعلى ما يبدو، اقتراح حجم المساعدة العسكرية المطلوبة. قالت صحيفة الأهرام أن الحسن التقى بالملك سعود من أجل "الإعداد لحشد قوى الرجعية ضد الثورة اليمنية". (18) وصل محسن العيني وزير الخارجية في حكومة الجمهوريين إلى القاهرة حيث نفى التقارير الصادرة عن "الدوائر الرجعية" عن أن القوات الموالية للحسن كانت تتحرك نحو صنعاء. قال العيني أن "الجيش والشعب متحدان خلف الثورة وليست هناك عودة إلى الوراء". (19) عقد الاتحاد اليمني في القاهرة اجتماعاً لدعم الثورة. (20) حذرت إذاعة القاهرة الملك سعود قائلة:

لديك خياران: إما أن ترحل مع أسرتك حتى تهرب من المصير الذي ينتظرك، مثلما فعل الملك فاروق، أو تبقى وتنتظر مصيرك المحتوم على يد الشعب، وبهذا تنضم إلى أولئك الذين يشبهونك والذين سبقوك إلى الجحيم: فيصل ونوري السعيد وعبد الإله والملك عبد الله،

ومؤخرا الإمام أحمد والبدر. إنهم هناك ليرحبوا بك في أي لحظة الآن.⁽²¹⁾

1 أكتوبر

التقى عبد الناصر بمحسن العيني وقال العيني أنه عبر للرئيس عبد الناصر عن امتنان الشعب اليمني وتقدير الحكومة اليمنية لاعتراف ودعم الجمهورية العربية المتحدة.⁽²²⁾ والتقى العيني أيضا بالسفير الأمريكي في القاهرة. وقال محمد أحمد باشا رئيس البعثة الدبلوماسية اليمنية بالقاهرة أن السفير أبلغ وزير الخارجية أن بلاده لن تتدخل في الشأن الداخلي اليمني. نفى السفير تقديم الولايات المتحدة أي دعم للأمير الحسن.⁽²³⁾ ونقلت إذاعة القاهرة عن صحيفة مصرية أن الملك سعود كان ينوي إمداد الحسن بكل ما كان يحتاجه. وبحسب الراديو: بريطانيا تعلم أنه لو نجحت الثورة فسوف يتم طردها من المحميات، كذلك يجب على أمريكا أن تساعد بريطانيا حتى يمكن إسقاط الثورة وتوجيهها بطريقة ترضي الإمبرياليين.⁽²⁴⁾

2 أكتوبر

وصل ثلاثة طيارين من سلاح الجو السعودي على متن طائرة حربية سعودية. قال الطيارون أنه قد صدرت لهم الأوامر بنقل الأسلحة من جدة إلى نجران قرب الحدود اليمنية، وبدلا من ذلك توجه الطيارون إلى مصر. وعند استقبال الطيارين السعوديين قال الدكتور عبد القادر حاتم:

حاول الحكام الرجعيون في المملكة العربية السعودية دفع هؤلاء الطيارين للعمل ضد الجمهورية العربية اليمنية. لقد ملأوا هذه الطائرات بكل تلك الأسلحة وطلبوا من الطيارين نقلها إلى الحدود اليمنية حتى يمكن تهريبها إلى داخل اليمن، لكن الطيارين رفضوا أن يكونوا أداة للتآمر الرجعي ضد إرادة شعب عربي وجد طريقه إلى حياة حرة. وفي وجه ما تفعله الرجعية فإن الجمهورية العربية المتحدة تكرر دعمها للأحرار في كل مكان، ودعمها للشعب العربي في الجمهورية اليمنية...⁽²⁵⁾

قام الرئيس عبد الناصر بتعيين الطيارين السعوديين في سلاح الجو المصري.⁽²⁶⁾ بدأت رحلات جوية ثلاث مرات أسبوعيا بين صنعاء والقاهرة.⁽²⁷⁾

3 أكتوبر

هبطت طائرة تدريب سعودية في القاهرة وطلب قائدتها اللجوء السياسي.⁽²⁸⁾ استقبل الرئيس عبد الناصر الطيارين السعوديين الثلاثة الذين وصلوا يوم 2 أكتوبر.⁽²⁹⁾ أرسل السلال برقية إلى عبد الناصر نقل فيها للرئيس قرار حكومته بالالتزام بميثاق حلف جدة لعام 1956.⁽³⁰⁾ ناقش المجلس الرئاسي الوضع في اليمن وقرر أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تلتزم بميثاق حلف جدة وتقوم بتنفيذه لو وقع أي عدوان على حدود أو أراضي الجمهورية اليمنية.⁽³¹⁾

4 أكتوبر

أرسل الرئيس عبد الناصر البرقية التالية إلى السلال:

لقد تلقيت بحرص واهتمام شديدين برقيتكم التي ذكرتم فيها أن الجمهورية العربية اليمنية ملتزمة بميثاق حلف جدة بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة...إنني أؤكد لكم أن الجمهورية العربية المتحدة قد نفذت ميثاق جدة منذ اللحظة الأولى التي تلقت فيها أخبار ثورة الشعب اليمني. إنني أريدكم أن تكونوا متأكدين دائماً أن التضامن الحتمي بين شعوب الأمة العربية...هو أقوى وأبقى حلف.⁽³²⁾

تم طرد بعثة عسكرية أردنية كانت قد وصلت خلال الصيف من اليمن.⁽³³⁾

5 أكتوبر

قال السلال أنه من الضروري إعادة الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة وأنه يرغب في زيارة القاهرة للحصول على الإلهام من الرئيس عبد الناصر "بشأن الخطوات الكبرى التي حققت التقدم والرخاء والرفاهية للشعب العربي".⁽³⁴⁾ وذكرت إذاعة القاهرة أن "القوات اليمنية فتحت الليلة الماضية النار على ما يقرب من 100 مسلح سعودي كانوا يحاولون التسلل إلى الأراضي اليمنية".⁽³⁵⁾ وقالت الإذاعة أنه "تم تطهير الحدود الشرقية اليوم من المتمردين الموالين للإمام السابق والذين لجأوا إلى الاختباء في الجبال".⁽³⁶⁾ وتعليقاً على قرار الجمهورية العربية المتحدة بتنفيذ ميثاق حلف جدة قال الراديو أن هذا القرار قد اتخذ "أمام محاولات الرجعية والاستعمار وضع نهاية لنسائم الحرية وإشراق الثورة الساطع من اليمن".⁽³⁷⁾

6 أكتوبر

وصلت سفينة مصرية تحمل قوات مصرية إلى الحديدة.⁽³⁸⁾ ولكن في ذلك الوقت لم يتم الإعلان عن هذا وقيل أن السفينة كانت تحمل "مساعدات طبية وتقنية".⁽³⁹⁾ ذكرت صحيفة الأهرام أن حكومة الثورة في اليمن كانت قادرة على سحق هجمات الإمبريالية والرجعية - التي

يمثلها سعود وحسين - ضد الثورة.⁽⁴⁰⁾ قال وزير الإرشاد في الحكومة الجمهورية أن اليمن قد طلب قروضا ومساعدات تقنية من الجمهورية العربية المتحدة.⁽⁴¹⁾ أكد السلال أن البدر قتل تحت أنقاض قصره.⁽⁴²⁾

7 أكتوبر

قالت إذاعة القاهرة أن "آخر محاولة يائسة للرجعية لضرب الثورة اليمنية تم سحقها أمس على يد القوات اليمنية التي اشتبكت مع متسللين أرسلهم سعود".⁽⁴³⁾ وتوقعت الإذاعة أن نهاية هذا الخريف ستكون أيضا نهاية للملكية في العالم العربي.⁽⁴⁴⁾ طلبت الجمهورية اليمنية 52 خبيرا مصرية.⁽⁴⁵⁾ قالت صحيفة الأهرام أن أسلحة ومرتزقة الرجعية "كانوا يتدفقون في اتجاه الحدود الشمالية لليمن".⁽⁴⁶⁾

8 أكتوبر

هبطت طائرتان سعوديتان في مصر.⁽⁴⁷⁾ في صنعاء قال السلال:

قام البريطانيون والسعوديون وأولئك الذين تعرفونهم وتفهمونهم جيدا بإغواء عدد من الفقراء والجوعى وإعطائهم بعض الذهب والمال والسلاح، وهكذا فإنهم يرغبون في الانتقام من ثورتنا وسحق جمهوريتنا.⁽⁴⁸⁾

بحسب السلال فإن الأحداث التي كانت تقع على الحدود اليمنية "مجرد مناوشات يقوم بها بعض المرتزقة الذين يتم توزيع الذهب السعودي عليهم".⁽⁴⁹⁾ قالت صحيفة الأهرام أن التقارير الواردة من الحدود الشمالية لليمن كانت تشير إلى أن التدخل العسكري ضد اليمن من جانب قوات الملك سعود والملك حسين - والتي كانت تعمل تحت قيادة مشتركة - أصبحت الآن تمثل عدوانا صارخا على اليمن.⁽⁵⁰⁾ وذكر البيضاني أنه قد تم تهريب أسلحة ثقيلة من بيحان إلى داخل اليمن.⁽⁵¹⁾ احتج البيضاني لدى القائم بالأعمال البريطاني بسبب موقف سلطات عدن التي كانت تسمح ل "بقايا الرجعية بالقيام بنشاط سياسي هدام"⁽⁵²⁾ ضد الجمهورية اليمنية.

9 أكتوبر

وصل عدد القوات المصرية في اليمن إلى خمسمائة.⁽⁵³⁾ وذكرت إذاعة القاهرة أن "القوات السعودية-الأردنية يعززها اليمنيون المقيمون في السعودية، والذين جرى تجنيدهم باستخدام التهديد والإغراء" قد عبرت الحدود وتقدمت إلى صعدة مساء يوم 7 أكتوبر. وقالت الإذاعة أن القوات اليمنية اشتبكت معهم وأنه قد لحقت بهم خسائر فادحة وانضم عدد كبير منهم، وبخاصة اليمنيين، إلى الجانب اليمني.⁽⁵⁴⁾ وصل وفد مصري يضم خبراء أرصاد جوية وبعثة

طبية مصرية إلى صنعاء.⁽⁵⁵⁾ ذكرت إذاعة القاهرة أن "حالات الهروب المتكرر للطيارين السعوديين الأحرار إلى الجمهورية العربية المتحدة" قد أصابت الملك سعود بانهيار عصبي.⁽⁵⁶⁾

10 أكتوبر

قام المجلس الرئاسي بدراسة الموقف في اليمن ومناقشة "العدوان السعودي-الأردني" على الحدود الشمالية، إلى جانب "التدخل الموجه ضد اليمن من الجنوب". قرر المجلس أن تقف الجمهورية العربية المتحدة بكل قوتها مع اليمن في مقاومة أي عدوان ضدها.⁽⁵⁷⁾ قال السلال في صنعاء "إن جمهوريتنا بالتأكيد معرضة للخطر ولكننا قادرون على صد الأعداء".⁽⁵⁸⁾ وقال أنه "يجب أن يعرف الجميع أن كل إمكانيات الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت تحت تصرفنا من أجل صد أي عدوان ضدنا".⁽⁵⁹⁾ تم إرسال طائرتين عسكريتين مصريتين إلى اليمن.⁽⁶⁰⁾

11 أكتوبر

قال السلال إن قرار الجمهورية العربية المتحدة بمقاومة العدوان على اليمن كان له أثر كبير على شعب وحكومة اليمن.⁽⁶¹⁾ وقالت إذاعة القاهرة أنه بمجرد أن أعلن القرار "خرج الشعب اليمني في كل المدن اليمنية في مظاهرات شعبية حيث هتفوا بحياة الثورة اليمنية وبسقوط سعود".⁽⁶²⁾ وقالت القناة أنه من المتوقع أن يتم تطهير حدود اليمن الجنوبية والشرقية والشمالية من القوى الاستعمارية والرجعية خلال أسبوع واحد على الأكثر.⁽⁶³⁾

12 أكتوبر

قالت صحيفة الأهرام أنه عقب الهجمات الجوية فر الحسن من صعدة.⁽⁶⁴⁾ وقال السلال أن القوات اليمنية على الحدود الشمالية والشرقية "تحاصر الآن بقايا المتسللين الذين أرسلهم سعود لضرب الحركة الثورية في اليمن".⁽⁶⁵⁾

13 أكتوبر

وصل أنور السادات وكمال رفعت عضوا المجلس الرئاسي إلى صنعاء والتقى بالسلال والبيضان.⁽⁶⁶⁾ وقال السادات "أن الجمهورية العربية المتحدة تقف بكل إمكانياتها إلى جانب الثورة اليمنية لتمكينها من تحقيق كل آمال الشعب العربي".⁽⁶⁷⁾ قال السلال إن الزيارة "أعطتنا قوة كبيرة. من خلال روح الأخوة والتعاون المخلص ودعم الرئيس عبد الناصر سوف ننجح في تقوية وتأمين ثورتنا".⁽⁶⁸⁾ وذكرت صحيفة الأهرام أنه قد تم تطهير صعدة وأن قوات الحسن في مأرب قد بدأت في الاستسلام.⁽⁶⁹⁾

14 أكتوبر

عاد السادات ورفعت إلى القاهرة واجتمعا على الفور مع الرئيس عبد الناصر. كذلك حضر المشير عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة الاجتماع.⁽⁷⁰⁾ وقالت صحيفة الأهرام أن النتائج النهائية للأسبوع السابق من المعارك كانت نصرا ساحقا لقوات الثورة. كانت القوات المضادة للثورة في حالة تراجع بشكل عام في صعدة، وكانت تتفاوض على الاستسلام في مأرب.⁽⁷¹⁾ لأول مرة تعترف صحيفة الأهرام بأن البدر كان على قيد الحياة.⁽⁷²⁾ وتحدثت الصحيفة أيضا عن اجتماع للمشير عامر مع رئيس الأركان وقائد العمليات وكبار مسئولي العمليات.⁽⁷³⁾

15 أكتوبر

قال مصدر رسمي في صنعاء انه لم يعد هناك أي شخص مهتم بما إذا كان البدر حيا أو ميتا.⁽⁷⁴⁾ وذكرت إذاعة القاهرة أن القوات اليمنية مسيطرة على معظم مأرب.⁽⁷⁵⁾

16 أكتوبر

أرسل الإمام البدر الرسالة التالية إلى الرئيس عبد الناصر:

تمكنا من مغادرة صنعاء للقاء أبناء شعبنا الحر الذين استقبلونا بكل كرم وترحاب... لقد قررنا محاربة هذه المجموعة (الثوار) والانتقام لزعمائهم وعلمائهم وشيوخهم. كان استيائهم كبيرا حين علموا بوصول طائرات وأسلحة وخبراء من قبلكم لمحاربة أبناء شعبنا الغالي وفرض عصابة شريرة وخائنة عليهم. ربما تعرف أنني الإمام الشرعي الذي اختاره أفراد الأمة صغيرهم وكبيرهم واعترفت به كل الدول بما فيها بلدكم. لذلك فباسم حكومتنا نطلب منكم سحب قواتكم المسلحة وخبراءكم بشكل سريع والسماح لنا بحل مشكلاتنا بأنفسنا.⁽⁷⁶⁾

لم يتم الإعلان عن محتويات الرسالة في القاهرة ولم يرسل عبد الناصر أي رد. وصل الآن عدد القوات المصرية في اليمن إلى ألفين.⁽⁷⁷⁾

17 أكتوبر

ناقش المجلس الرئاسي تقريراً قدمه السادات حول زيارته إلى اليمن. وبحسب تقرير السادات "أصبح الوضع هادئاً بعد هزيمة القوات المعتدية، والتي تدعمها السعودية والأردنية، في شمال اليمن وانسحابها خلف الحدود".⁽⁷⁸⁾ وقالت إذاعة القاهرة إن "القوات اليمنية هزمت وصدت مرتزقة حاولوا التسلل من منطقة الجوف على الحدود الشرقية".⁽⁷⁹⁾ وذكرت الإذاعة أن القوات اليمنية تسيطر سيطرة كاملة على الحدود الشمالية بعد الاستيلاء على حصن صعدة.⁽⁸⁰⁾

18 أكتوبر

في مؤتمر صحفي عقد في صنعاء عرض السلال الأموال التي قال أن سعود قدمها إلى القبائل اليمنية.⁽⁸¹⁾ وقالت إذاعة القاهرة أنه تم القبض على ضباط أردنيين في الحزم.⁽⁸²⁾

19 أكتوبر

اعتبرت إذاعة القاهرة تعيين الأمير فيصل رئيسا للوزراء دليلا على ضعف في موقف الملك سعود، وهو ما أرجعته إلى "هزيمة القوات السعودية" في اليمن. حين فشلت "مؤامرات" سعود تخلى عن السلطة.⁽⁸³⁾ وقال السلال:

إذا كان سعود وحسين قد سعيا للحصول على مساعدة الإمبرياليين القذرين فإننا بفضل الله سعينا للحصول على مساعدة أخينا جمال عبد الناصر الذي وضع قوته - أي قوة الجيش - وكل إمكانياته من أجل حماية ثورتكم. وصلت قوات قتالية كبيرة لحماية بلدكم من أي معتدي مجرم، وذلك بالتعاون مع جيشنا البطل وضباطنا الأحرار. وهكذا لو حاول سعود أو حسين مهاجمتنا فسوف يتحرك شعبنا وقواتنا لتدمير كل أعداء الجمهورية وأعداء حريتنا وكرامتنا.⁽⁸⁴⁾

وتعليقا على الشعارات المطالبة بالوحدة الفورية مع مصر قال البيضاني:

القاهرة لها رأيها الخاص بشأن الوحدة...والذي يقول أنه حتى تتحقق الوحدة العربية هناك خطوات معينة يجب اتخاذها. لم نصل إلى تلك الخطوات لكن الرئيس عبد الناصر يساعد جمهوريتنا بكل إمكانياته. ما نحصل عليه الآن وما سنحصل عليه غدا أو بعد غد لا يقل أبدا عما يمكننا أن نحصل عليه في ظل الوحدة.⁽⁸⁵⁾

وكتب هيكل أنه لم يعد سرا أنه بينما كان يتم تبادل البرقيات بين السلال وعبد الناصر فيما يخص حلف جدة كانت هناك قوة مصرية في طريقها إلى اليمن.⁽⁸⁶⁾

20 أكتوبر

قال مصدر رسمي يمني في صنعاء أن الحدود الشمالية قد تم "تطهيرها من أتباع سعود" وأن "مناوشات صغيرة فقط مستمرة في الجرف".⁽⁸⁷⁾

21 أكتوبر

قالت إذاعة القاهرة أنه من المتوقع أن تسيطر قوات الجمهوريين على مأرب

"غدا".⁽⁸⁸⁾

22 أكتوبر

قالت صحيفة الأهرام أن الرجعية كانت تحشد قواتها للجولة الثانية في اليمن، حيث قيل أن "قوات كبيرة قد تم نقلها إلى نجران بواسطة الطائرات من أجل الجولة الجديدة".⁽⁸⁹⁾

23 أكتوبر

اجتمع السادات مع الوزير اليمني في بيروت ومكتب الاتصال في القاهرة. وبعد الاجتماع قال السادات أن قوات الجمهورية العربية اليمنية كانت "تصد كل عدوان ضد أراضيها وتسحق أي شخص يحاول التسلل إلى داخل اليمن".⁽⁹⁰⁾ قتل نبيل الوقاد - وهو ضابط مصري - في مأرب. كان أول قتيل مصري في اليمن.⁽⁹¹⁾ وجهت إذاعة القاهرة تحذيرا إلى الأمير فيصل: أبناء شبه الجزيرة العربية كلها يتربصون بك وبأسرتك، بك أنت بشكل خاص لأنك قد توليت الآن قيادة أسرتك بعد هزيمة أخيك الرجعي الأحمق سعود، وقد فعلت ذلك من أجل ترسيخ الرجعية في المنطقة ودعم الملك حسين الصغير... فيصل لا شيء ينتظر سوى الموت.⁽⁹²⁾

24 أكتوبر

ناقش المجلس الرئاسي الموقف الذي خلقته "الحشود الأردنية-السعودية" على الحدود اليمنية، وقرر أن الجمهورية العربية المتحدة "مصممة على الوقوف بجانب اليمن ومقاومة الامبريالية والرجعية".⁽⁹³⁾ ذكرت إذاعة القاهرة أن بعض أفراد "الجيش السعودي سلموا أنفسهم للقيادة اليمنية في منطقة مايدي وطلبوا الانضمام إلى الحرس الوطني اليمني".⁽⁹⁴⁾ طلب اليمن من الجامعة العربية مناقشة "العدوان السعودي -الأردني". أبلغ الأمين العام للجامعة العربية وزيرا خارجية الجمهورية اليمنية والملكيين أنه لا يمكن للجامعة العربية الاجتماع في الوقت الحاضر لأنها كانت لا تزال تعاني من فشل اجتماعاتها في شتورة.⁽⁹⁵⁾

25 أكتوبر

قالت إذاعة صنعاء أن "الهارب من العدالة الذي يدعى البدر قد مات في مستشفيات الملك سعود نتيجة الإصابات التي تلقاها أثناء هروبه".⁽⁹⁶⁾

26 أكتوبر

قالت صحيفة الأهرام أن قوات الثورة سحقت محاولة أخرى للتسلل في منطقة الحدود الشمالية الشرقية لليمن.⁽⁹⁷⁾ استقبل الرئيس عبد الناصر العقيد عبد الله جزيلان رئيس أركان القوات المسلحة اليمنية.⁽⁹⁸⁾ وصل المشير عامر سرا إلى اليمن.⁽⁹⁹⁾ تعليقا على وصول الأمير فيصل إلى السعودية قالت إذاعة القاهرة:

عاد فيصل شاحب الوجه وأدلى بتصريح طلب فيه من الدول العربية ألا تتدخل في الشؤون اليمنية. اعترف بالبدر إماما لليمن وأعلن شرعية البدر كحاكم في صنعاء. لم يقل أي شيء جديد؛ ما قاله هو تكرار لسياسة سعود.(100)

27 أكتوبر

ذكرت صحيفة الأهرام أن قوات الثوار قضت على المرتزقة الذين انضموا لهجوم جديد للحسن.(101) قال السلال أن البدر مات في المملكة العربية السعودية نتيجة إصابته بجراح.(102) قالت إذاعة القاهرة للمواطنين السعوديين:

اقتلوا البدر. اقتلوا محمد البدر لأنه زرع في الماضي الفساد في اليمن والآن قد جاء ليزرع الفساد في أرضكم. اقتلوا البدر الذي أرسل باسمه حسين وسعود المئات من أخوتكم بالقوة ليقتلوا تحت القيادة البريطانية. اقتلوا البدر لأنه مجرم وقاتل قتل المئات من الأشخاص الأبرياء.(103)

28 أكتوبر

قال وزير الدفاع اليمني في القاهرة أن الوضع هادئ على طول الحدود اليمنية.(104) وصل وفد يمني مكون من 5 أعضاء إلى القاهرة من أجل شكوى اليمن إلى الجامعة العربية من "عدوان مسلح يشنه سعود وحسين على الثورة اليمنية".(105) في صنعاء عرضت مكافأة قدرها 5 آلاف ريال (حوالي ألفي جنيه إسترليني) لأي شخص يعتقل أو يقتل فردا من الأسرة المالكة.(106)

29 أكتوبر

عاد المشير عامر من زيارة سرية لليمن استمرت 4 أيام وقدم تقريرا إلى الرئيس عبد الناصر. قالت صحيفة الأهرام أنه أجرى استقصاء واسع النطاق. أثناء الزيارة التقى عامر بالسلال والبيضانى ومجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وقادة الجيش اليمني. كذلك فقد زار بعض المعسكرات ومراكز الاعتقال الخاصة بالقوات المصرية.(107) وقالت إذاعة القاهرة أن محاولة التسلل إلى نايب انتهت "بفشل تام عندما تصدت قوات الجمهورية العربية اليمنية مدعومة بعناصر من قوات الجمهورية العربية المتحدة للهجوم".(108)

30 أكتوبر

قالت إذاعة القاهرة أن اجتماعا هاما قد عقد في صنعاء. حضر الاجتماع السلال والبيضانى وعدد من أعضاء "القيادة اليمنية-المصرية المشتركة".(109) قال البيضانى أن

"سلاح الجو اليمني يمتلك الآن صواريخ وأن الجمهورية اليمنية لديها أكبر قوة عسكرية في شبه الجزيرة العربية". (110)

31 أكتوبر

تم إعلان دستور مؤقت في صنعاء. قام مجلس قيادة الثورة بتعيين السلال رئيساً للجمهورية بالإضافة إلى مهامه الأخرى، وعين البيضاني نائباً للرئيس. (111) وصل إلى صنعاء ملازم سعودي كان قد فر إلى اليمن. (112) اجتمع المجلس الرئاسي، وقال المتحدث رسمي أن المجلس استمع إلى تقرير المشير عامر حول زيارته إلى اليمن. كان واضحاً من هذا التقرير أن الثورة اليمنية قد رسخت نفسها في كل مكان في اليمن وأن الشعب كان يدعمها بشكل كامل. قال المشير أن القوات المصرية واليمنية على حدود اليمن الشرقية والشمالية كانت مستعدة تماماً للتصدي لأي اعتداء. قال المتحدث الرسمي: "من هذا الوضع يتضح أن تقارير إذاعات سعود و عمان خلال الشهر الماضي عن تقدم قوات الإمام نحو صنعاء لا أساس لها من الصحة". (113)

1 نوفمبر

نقلت صحيفة الأهرام عن الأسوشيتدبرس أن السلال أعلن أن المشير وعد "بدعم كامل من خلال إرسال قوات مصرية للدفاع عن اليمن ضد أي عدوان خارجي". (114) قال السلال أن العلاقات بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة "يجب أن تقوى لتحقيق الوحدة الشاملة". (115)

2 نوفمبر

قالت إذاعة القاهرة أن "القوات اليمنية المصرية المشتركة هزمت كتيبة سعودية-أردنية كاملة حين حاولت مهاجمة الحدود الشمالية للجمهورية اليمنية بالقرب من مدينة حرص". (116)

3 نوفمبر

تحدثت جريدة الأهرام عن سحق "أكبر محاولة لغزو اليمن"، وقالت أن قوات الثوار سحقت محاولة 5 آلاف من القوات السعودية واليمنية بقيادة البدر لغزو حرص. (117) وتعليقاً على الإدعاءات السعودية بأن الطائرات المصرية هاجمت القرى السعودية قال المتحدث عسكري مصري:

أعلنت الجمهورية العربية المتحدة أنها تدعم ثورة الشعب العربي اليمني ضد أي عدوان وأنها ستقف بكل قوتها إلى جانب شعب اليمن وثورته. وتعتبر الجمهورية العربية المتحدة حكومة سعود وفيصل مسئولة عن النتائج المترتبة على العدوان السافر على حدود اليمن والذي جرى سحقه. (118)

قالت إذاعة القاهرة أن الملك سعود والملك حسين "سمحا للإمبريالية البريطانية بإعداد خطة الهجوم على الثورة اليمنية". وقالت الإذاعة أن الملكين - بالاشتراك مع البدر - "اعتمدا على المساعدة المقدمة لهما من الولايات المتحدة الأمريكية من وراء الستار".⁽¹¹⁹⁾ قال البيضاني أنه حتى الآن لا توجد دلائل على طول الحدود الشمالية الغربية لليمن "تشير إلى مغامرة سعودية أخرى بعد القضاء على كل القوات التي أرسلها سعود على الأراضي اليمنية".⁽¹²⁰⁾

4 نوفمبر

قال البيضاني أن طائرات سلاح الجو اليمني لم تقم حتى الآن بالإغارة على أي مواقع خارج الحدود اليمنية، ونفى أن تكون قد هاجمت أي موقع سعودي.⁽¹²¹⁾

5 نوفمبر

نشرت صحيفة الأهرام بياناً للسلال قال فيه أن اليمن سوف يقصف أي قاعدة ينطلق منها أي عدوان جديد.⁽¹²²⁾ وذكرت الأهرام أن المراقبين السياسيين في صنعاء يعتقدون أن السلال قد أخبر ممثلي بريطانيا والولايات المتحدة في اليمن أن "بلادهم مسئولة عن أي اعتداء جديد على الثورة اليمنية من قبل الملكية الرجعية".⁽¹²³⁾

6 نوفمبر

أبلغت وزارة الخارجية السعودية القائم بالأعمال المصري في جدة أن الحكومة السعودية قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة. وقالت الأهرام أن المبرر الذي تم تقديمه كان أن الطائرات المصرية قد قصفت قري سعودية.⁽¹²⁴⁾

7 نوفمبر⁽¹²⁵⁾

أصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بياناً مطولاً حول قطع العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة. ذكر البيان أن هذا "الإجراء الانفعالي" أظهر أن الحكومة السعودية كانت تحاول من جانب التنفيس عن كراهيتها للجمهورية العربية المتحدة، ومن جانب آخر إخفاء الهزائم الساحقة ل قوات المرتزقة". وقال البيان أن القوات المصرية أرسلت إلى اليمن فقط لصد العدوان السعودي، وقد أثبتت حقيقة أن كل المعارك قد دارت على الحدود أن "كل العمليات كانت هجمات من خارج الحدود". وحتى بافتراض صحة الادعاءات السعودية بأن الطائرات المصرية قد قصفت قري سعودية فإن المسؤولية تقع على حكومة الملك سعود التي اتبعت بشكل متواصل سياسة عدوانية تجاه اليمن. وجاء في ختام البيان:

إن هذا الإجراء الانفعالي الذي اتخذته حكومة الملك سعود لا يشير إلى أي شيء جديد بشأن موقفها من الجمهورية العربية المتحدة. كانت

العلاقات الرسمية متوقفة تماما تقريبا منذ كشف الملك سعود عن
تأمره السافر ضد أهداف الكفاح الثوري العربي والمطالب بالحرية
والاشتراكية والوحدة.⁽¹²⁶⁾

- (1) الدكتور حسن صبري الخولي، مقابلة، القاهرة، 18-1-1970.
- (2) الأهرام، 28 سبتمبر 1962، ص 1.
- (3) Summary of World Broadcasts part 4 (London: BBC),
(Hereafter SWB), 28-9-1962, p. 4.
- (4) نفس المصدر.
- (5) نفس المصدر.
- (6) نفس المصدر، ص 5.
- (7) SWB, 29-9-1962, p. 10.
- (8) SWB, 1-10-1962, p. 7.
- (9) نفس المصدر، ص 10.
- (10) SWB, 1-10-1962, p. 7.
- (11) الأهرام، 30 سبتمبر 1962، ص 1.
- (12) SWB, 1-10-1962, p. 4-5.
- (13) نفس المصدر، ص 7.
- (14) نفس المصدر، ص 9.
- (15) تم تعيين البيضاني وزيرا للاقتصاد والزبيري وزيرا للتعليم. وفي أكتوبر عين البيضاني
نائبا للسلال.
- (16) دكتور حسن صبري الخولي مقابلة القاهرة 18-1-1970
- (17) وفقا لجون بادو السفير الأمريكي في مصر في ذلك الوقت، "بعد ثلاثة أيام من التفكير
اتخذ قرار بدعم الجمهوريين في صراعهم."
- John S. Badeau, The American Approach To the Arab World (New
York: Harper & Row Publishers, 1968), p. 127.
- (18) الأهرام، 1 أكتوبر 1962، ص 1.
- (19) نفس المصدر، ص 11.

(20) SWB, 2-10-1962, p. 6.

(21) نفس المصدر، ص 9.

(22) الأهرام، 2 أكتوبر 1962، ص 11.

(23) SWB, 3-10-1962, p. 4.

(24) SWB, 2-10-1962, p. 9.

(25) الأهرام، 3 أكتوبر 1962، ص 11.

(26) نفس المصدر، ص 1.

(27) نفس المصدر، ص 9.

(28) الأهرام، 4 أكتوبر 1962، ص 1.

(29) نفس المصدر.

(30) نفس المصدر.

(31) نفس المصدر.

(32) الأهرام، 5 أكتوبر 1962، ص 1.

(33) نفس المصدر.

(34) SWB, 6-10-1962, p. 4.

(35) SWB, 8-10-1962, p. 5.

(36) نفس المصدر، ص 5.

(37) نفس المصدر، ص 6.

(38) مكرم محمد أحمد، الثورة جنوب الجزيرة: عدن واليمن (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة

والنشر، لا يوجد تاريخ)، ص 66. تصر بعض المصادر على أن التدخل العسكري المصري بدأ في وقت مبكر. انظر على سبيل المثال

Scott Gibbone, The Consiprators (London: Howard Baker, 1967), p. 28.

وحيث أن التحركات العسكرية المصرية في ذلك الوقت لا تزال تعتبر معلومات سرية فلا يمكن حسم هذه النقطة بشكل نهائي لكن من المؤكد بدرجة معقولة أنه رغم أنه جرى إرسال الأسلحة والمستشارين العسكريين في وقت مبكر (انظر بادو، الموضع المذكور، والتايمز، 2 أكتوبر 1962)، لكن أول قوة قتالية وصلت على متن تلك السفينة. وقال الرئيس عبد الناصر فيما بعد أنه في يوم 5 أكتوبر كان عدد القوات المصرية في اليمن يبلغ مائة جندي "هم أول من أرسلنا".

وحيث أن السفينة قد وصلت في وقت مبكر من صباح يوم 6 أكتوبر فمن المحتمل أن عبد
الناصر كان يشير إلى القوة التي وصلت على متنها. لخطاب الرئيس عبد الناصر انظر الأهرام
24 ديسمبر 1962، ص 7.

(39) الأهرام، 6 أكتوبر 1962، ص 1.

(40) الأهرام، 7 أكتوبر 1962، ص 1.

(41) SWB, 9-10-1962, p. 3.

(42) نفس المصدر، ص 6.

(43) نفس المصدر، ص 3.

(44) نفس المصدر، ص 15.

(45) الأهرام، 7 أكتوبر 1962، ص 1.

(46) نفس المصدر.

(47) الأهرام، 9 أكتوبر 1962، ص 1.

(48) SWB, 10-6-1962, p. 4.

(49) نفس المصدر، ص 6.

(50) الأهرام، 9 أكتوبر 1962، ص 1.

(51) SWB, 9-10-1962, p. 5.

(52) SWB, 10-10-1962, p. 7.

(53) خطاب الرئيس عبد الناصر في الأهرام، 24 ديسمبر 1962، ص 7.

(54) SWB, 11-10-1962, p. 8.

(55) نفس المصدر، ص 9.

(56) نفس المصدر، ص 10.

(57) الأهرام، 11 أكتوبر 1962، ص 1.

(58) SWB, 12-10-1962, p. 6.

(59) نفس المصدر.

(60) خطاب الرئيس عبد الناصر في الأهرام، 24 ديسمبر 1962، ص 7.

(61) الأهرام، 12 أكتوبر 1962، ص 1.

(62) SWB, 13-10-1962, p. 1.

(63) SWB, 13-10-1962, p. 5.

(64) الأهرام، 13 أكتوبر 1962، ص 1.

(65) SWB, 15-10-1962, p. 2.

(66) الأهرام، 14 أكتوبر 1962، ص 11.

(67) نفس المصدر.

(68) نفس المصدر.

(69) نفس المصدر، ص 1.

(70) الأهرام، 15 أكتوبر 1962، ص 1.

(71) نفس المصدر.

(72) نفس المصدر.

(73) نفس المصدر، ص 4.

(74) SWB, 16-10-1962, p. 11.

(75) SWB, 17-10-1962, p. 5.

(76) SWB, 19-10-1962, p. 2.

(77) بحسب عبد الناصر فإن هذا العدد بقي بدون تغيير حتى الأيام القليلة من شهر أكتوبر حين تم إرسال تعزيزات.

(78) الأهرام، 18 أكتوبر 1962، ص 1.

(79) SWB, 19-10-1962, p. 6.

(80) SWB, 18-10-1962, p. 1.

(81) SWB, 20-10-1962, p. 7.

(82) SWB, 20-10-1962, p. 3.

(83) SWB, 20-10-1962, p. 1.

(84) SWB, 22-10-1962, p. 1.

(85) نفس المصدر، ص 2.

(86) الأهرام، 19 أكتوبر 1962، ص 9.

(87) SWB, 23-10-1962, p. 10.

(88) SWB, 24-10-1962, p. 5.

(89) الأهرام، 22 أكتوبر 1962، ص 1.

(90) الأهرام، 24 أكتوبر 1962، ص 1.

(91) أحمد، المرجع المذكور، ص 68.

(92) SWB, 29-10-1962, p. 4.

(93) SWB, 26-10-1962, p. 4.

(94) نفس المصدر، ص 6.

(95) SWB, 26-10-1962, p. 6.

(96) SWB, 27-10-1962, p. 3.

(97) الأهرام، 27 أكتوبر 1962، ص 4.

(98) SWB, 27-10-1962, p. 4.

(99) الأهرام، 30 أكتوبر 1962، ص 1.

(100) SWB, 29-10-1962, pp. 4-5.

(101) الأهرام، 27 أكتوبر 1962، ص 1.

(102) SWB, 30-10-1962, p. 1.

(103) نفس المصدر، ص 2.

(104) نفس المصدر، ص 3.

(105) الأهرام، 29 أكتوبر 1962، ص 1.

(106) SWB, 30-10-1962, p. 2.

(107) الأهرام، 30 أكتوبر 1962، ص 1.

(108) SWB, 30-10-1962, p. 4.

(109) SWB, 1-11-1962, p. 5.

(110) الأهرام، 31 أكتوبر 1962، ص 2.

(111) الأهرام، 1 نوفمبر 1962، ص 1.

(112) نفس المصدر.

(113) الأهرام، 1 نوفمبر 1962، ص 1.

(114) نفس المصدر.

(115) SWB, 2-11-1962, p. 5.

(116) SWB, 6-11-1962, p. 6.

(117) الأهرام، 3 نوفمبر 1962، ص 1.

(118) الأهرام، 4 نوفمبر 1962، ص 1.

(119) SWB, 6-11-1962, p. 7.

(120) نفس المصدر، ص 9.

(121) نفس المصدر، ص 8.

(122) الأهرام، 5 نوفمبر 1962، ص 1.

(123) نفس المصدر.

(124) الأهرام، 7 نوفمبر 1962، ص 1.

(125) ليست هناك أرقام رسمية متوافرة، لكن عدد القوات المصرية في اليمن في ذلك التاريخ يقدر بحوالي أربعة آلاف جندي.

(126) الأهرام، 8 نوفمبر 1962، ص 9.

الفصل الثاني عشر

التدخل المصري: تحليل

يناقش هذا الفصل الأسباب التي تقف خلف طلب الجمهوريين للمساعدة، ثم يتناول

بالتحليل استجابة الجمهورية العربية المتحدة.

طلب الجمهوريين للمساعدة

حتى قبل ثورة 1948 كان الليبراليون اليمنيون يشكون في قبول القبائل الزيدية لحكومة تقدمية. كان هؤلاء الرجال تقليديين ومحافظين وكان يتوقع أن ينضموا إلى الثورة المضادة. وهكذا وجه الثوار نداءات ملحة أثناء ثورة 1948 إلى الجامعة العربية والدول العربية طلباً للاعتراف والدعم، بل حتى أنهم ادعوا أنهم قد حصلوا بالفعل على دعم خارجي. وفي ثالث أيام الثورة حذر عبد الله الوزير معارضي النظام من انتقام قاسي يشمل القصف الجوي،⁽¹⁾ رغم أنه لم تكن هناك طائرات حربية متوفرة لديه. وفي تحذير آخر قال الوزير أنه قد تمت الاستجابة لدعواته المطالبة بالدعم الخارجي وأنه قد حصل على "قوات برية وبحرية وجوية".⁽²⁾ وقبل سقوط صنعاء وجه نداء عاجلاً جديداً إلى الجامعة العربية وقادة الدول العربية قائلاً: "إن صنعاء عاصمة اليمن في خطر شديد من القبائل الهمجية المتوحشة. أناشدكم باسم الأطفال والنساء والعجائز أن تنقذوهم بأي طريقة وبأقصى سرعة".⁽³⁾

أكد انهيار الثورة صورة رجال القبائل الزيدية كأعداء للتغيير الثوري، وقد أوضحت مناقشة دارت عام 1953 بين الليبراليين والضباط الذين تم سجنهم بعد انتصار أحمد إلى أي حد قد أصبحوا متشائمين. شكى عبد الرحمن الأرياني بمرارة من ولاء رجال القبائل الزيدية التام للإمامة،⁽⁴⁾ وكان السلال أكثر حدة حيث أشار إلى "المجانين في شمال اليمن".⁽⁵⁾

أصبح الليبراليون متفقين على أن القبائل التي تمسك بموازين القوة العسكرية سوف تعارض التغيير الثوري، وتوصلوا إلى استنتاج مفاده أنه لكي تنجح أي ثورة يجب أن يكون هناك تدخل خارجي لصالحها. كان السلال يؤمن بأن هناك طريقتين يمكن من خلالهما إدخال التغيير الثوري في اليمن: إما طريق تدريجي سوف يستغرق وقتاً طويلاً لكي ينجح، وهو يعتمد على ظروف يفقدها اليمن؛ أو طريق مختصر. كان الطريق المختصر يعني:

مغامرة حذرة وواعية بشرط أن تكون قائمة على خطة تضمن لها النجاح... ولا يمكن القيام بذلك ما لم نطلب المساعدة من الحكام العرب الذين يوافقون على خطتنا ونضمن التعاون الذي سوف ينهي ما بدأناه، خاصة أن الحكام العرب اليوم مغامرون (ثوريون) يدعمون كل تحرك يقضي على العوائق التي تقف في طريق الوحدة العربية.⁽⁶⁾

ومضى السلال يقول:

يجب أن نطلب المساعدة والتعاون أولاً ونبقى وحدنا. هذه قاعدة تطبق على كل أمة حاولت التخلص مما نحاول نحن التخلص منه. لن يؤذينا أن نطلب المساعدة حتى من الشيطان نفسه كما قال تشرشل.⁽⁷⁾

قدم السلال مثال إيطاليا في القرن التاسع عشر؛ فقط حين تم الحصول على مساعدة فرنسا أمكن توحيد إيطاليا.⁽⁸⁾

عزز انهيار انقلاب 1955 من مخاوف الليبراليين. أصبحوا الآن أكثر اقتناعاً من أي وقت مضى بأنه بدون مساعدة خارجية لن تنجح أي ثورة. وبعد قيام ثورة 1962 بدت مصر أفضل مصدر للمساعدة – إن لم تكن المصدر الوحيد. في عام 1953 بلغ الأمر بأحد الليبراليين بأن قال:

من يدري؟ ربما يظهر قائد عربي يوحد الدول العربية تحت قيادة حكومة واحدة بالحديد والنار مثلما فعل بسمارك. وربما تكون هذه هي الخطة التي تحاول مصر تنفيذها بالتعاون مع الليبراليين في الدول العربية.⁽⁹⁾

رغم شعورهم بخيبة الأمل بسبب تطور العلاقات الودية بين مصر والإمام لكن الليبراليين لم يفقدوا الأمل أبداً. وضع تبني مصر لدور مناهض للرجعية عام 1961 مصر بقوة إلى جانبهم. ويمكن رؤية سعادة الليبراليون في البرقية التي أرسلها نعمان والزيبري إلى الرئيس عبد الناصر في أعقاب هجومه العلني على الإمام أحمد.

باسم الشعب اليمني في الشمال المستعبد والجنوب المحتل ندعم موقفكم الثوري الصريح في مواجهة الرجعية العربية – قناع الامبريالية الغربية. نحن نشعر في اليمن أن شعبنا الذي اشتاق طويلاً لصوتكم المحبوب (وهو يندد بالرجعيين) قد تم تعويضه بشكل ملائم عن المرارة التي عاني منها بسبب صمتكم الذي تمتع به جلاو اليمن واعتبروه حقاً أبدياً لهم...⁽¹⁰⁾

ومنذ ديسمبر 1961 إلى وقت اندلاع الثورة كانت مصر تدين نظام الإمامة وتنادي علناً بسقوطه.

وبمجرد تولي السلطة اتجه الثوار بشكل طبيعي إلى مصر. رغم أنهم ادعوا أنهم يتمتعون أنهم يتمتعون بدعم كل القبائل لكنهم كانوا يتوقعون أن تنضم القبائل الزيدية إلى جانب الملكيين. كان الثوار مقتنعين أنه بدون دعم مصر لن يكون مصيرهم مختلفاً عن مصير ثوار 1948 و1955، وهكذا فقد طلبوا دعماً عسكرياً مصرياً في ثاني أيام الثورة حتى قبل أن تبدي السعودية أي رد فعل.

الاستجابة المصرية⁽¹¹⁾

الرؤية

كان ينظر إلى الثورة اليمنية على أنها حركة شعبية تقدمية موالية لمصر ومعرضة للخطر بسبب جهد رجعي-إمبريالي موحد. جعلت أنشطة الليبراليين أوضاع اليمن المتخلفة معروفة على نطاق واسع، وكان ينظر إلى أي تحرك بهدف تغيير تلك الأوضاع باعتباره تقدماً. وبالعكس محاولتي 1948 و 1955 فقد ألغت ثورة 1962 نظام الإمامة وقامت بتأسيس جمهورية. وهكذا لم يكن من الممكن اعتبارها بمثابة انقلاب القصر الذي يتم فيه تغيير الأشخاص وليس الهيكل. وبرغم أن نعمان كان يفضل الانتظار لكن الزهيري والبيضاني أعلنوا دعمهما للتحرك الجديد. كان عبد الناصر ينظر إلى الثورة باعتبارها ذات طبيعة تقدمية. ومثلما لخص الأمر فيما بعد:

إن الثورة اليمنية هي ثورة تحرير تنقل اليمن من العصور الوسطى إلى القرن العشرين. لقد حولت الحكومة الإقطاعية الرجعية إلى حكومة عدالة ومساواة.⁽¹²⁾

كان من الواضح على الفور أن الثورة كانت تتمتع بالدعم في صنعاء وتعز والحديدة، حيث أعلنت كل تلك المدن تأييدها للتحرك الجديد. وكان من المفترض بشكل عام أن الثورة ستلقى تأييداً في كل المناطق الشافعية. وقد دفعت هذه الحقائق وكذلك الهدوء الذي تلي الانقلاب الرئيس عبد الناصر لاعتبار الثورة تتمتع بدعم الشعب. كان يعتقد أنه "منذ اليوم الأول كانت الثورة ناجحة ومدعومة من كل الشعب اليمني".⁽¹³⁾ كانت الثورة "تحقيقاً فعلياً لإرادة جماهير الشعب اليمني"⁽¹⁴⁾ في المدن وأيضاً في المناطق القبلية. وفيما بعد كتب هيكل أنه "خلال اليومين الأولين أصبح واضحاً أن كل الشعب كان مع الثورة".⁽¹⁵⁾ في ذلك الوقت تجاهل عبد الناصر حقيقة أنه رغم أن الثورة كانت تبدو مدعومة من سكان اليمن لكنها لم تكن مقبولة لدى رجال القبائل الزيدية. وبدلاً من الاعتراف بذلك اعتبر عبد الناصر أن الثورة تتمتع بشعبية لدى "كل الشعب".

لم يكن هناك شك فيما يتعلق بالتوجه الخارجي للنظام الجديد. كان من الطبيعي أن يقف مع المعسكر الثوري في المعركة بين الثورية والرجعية. جاء طلب الدعم المصري في ثاني أيام الثورة - كدليل لو كانت هناك حاجة لذلك - على أن النظام الجديد كان مرتبطاً بمصر بشكل واضح.

كذلك جعل طلب الدعم من الواضح أن الحركة الجديدة لم تكن تشعر بالأمان. كان البدر قد هرب وكان الجمهوريون يعرفون أنها مسألة وقت قبل أن يقود هو أو أحد أفراد الأسرة المالكة ثورة مضادة كان يحتمل أن تجتذب دعم معظم القبائل الزيدية.

كانت توجد معضلة هنا. كيف يمكن للثورة أن تكون شعبية لكنها في نفس الوقت غير آمنة؟ تغلب عبد الناصر على هذه المعضلة من خلال الإصرار على اعتبار الثورة تتمتع بالشعبية وإرجاع الخطر إلى التدخل الخارجي: تدخل السعودية "الرجعية" وبريطانيا الإمبريالية. اعتقد عبد الناصر أنه لو تركت الثورة وشأنها فلن تقف أي قبيلة مع نظام الإمامة الرجعي ضد الجمهورية التقدمية. وقد أثبتت حقيقة أن خطر الملكيين أصبح واضحا فقط حين صارت السعودية داعمة لهم رؤية عبد الناصر. كان عبد الناصر مصرا على أن التدخل المصري كان رد فعل للتدخل السعودي-البريطاني-الأردني. وكانت وسائل الإعلام المصرية تتحدث عن المعركة باعتبارها تدور بين اليمينيين من جهة وبين المعتدين "السعوديين-الأردنيين" من جهة أخرى، والذين كان يدعمهم عدد قليل من رجال القبائل الذين تم شرائهم. لم تكن هناك إشارة إلى الملكيين بل فقط إلى "المتسللين".⁽¹⁶⁾

التصنيف والذاكرة

منذ انفصال سوريا كان عبد الناصر بلا انتصارات. كان "الرجعيون" ينددون به بنفس قوة تنديده بهم. لم تأت دعوات مصر للثورة بأية نتائج. كانت الثورة اليمنية التي تزامنت تقريبا مع الذكري الأولى للانفصال أول انجاز في الحرب على الرجعية. وكانت مثلما كان يؤمن عبد الناصر "أول تحرك أو أول عمل يتحدى الرجعية التي كانت تتعاون مع الامبريالية".⁽¹⁷⁾ وهكذا فقد تم تصنيف الثورة على إنها انتصار لمصر.

استدعت الثورة اليمنية ذكريات ذات صلة بروابط سابقة مع الإمام أحمد و"الرجعيين الآخرين" -حسين وسعود. انهارت محاولتا الثورة السابقتين في اليمن عامي 1948 و1955. في كلتا الحالتين كانت مصر متعاطفة مع الإمام أحمد. في عام 1948 كانت مصر نفسها يسيطر عليها الرجعيون، وفي عام 1955 كانت مصر مدفوعة بالحاجة إلى تقوية المعسكر المناهض للاستعمار. لكن الأمور قد تغيرت. لقد كشف الإمام أحمد عن حقيقته وأثبت أنه عدو للمبادئ التي كانت الجمهورية العربية المتحدة تتبناها. هذه المرة كان ينبغي ألا تفشل الثورة.

كان عبد الناصر يعتقد أن مصر خرجت عن مسارها لاستيعاب أحمد. تم تقييد أنشطة الليبراليين اليمينيين لإرضائه. قدم له الدعم الكامل في نزاعه مع البريطانيين. وعندما طلب الاتحاد وافقت مصر على الوحدة مع اليمن. وحين رفض تنفيذ الميثاق لم تعترض مصر. ولكن

رغم ذلك لم يكن الإمام ممتنا، ولم يكن أبداً سوى حاكم رجعي. لقد ظهرت حقيقته بعد انفصال سوريا. كان أحمد مقتنعا بأن الانفصال كان يعني بداية النهاية لعبد الناصر، ولذا فقد تجرأ على مهاجمته. وفيما بعد تذكر أن الإمام "كان واثقا أن نظامه الرجعي كان آمناً فبدأ في مهاجمة الاشتراكية والحرية بالشعر والنثر".⁽¹⁸⁾ لم يكن البدر – الإمام الجديد - فقط ضعيفا ولا يعتمد عليه، وإنما كان من المرجح أيضا أن يعود إلى نفس أساليب والده.

كان حسين وسعود أسوأ من أحمد. صدق عبد الناصر تظاهرها بالإخلاص فقدم لهم الصداقة والنوايا الطيبة. لكنهما كانا ينتظران الوقت المناسب للانقلاب عليه، وهو ما فعلاه - حسين عام 1957 وسعود عام 1958. منذ ذلك الوقت لم يتوقفا بالفعل عن التآمر ضد الجمهورية العربية المتحدة. كانا كلاهما مسئولين إلى حد كبير عن انفصال سوريا. والآن بعد أن هزت ثورة اليمن معسكر الرجعية عمل الملكان - مدعومين من الإمبرياليين - على تدمير الثورة واسترجاع اليمن مرة أخرى إلى معسكرهما.

عملية صنع القرار

قادت رؤية الثورة اليمنية باعتبارها تحركاً تقدمياً شعبياً مالياً لمصر - إلى جانب تصنيفها على أنها "انتصار" لمصر - عبد الناصر لأن يعتبر أنها تستحق الدعم المصري بشكل عام لكن غير محدد. تم التوصل إلى هذا القرار فور اندلاع الثورة. قال عبد الناصر أنه كان يدعم الثورة "منذ اليوم الأول، منذ الدقيقة الأولى".⁽¹⁹⁾ وقال أنه اتخذ هذا القرار حتى قبل أن يعرف أسماء الضباط الذين قاموا بالثورة.⁽²⁰⁾ لكن "الدعم" كلمة مطاطة. منذ البداية كان لدى مصر ثلاثة خيارات:

- 1- أن تقدم الدعم السياسي والمعنوي الذي كان سيشمل حملات دعائية لصالح النظام الجديد.
- 2- أن تقدم الدعم العسكري في شكل أسلحة ومستشارين بدون اشتراك قوات قتالية.
- 3- أن ترسل قوات قتالية.

بحلول اليوم الثاني للثورة قرر عبد الناصر تقديم دعم سياسي ومعنوي. قامت وسائل الإعلام المصرية بتغطية الثورة بطريقة ودية للغاية وحذرت الجمهورية العربية المتحدة من التدخل الأجنبي. بلغ هذا الدعم ذروته من خلال الاعتراف بالنظام الجديد في 29 سبتمبر.

وحين قرر عبد الناصر تقديم دعم سياسي كان يدرك أن هذا الدعم قد لا يكون كافياً. كان الجمهوريين قد طلبوا دعماً عسكرياً، وبدأ عبد الناصر يفكر أنهم كانوا محقين. تذكر فيما بعد:

بعد أن اندلعت الثورة اليمنية بقيادة الزعيم البطل عبد الله السلال ماذا حدث؟ بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام الثورة كنت أفكر... لقد أصبح واضحاً أن السعودية لن تبقى صامتة رغم أن الأجانب في الجنوب – الإنجليز الذين كانوا في عدن وفي المحميات - قد أصبحوا خائفين أيضاً، وأصبح من الواضح أنهم لن يبقوا صامتين. إن دخول الثورة إلى شبه الجزيرة العربية يقلق الإمبريالية، ويقلق الرجعية، ويقلق الإنجليز والملك سعود، ويقلق أعداء التقدم، ويقلق عملاء الاستعمار، ويقلق الملك حسين. بعد مرور يوم على الثورة كنا نناقش موقفنا من الثورة ووضعنا لو تعرضت الثورة للاعتداء الخارجي. هل نبقى صامتين؟ هل نترك الرجعية – الملك حسين (ربما كان عبد الناصر يقصد الملك سعود) لينفق عدة ملايين من الريالات ويقضي على حق الشعب اليمني في الثورة وفي الحياة؟(21)

وكما توقع عبد الناصر كان رد فعل الأردن والسعودية تجاه التحرك الجديد يتسم بالعداء. توصل عبد الناصر إلى استنتاج مفاده أنه لو تركت الثورة اليمنية وحيدة فلن تكون لديها فرصة للبقاء.

بالنسبة لعبد الناصر كانت هزيمة الثورة ستعني أكثر من مجرد فشل محاولة أخرى ضد النظام في اليمن. كانت ستصبح انتصاراً لـ "الرجعيين" الذين كانوا يحاولون عزله وهزيمته. فيما بعد قال في حديث لمجموعة من الجنود المصريين العائدين من اليمن: حين ذهبتم إلى اليمن كانت هناك معركة شرسة في كل مكان في الأمة العربية تستهدف ثورتكم هنا في مصر، ثورتكم الوحشية الاشتراكية التي عملت من أجل حرية البلاد وحرية المواطنين. كانت هناك حملات عنيفة... ضد الشعب المصري وضد الجيش المصري.(22)

كان انتصار "الرجعيين" بشكل تلقائي هزيمة لمصر، وعلاوة على ذلك كان سيثجع الرجعيين للاقترب بالمعركة إلى مصر أكثر:

هل نبقى صامتين ونشاهد الرجعية تهزم الثورة في اليمن، ثم تلتفت إلينا وتقول: "لنحول المعركة إلى الاشتراكية وإلى التقدم إلى الشعب المصري – إلى القاهرة". أبداً! مطلقاً. يجب أن ندافع عن مبادئنا في

قلب شبه الجزيرة العربية ضد الرجعية وضد الإمبريالية وضد الصهيونية". (23)

في 30 سبتمبر قرر عبد الناصر أن يقدم دعماً عسكرياً بدون اشتراك قوات. "تم إرسال مدربين ومستشارين ومعدات عسكرية لمساعدة الجيش اليمني الصغير". (24)

لم يكذب اتخاذ قرار إرسال الأسلحة والمستشارين حتى أصبح من الواضح أن هذا النوع من الدعم لن يكون كافياً لحماية الثورة. أشارت التقارير الواردة من اليمن إلى أن الوضع كان أسوأ بكثير مما توقع عبد الناصر. تقريباً تم حل كل من جيش الدفاع والجيش غير النظامي – والذين كان يعتقد أنهما كانا موالين للإمامة بالدرجة الأولى تماماً. كانت مستويات الانضباط والمعدات والتدريب في الجيش النظامي دائماً متدنية ولم يكن أبداً قوة قتالية فعالة. والآن تراجع إمكانياته المحدودة أكثر. كان كل الضباط المدربين تقريباً مشغولين بأدوارهم السياسية الجديدة، كذلك جرت عمليات تطهير في صفوف كبار الضباط. كان الجنود لا يزالون يحتفظون بولاءاتهم القبلية، ولم يكن من الممكن الاعتماد عليهم لتنفيذ تلك الأوامر بغض النظر عن تأثير تلك الأوامر على ولائهم. أصبح من المؤكد بلا أدنى شك أن البدر لم يكن فقط على قيد الحياة وإنما كان يتقدم أيضاً باتجاه حجة ويقوم بحشد الدعم القبلي أثناء تقدمه. كانت مأرب معرضة للخطر من القبائل المحيطة. في هذا الوضع كانت الأنباء بشأن دخول الحسن وأفراد آخرين من الأسرة المالكة إلى اليمن بعد تلقي المال والسلاح من السعودية مقلقة للغاية. كان عبد الناصر يأمل أن الجمهوريون سيقومون بكل ما يحتاجه القتال بينما يتولى المصريون أدواراً استشارية وثانوية. والآن أصبح من الواضح أن الجمهوريون كانوا بالكاد مؤهلين للقتال؛ كان على المصريين تحمل وطأة المعركة.

توازت الصورة القائمة للوضع الداخلي في اليمن مع وضع خارجي مقلق. كتب هيك

فيما بعد:

كان من الواضح أن الملك سعود قد ألقى بثقله في المعركة، أولاً عن طريق حشد كل اليمنيين الذين أجبرتهم الظروف على الهجرة من وطنهم إلى بلاده وتعزيزهم عن طريق القبائل السعودية التي تعيش قرب الحدود بعد دفع المال لهم بسخاء، ثم سعى إلى تقوية هؤلاء عن طريق بعض القبائل اليمنية التي قد تقبل حقايبه المليئة بالنقود. ووراء كل هؤلاء كانت هناك بعض العناصر من جيشه النظامي التي كان بإمكانه أن يثق بها... كان واضحاً أن الملك حسين ألقى بكل وزنه – أو انعدام وزنه - في المعركة. كان واضحاً أن بريطانيا مع كل

خطتها في الجنوب كانت تخشى الثورة، وقد اشتركت سرا في
المعركة. (25)

كان الاستنتاج الجديد هو أنه لو لم ترسل مصر قوات قتالية فسوف تنهار الجمهورية.
لكن إرسال قوات كان يختلف تماما عن تقديم أسلحة ومستشارين. كان إرسال قوات
أكثر دراماتيكية وخطورة، كذلك كان أمرا غير مسبوق سيؤثر على مكانة مصر بشكل لا يمكن
الرجوع فيه. كان عبد الناصر يأمل أن تحارب الحركات الإقليمية بالنيابة عنه في "الحرب على
الرجعية". كانت مصر لتقدم على سبيل المثال الدعم المعنوي والسياسي لكن لم يكن بإمكانها أن
تشارك في كل صراع إقليمي. حرص عبد الناصر أن يشير في الميثاق إلى عدم استحسان مثل
هذا الانخراط الوثيق:

لو أن الجمهورية العربية المتحدة تشعر أنه من واجبها أن تدعم كل
تحرك شعبي قومي فيجب أن يبقى هذا الدعم في إطار المبادئ
الأساسية، ويترك تحركات الصراع للعناصر الإقليمية لحشد
الإمكانات القومية وتوجيه الصراع نحو غايتها وبما يتوافق مع
التطورات والاحتمالات الإقليمية. (26)

مهما بلغت درجة التطور في علاقات مصر مع أي دولة عربية لم يتم أبدا استخدام
القوة العسكرية بشكل صريح. ورغم أن مصر قد أرسلت قوات إلى سوريا عام 1957 - والتي
كانت في نزاع مع تركيا في ذلك الوقت - فقد كان ذلك إشارة إلى التضامن أكثر من كونه تدخلا
فعليا. كان الصدام مع تركيا أمرا غير محتمل. وحتى حين كان لدى عبد الناصر الحق
الدستوري في استخدام القوة أثناء انفصال سوريا فإنه عدل عن قراره بمجرد أن أصبح من
الواضح أن الحكومة الجديدة كانت تسيطر على سوريا. وقد برر هذا التراجع بقوله إن الدم
العربي لا يجب أن يسفك أبدا بسلاح عربي. والآن كان يجب انتهاك هذا المبدأ. وعلاوة على
ذلك كان عبد الناصر قلقا من رد فعل الجيش المصري. فبعد انفصال سوريا وتعرض
المصريين المقيمين هناك لسوء المعاملة بدأ بعض المصريين يشكون في الحكمة من الانخراط
في الشؤون العربية. لم ينس عبد الناصر أبدا أن مصر قد أصبحت مؤخرا فقط واعية بهويتها
العربية، وأن هذا التوجه الجديد لم يتم قبله بعد. كان عبد الناصر يخشى من أن يثير تدخل
مصري مباشر تدخلا استعماريًا مباشرًا آخر.

على الجانب الآخر كانت هناك عوامل تجعل اشتراك القوات ممكنا. كان رد فعل
المجتمع المصري تجاه الثورة اليمنية إيجابيا. لم تكن الغالبية العظمى من المصريين فقط تصدق
كل ما كانت تقوله وسائل الإعلام لكنهم كانوا أيضا يتقنون في عبد الناصر ثقة كاملة ويتوقعون

أن يتخذ القرارات الصحيحة. لو أنه كان يعتقد أن استخدام القوات أمر ضروري فسوف يفهمون ذلك ويتقبلونه. لم يكن على عبد الناصر أن يقلق بشأن جماعات الضغط أو ردود الفعل السلبية داخل المجتمع أو الآراء المخالفة لمستشاريه.⁽²⁷⁾ وبالإضافة إلى ذلك بينما كان لا يزال هناك عنصر مخاطرة لكنه لم يسبب الكثير من القلق. كان الاتحاد السوفيتي قد اعترف بالجمهورية في 1 أكتوبر، ولم يكن هناك شك في أنه سوف يدعم التدخل المصري المضاد للإمبريالية والرجعية. وبالنسبة للولايات المتحدة فمذ انتخاب الرئيس كيندي كانت تحاول تغيير صورتها باعتبارها حليفاً للأنظمة العربية المحافظة بأن تجعل لها موقفاً أكثر توازناً. ورغم أن عبد الناصر كان يشك في أن الأمريكان كانوا متعاطفين مع الملكيين ومع السعودية لكنه كان يستبعد أن تتدخل الولايات المتحدة عسكرياً في اليمن. وحتى بريطانيا التي كان مقتنعاً بأنها كانت تساعد الملكيين سرا لم يكن من المحتمل أن تحارب من أجلهم.

كان هناك اعتباران جعلاً الموازين تميل لصالح إرسال قوات. الاعتبار الأول هو أن عبد الناصر رأى في هزيمة الجمهورية تهديداً على المدى البعيد للجمهورية العربية المتحدة نفسها. الهزيمة سوف تجعل الرجعية تمسك بزمام المبادرة، وسوف تصبح القوى الثورية - بما فيها مصر - في موقف الدفاع. لقد تحولت الحرب الباردة مع الرجعية إلى حرب قتالية. كان هذا هو الشكل الذي أرادت الرجعية ولم يكن عبد الناصر ينوي تحاشي المعركة. كان عبد الناصر يؤمن بأن "هذه ليست معركة اليمنيين... إنها معركتنا".⁽²⁸⁾ جرى التدخل من أجل "مواجهة الرجعية التي أرادت أن تهاجمنا داخل بلادنا".⁽²⁹⁾ كانت المعركة مع الرجعية "معركة حياة أو موت... سيختفي أحدنا، وبإذن الله الرجعية هي التي ستختفي".⁽³⁰⁾ تم إرسال القوات المصرية إلى اليمن "للدفاع عن القاهرة في قلب شبه الجزيرة العربية ولمهاجمة الرجعية في معقل الرجعية".⁽³¹⁾

كان الاعتبار الثاني هو اعتقاد عبد الناصر أن التدخل لن يحتاج إلى وجود عدد كبير من القوات لفترة طويلة.⁽³²⁾ لم تكن لديه فكرة أن هناك أعداداً متزايدة من القبائل سوف تحارب إلى جانب الإمام، وأنه بدلاً من يؤدي وصول القوات المصرية إلى إخافة تلك القبائل ودفعها إلى الاستسلام للجمهورية فإنه سوف يزيد من ارتباطها للإمام. وتشير حقيقة أنه لم يتم إرسال سوى مائة جندي في البداية إلى مدى تفاؤل عبد الناصر. كانت معرفة عبد الناصر عن جغرافية وتاريخ اليمن محدودة، وكان تقريباً لا يمتلك أي معلومات عن القبائل اليمنية.⁽³³⁾ كان عبد الناصر مقتنعاً بأن التدخل الخارجي فقط هو ما دفع بعض القبائل إلى الوقوف ضد الجمهورية. لم يكن لديه أدنى شك في أن قواته المتفوقة بدرجة عالية لن تجد أي صعوبة في إخضاع القبائل. وعلاوة على ذلك فقد اعتبر عبد الناصر أن النظام السعودي كان غير آمن، وكان يشك في

قدرته على الاستمرار في مساعدة الملكيين. لكن عبد الناصر لم يكن يتوقع أن يكون التدخل مجرد تدريبات عسكرية. ومن المحتمل أنه كان يتوقع أنه في أسوأ الأحوال ستكون هناك حاجة إلى بضعة آلاف من القوات، وأنها لن تبقى إلا لعدة شهور.

من المرجح أن القرار بإرسال قوات قد اتخذ يوم 2 أكتوبر. في ذلك اليوم وصل الطيارون السعوديون على متن طائرة عسكرية سعودية محملة بالأسلحة⁽³⁴⁾ وقد أثبت وصول الطائرة صحة تحليل عبد الناصر. فمن جانب كشف ذلك عن حجم استعداد الملك سعود للمضي قدماً في دعمه للملكيين، ومن جانب آخر أظهر أن تصرف سعود لم يكن يحظى بشعبية. وفيما بعد قالت مصر أن قرار إرسال القوات قد اتخذ "فقط بعد أن كشف الطيارون السعوديون الأحرار النقاب عن نوايا الغزو"⁽³⁵⁾ ولكن من المحتمل بدرجة كبيرة أنه كان سيتم اتخاذ القرار حتى لو لم تصل أي طائرات.

برر عبد الناصر تخليه عن المبدأ الخاص بأن "الدم العربي لا ينبغي أن يسفك بسلاح عربي" بقوله أن الرجعية لم تترك له أي خيار. كانت الرجعية واثقة أنه بسبب هذا المبدأ وبسبب الظروف لن تكون مصر قادرة على التدخل، وهو ما جعل الرجعية آمنة في هجومها على الثورة اليمنية. كان قرار إرسال قوات "مؤلماً" لكنه كان ضرورياً "وإلا سوف نعترف بحق الرجعية في سفك الدماء حسب مخططاتها، وسنترك المبادئ بلا أي سلاح يحميها بطريقة شرعية"⁽³⁶⁾ وذهب هيكل إلى حد القول: "لم نذهب للحرب في اليمن. سيكون الأقرب للحقيقة أن نقول أننا ذهبنا لمنع الحرب في اليمن"⁽³⁷⁾.

التنفيذ

بحسب عبد الناصر فقد ثبت أن مخاوفه بشأن عدم استعداد الجيش للذهاب إلى اليمن كانت غير مبررة. لم يكن هناك أي تردد للذهاب إلى هناك. قال عبد الناصر فيما بعد:

حين سألت المشير عامر كيف سيكون شعور القوات حين تصدر إليها الأوامر بالذهاب إلى اليمن قال أنه سيرد على بعد أربع وعشرين ساعة. وبعد الأربع والعشرين ساعة أخبرني أنه طلب عدداً من المتطوعين للذهاب إلى اليمن فتقدم كل أفراد القوات المسلحة - كل الضباط - للتطوع، وأنه لا يوجد ما يستدعي القلق بشأنه.⁽³⁸⁾

ويبدو أن عملية نقل القوات المصرية إلى اليمن قد مضت بسلاسة. قال هيكل أنها كانت "معجزة في النقل العسكري"⁽³⁹⁾.

لأن التدخل العسكري المصري كان غير معلن - وربما الأكثر أهمية أنه كان تدريجيا - فإنه لم يظهر باعتباره تطورا دراماتيكيا مثيرا. كان عملية هادئة بعيدة عن الأنظار تقريبا. في 2 أكتوبر تحدثت التايمز عن سلسلة من الرحلات بين مصر واليمن، وفي 3 أكتوبر قالت نيويورك تايمز أن "قوات مصرية تتضمن مظلبيين قد جرى إرسالها مؤخرا عن طريق السفن من السويس إلى جهة غير معلومة في البحر الأحمر". وانتظرت التايمز حتى 9 أكتوبر لتعلن أنه "لا يوجد شك في أن مصر ترسل الآن قوات وأسلحة إلى اليمن". ولم يأت أول اعتراف مصري بوجود قوات مصرية في اليمن إلا يوم 19 أكتوبر في مقال لهيكل بصحيفة الأهرام.

ردود الفعل

حتى قبل نزول أول مجموعة من الجنود المصريين في اليمن طلب الجمهوريون تعزيزات. وبحسب هيكل حين أرسل عبد الناصر برقية إلى السلال يقدم له التفاصيل الخاصة بالقوات المصرية التي كانت في طريقها إلى اليمن كان رد السلال عبارة عن برقية تضمنت فقط: "المزيد-المزيد-المزيد".⁽⁴⁰⁾ وكما رأينا في الفصل السابق ارتفع عدد القوات المصرية خلال شهر واحد من مائة جندي إلى ما يقدر بأربعة آلاف جندي.⁽⁴¹⁾ في الأسبوع الأول من أكتوبر كان الملكيون قد احتلوا صعدة ومأرب. نجح المصريون في طرد الملكيين في صعدة ومحاصرتهم في مأرب، ثم خاضوا معركة أكبر في حرض التي هاجمها الملكيون في وقت مبكر من شهر نوفمبر.

اعترف عدد متزايد من الدول بالنظام الجمهوري، وبحلول نهاية أكتوبر كانت فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة هي فقط القوي الغربية الرئيسية التي رفضت الجمهورية منح الاعتراف. وفي العالم العربي كانت السعودية والأردن والكويت والمغرب وليبيا هي فقط الدول التي لا تزال تعترف بالملكية. بالنسبة لعبد الناصر كان هذا متوائما مع رؤيته. اعترف التقدميون بالجمهورية،⁽⁴²⁾ وتعاطف الرجعيون مع الملكيين.

لم يثبت أن التدخل المصري كان يشكل خطرا. لم يكن هناك أي رد فعل عنيف من جانب الولايات المتحدة. بدا أن تعاطف الجماهير العربية كان مع الجمهورية ومع مصر. كانت الغالبية العظمى من تلك الجماهير تصدق الرواية المصرية عن التطورات في اليمن. تم قبول الادعاءات الخاصة بوفاة البدر، و"العدوان السعودي الأردني"، و"المتسللين" على نطاق واسع. وفي مصر نفسها - مثلما توقع عبد الناصر - لم تكن هناك أي إشارات لمعارضة التدخل في اليمن.

لم يكن هناك أي شيء في ردود الأفعال يقلق عبد الناصر سوى قوة الملكيين المتزايدة والتدخل السعودي المستمر لصالحهم. لكن في أوائل نوفمبر كان عبد الناصر لا يزال مقتنعا بأن الوقت كان بالتأكيد لصالحه. أثبت انشقاق المزيد من الطيارين السعوديين وهروبهم إلى مصر - إلى جانب تشكيل حكومة جديدة - أن الملك سعود كان يجد صعوبة في التكيف مع الوضع الداخلي. لم يتوقع عبد الناصر أن يكون فيصل الذي بدا مصمما على الاستمرار في دعم الملكيين أكثر نجاحا. وبالنسبة للملكيين فلم يكن بإمكانهم الصمود لفترة طويلة بعد أن أصبحت القوات المصرية تشكل قوة مؤثرة.

- (1) أمين سعيد، اليمن (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1959)، ص 114-142.
- (2) نفس المصدر.
- (3) عبد الله بن عبد الكريم الجرفي، المقتطف من تاريخ اليمن (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1951)، ص 263.
- (4) عبد الله السلال وآخرون، من وراء الأسوار (بيروت: دار الكتاب العربي، لا يوجد تاريخ)، ص 33.
- (5) نفس المصدر، ص 91.
- (6) نفس المصدر، ص 93.
- (7) نفس المصدر.

- (8) نفس المصدر، ص 93-94.
- (9) نفس المصدر، ص 67-68.
- (10) الاتحاد اليمني، نحن أحرار اليمن (القاهرة: دار الهنا للطباعة، لا يوجد تاريخ)، ص 12.
- (11) لتحليل التدخل المصري و- لاحقاً - السعودي سوف يتم استخدام نسخة مبسطة من نموذج صنع القرارات لبيرتون. للنموذج انظر
- J.F. Burton, Systems, States, Diplomacy and Rules (London: Cambridge University Press, 1968), 65.
- (12) خطاب في 9 يناير 1963،
- Arab Political Documents 1963 (Beirut: Political Studies and Public Administration Department of the American University, n.d.), p. 2.
- (13) نفس المصدر.
- (14) خطاب في 20 مايو 1963؛ لجنة كتب قومية، اليمن الثورة والسلام (القاهرة: كتب قومية، 1965)، ص 335.
- (15) الأهرام، 19 أكتوبر 1962، ص 9.
- (16) يرجع هولدن نظرة عبد الناصر للثورة باعتبارها تتمتع بشعبية في كل أنحاء اليمن إلى تقارير استخباراتية غير دقيقة سبقت الثورة. انظر
- David Holden, Farewell to Arabia (London: Faber and Faber, 1966), p. 102.
- ومن المحتمل تماماً أن يكون عبد الناصر قد تأثر بتجربة الثورات في مصر والعراق وسوريا، حيث كان الاستيلاء على العاصمة يعني بشكل عملي نجاح الثورة.
- (17) خطاب في 20 أبريل 1964؛ لجنة كتب قومية، المرجع المذكور، ص 359.
- (18) خطاب في 21 فبراير 1963؛
- Arab Political Documents 1963, op., cit., p. 37.
- (19) خطاب في 9 يناير 1963؛ لجنة كتب قومية، المرجع المذكور، ص 327.
- (20) Arab Political Documents 1963, op., cit., p. 8.
- (21) خطاب في 21 ديسمبر 1962؛ الأهرام، 24 ديسمبر 1962، ص 5.
- (22) خطاب في 11 أغسطس 1963؛ الجمهورية العربية المتحدة، نشرة الوثائق، العام 12، مجلد 2 (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، لا يوجد تاريخ)، ص 3.
- (23) الأهرام، 24 ديسمبر 1962، ص 6.

(24) John S. Badeau, The American Approach To The Arab World (New York: Harper & Row Publishers, 1968), p. 127.

(25) الأهرام، 19 أكتوبر 1962، ص 9.

(26) الميثاق (القاهرة: قسم المعلومات، 1962)، ص 109.

(27) فيما بعد كان يعتقد بشكل واسع أن كمال الدين حسين – وهو مساعد مقرب لعبد الناصر – كان يعارض التدخل. انظر

Peter Mansfield, Nasser's Egypt (Harmondsworth, Middlesex: Penguin African Library, 1969), P. 65.

لكن لا يوجد دليل آخر على أن أيا من مستشاري عبد الناصر كان ضد التدخل حينما تم اتخاذ القرار.

(28) الأهرام، 24 ديسمبر 1962، ص 6.

(29) نفس المصدر، ص 7.

(30) نفس المصدر.

(31) نفس المصدر.

(32) في عام 1968 قال عبد الناصر: "كان اليمن سوء تقدير. لم تكن نعتقد أبدا أن الأمر سيقود إلى ما حدث."

Look, March 19 1968, p. 67.

(33) يعترف الدكتور حسن صبري الخولي أن مصر كانت تمتلك معلومات قليلة جدا عن اليمن وقت التدخل، لكنه يقول أنه بمجرد أن تم اتخاذ القرار بالدفاع عن الجمهورية لم يكن أي قدر من المعرفة سيغير النتيجة؛ مقابلة، القاهرة، 18-1-1970.

(34) انظر أدناه ص

(35) الأهرام، 16 نوفمبر 1962، ص 9.

(36) خطاب في 20 مايو 1963؛ لجنة كتب قومية، المرجع المذكور، ص 335.

(37) الأهرام، 16 نوفمبر 1962، ص 9.

(38) المتحدة، المرجع المذكور، ص 10.

(39) الأهرام، 16 نوفمبر 1962، ص 9.

(40) الأهرام، 16 نوفمبر 1962، ص 9.

(41) استمرت عملية التصعيد هذه حتى قدر عدد القوات المصرية في اليمن عام 1965 بسبعين ألف جندي.

(42) رغم أن سوريا والعراق اعترفتا بالجمهورية لكن هذا الاعتراف لم يعتبر مؤشرا على قبول النظام الجديد. أرجع اعتراف سوريا في 1 أكتوبر إلى الضغط الشعبي (الأهرام، 2 أكتوبر 1962، ص 1)، في حين حذر الاعتراف العراقي – والذي جاء بعد أسبوعين من الثورة – من التدخل الخارجي في شؤون اليمن، وبالتالي كان ينتقد الجمهورية العربية المتحدة بشكل غير مباشر.

الجزء الرابع

تأثير الثورة على السياسة الخارجية
للمملكة العربية السعودية

الفصل الثالث عشر

الوضع

تحت عنوان الوضع الداخلي يناقش هذا الفصل كلا من آلية اتخاذ القرارات فيما يخص السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية، وكذلك الملك سعود والأمير فيصل باعتبارهما صانعي القرار، إلى جانب الموقف الداخلي عام 1962. وتحت عنوان الوضع الخارجي يتتبع هذا الفصل تطور السياسات العربية والدولية، ويختتم بوصف للموقف الخارجي عام 1962.

الوضع الداخلي

آلية اتخاذ القرارات

أثناء حكم الملك عبد العزيز كان الملك نفسه هو مصدر كل القرارات الهامة في الشأنين الداخلي والخارجي. ورغم أنه فوض بعض صلاحياته في الشأن الداخلي إلى وزير ماليته وإلى الأمير سعود في نجد وإلى الأمير فيصل في الحجاز فإنه احتفظ بسيطرته الشخصية على السياسة الخارجية. ولم يسمح الملك عبد العزيز للأمير سعود بالمشاركة في المسؤولية فيما يتعلق بالشأن الخارجي إلا خلال السنوات الأخيرة من حياته بعدما تدهورت صحته، وكان سعود وقتها رئيساً للوزراء. فيما يخص إدارة الشؤون الخارجية كان المجلس يقوم بوظيفة استشارية بحتة ولم تكن أي من توصياته لتصبح ملزمة بدون موافقة الملك.

وبعد وفاة عبد العزيز في نوفمبر 1953 تولى سعود الحكم وتمت تسمية فيصل ولياً للعهد. وفي عام 1954 عين سعود فيصل رئيساً للوزراء. لكن هذا اللقب كان يتضمن القليل من الصلاحيات. وبرغم صدور قانون جديد يزيد من مهام مجلس الوزراء لكن لم تتغير طبيعته الاستشارية. ظل الملك في وضع مسيطر. ومن 1953 حتى 1958 كان الملك سعود مسئولاً بشكل شخصي عن اتخاذ القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية.

وبعكس والده كان على سعود ضمان دعم أخوته حتى يستمر في ممارسة صلاحياته الواسعة. وفي عام 1958 تحول دعم معظم الأمراء إلى ولي العهد الأمير فيصل وأجبر سعود

على التخلي عن كل صلاحياته التنفيذية له.⁽¹⁾ تم الإعلان عن مرسوم جديد قدم تبريرا دستوريا لهذا التحول. ومنح مجلس الوزراء ورئيسه صلاحيات تنفيذية. ورغم أن الملك سعود كان لا يزال يقوم ببعض المهام - مثل الموافقة على الميزانية - لكن رئيس الوزراء أصبح في الواقع الرئيس التنفيذي المسئول عن كل من الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية. وهكذا حتى عام 1958 كان اتخاذ القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية امتيازًا خاصًا بالملك، وبدءًا من عام 1958 أصبح مسئولية رئيس الوزراء.

كانت آلية اتخاذ القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية بسيطة ومركزية. لم تكن وزارة الخارجية تصنع السياسات أو توصي بها. كان الحاكم المسئول - سواء كان الملك أو رئيس الوزراء - هو من يقوم شخصيًا باتخاذ كل القرارات. كان بإمكانه أن يطلب نصيحة مستشاريه، لكن لم يكن هذا إجباريًا. لم يلعب مجلس الوزراء أي دور في السياسة الخارجية بل ولم تكن حتى تتم استشارته. وما سهل هذه المركزية في اتخاذ القرارات كان حقيقة أنه "حتى فترة قريبة للغاية لم تبد الغالبية العظمى من الشعب اهتمامًا كبيرًا بشؤون السياسة الخارجية - مع إمكانية استثناء إسرائيل".⁽²⁾

الملك سعود

ولد الملك سعود عام 1902 وتلقى تعليمًا أوليًا تقليديًا. شارك سعود في سن مبكرة في حملات والده العسكرية، وفي عام 1933 اختاره والده وليا للعهد. حظي القرار بترحيب الأسرة المالكة، فلم يواجه سعود أي تحديات باعتباره الملك القادم. ازدادت مسئولياته بينما ضعفت صحة والده. وفي عام 1953 تم تعيينه قائدًا أعلى للقوات المسلحة وكذلك رئيسًا للوزراء. توقع البعض أنه مع وفاة مؤسس السعودية وأول ملك لها فإن المملكة سوف في الفوضى، لكن لم تتحقق هذه التوقعات المتشائمة وكان انتقال السلطة سلسًا ومنظمًا. بدأ الملك الجديد حكمه بينما الأسرة الحاكمة تقف بقوة خلفه والبلاد بأكملها تظهر إشارات على حسن الظن.

ومنذ أيامه الأولى كملك أظهر تلهفا على المجد والشعبية، وهو ما فسره علماء النفس الهواة إلى غيرة شديدة من والده تم كبتها لوقت طويل. على الصعيد الداخلي وعد بأن يشهد عهده حربًا على الجهل والمرض والفقر، وعلى الصعيد الخارجي اتبع مسارًا نشطًا استهله بسلسلة من الزيارات الرسمية لعدد من الدول العربية والإسلامية.

كان عبد العزيز قد قاوم بثبات إغراء أن يقوم بترجمة شهرته الأسطورية والاحترام العالمي الذي كان يحظى به إلى قيادة للسياسة العربية. كان همه الأول هو بناء مملكة قوية

وموحدة، وحين تحقق ذلك ركز على تدعيم الكيان الجديد الناشئ ولم يهتم بشكل نشط بالتطورات الجارية خارج شبه الجزيرة العربية. وقد ساعدته حقيقة أن عصر القومية والعلاقات العربية المضطربة لم يكن قد جاء بعد في الحفاظ على خطه غير النشط. كانت السياسة الخارجية للسعودية تدور حول ثلاثة مبادئ: صداقة مع بريطانيا والولايات المتحدة، وغياب تام للاتصالات مع الكتلة الشيوعية، ومشاركة متواضعة في السياسة العربية بدون أي محاولة لتولي القيادة. ورغم أنه كان مختلفا تماما عن النوعية الانعزالية التي كان الإمام يحيى يمثلها لكنه مع ذلك لم يكن يري حكمة في الانخراط في السياسة العربية بشكل وثيق.

كانت لدى سعود طموحات أكبر بكثير؛ كان عازما على أن يستغل بشكل كامل كل المكانة التي كان يتمتع بها كحارس للحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وأيضا الثروة التي أتى بها النفط. أراد للسعودية أن تتبوأ موقع الصدارة على الأقل – إن لم يكن القيادة - في السياسة العربية. وبدأ سعود حكمه بهذه النية.

وبصفته صانع القرارات في السياسة الخارجية أظهر سعود أنه قادر على التخلي عن التقاليد. اتبع نهجا عنيفا معاديا لبريطانيا كان متناقضا تماما مع التاريخ الطويل من العلاقات البريطانية-السعودية الودية. سرعان ما أصبح واضحا أن الملك كان قادرا على اتخاذ قرار بشكل سريع وتغييره بشكل سريع أيضا. وهكذا جاءت التحولات المفاجئة في السياسة الخارجية السعودية. تلت العلاقات الوثيقة مع مصر عام 1956 فترة برود عام 1957، وقطيعه شبه كاملة عام 1958. وبحلول عام 1957 كان النهج المعادي للامبريالية قد نسي تقريبا. تلى العداء مع الأردن عام 1956 صداقة حميمة عام 1957.

كان الملك يتخذ قراراته بسرعة بدون تفكير طويل في البدائل والعواقب، وكان يتوقع نتائج سريعة. وكان يمكن لفشل تلك النتائج أن يجعله يفقد الاهتمام بأمر معين. كان يعتقد على نطاق واسع أنه كان واقعا تماما تحت تأثير مستشاريه، لكن يصعب التوفيق بين هذا الاعتقاد وبين حقيقة أنه لم يكن معروفا عن أي من مستشاريه أنه يخبره سوى ما كان يتوقع أن يسمعه. لا يمكن إرجاع التحولات في السياسة الخارجية إلى أي تغير في تكوين أو تفكير مستشاريه.

كان لدى الملك سعود إيمان مبالغ فيه في فاعلية المال كأداة في السياسة الخارجية. كان هذا متوافقا مع كرمه الذي وصل إلى حد عدم الشعور بالمسؤولية، وكذلك مع تجربته الداخلية التي ثبت فيها أن المنح كانت عاملا حيويا في إبقاء القبائل تحت السيطرة. وفي معظم المشكلات المتعلقة بالسياسة الخارجية كان الملك يؤمن أن هناك دور مهم للمال لكي يلعبه.

كلفت المغامرة ضد عبد الناصر عام 1958 الملك سعود الكثير، وحين أصبح سعود ممسكا بزمام الأمور مرة أخرى عام 1960 كان يبدو أنه كان قد تعلم من التجربة المريرة.

ثبت أن محاولته لتولي القيادة كانت غير مثمرة، وقد أصبح الآن أقل تسرعا مما كان عليه في السنوات المبكرة. صار نهجه أكثر واقعية، ولم تعد هناك أي تغييرات مفاجئة. كان ليصبح راضيا لو تركته الدول العربية الأخرى وشأنه.

الأمير فيصل

ولد فيصل عام 1905 وتلقى مثل سعود تعليما تقليديا، ثم انخرط في الأنشطة العسكرية لوالده. لكن بعكس سعود اختلط فيصل منذ سن صغيرة بالعالم الآخر، فحين كان في الرابعة عشر من عمره قام بجولة رسمية في أوروبا.⁽³⁾ وتعزز اهتمامه بالسياسة الخارجية حين تم تعيينه وزيرا للخارجية عام 1930، وهو منصب شغله حتى 1962- باستثناء عامين فقط. وكوزير للخارجية سافر كثيرا وتقابل مع رجال الدولة وطور أفكاره بشأن العلاقات الخارجية. كان كل من سعود و فيصل يبدوان أقل مكانة بالمقارنة بوالدهما. كنائب الملك في الحجاز كان فيصل يتمتع بحرية أكبر، لكن شخصية عبد العزيز كانت مهيمنة لدرجة أنه عند وفاته كان سعود و فيصل غير معروفين. ورغم ذلك عند توليه الحكم لوحظ ما يلي:

لو أن الأمر كان قد ترك للمراقبين الأجانب لكي يختاروا الملك لكان من المحتمل أن يختاروا فيصل. يبدو أن رحلاته الكثيرة وخبرته الخارجية قد أعطته الكثير من المكانة والحيوية والكياسة الاجتماعية...وكما استنتج البعض الكثير من الإمكانيات الذهنية الواسعة أيضا.⁽⁴⁾

لم يمارس فيصل أي صلاحيات فعالة حتى عام 1958، وقد أثبت نجاحه في التعامل مع مشكلتين ملحتين واجههما. خارجيا كان قادرا على إصلاح العلاقات مع مصر والتي تضررت بشدة، وداخليا قام بإدخال سلسلة من الإجراءات التقشفية غير المسبوقه نجحت في تحقيق تعافي اقتصادي سريع.

كوزير للخارجية كان لدى فيصل أسلوب تفكير تأملي فلسفي تقريبا. كان يؤمن أن عواقب الإجراءات المتسارعة كانت بالتأكيد أكثر ضررا من عواقب الإجراءات المتأنية. كان يشعر أن هناك الكثير من المشكلات التي يمكن تركها للوقت لكي يحلها، وأنه في بعض الظروف يكون عدم القيام بأي تصرف هو الحل المناسب. رغم أن فيصل أدرك أن قدرا من الدعم الشعبي كان ضروريا لكي تنجح أي سياسة لكنه لم يكن يؤمن أن هذا الدعم يجب أن يكون غاية في حد ذاته. لا يجب أن ترضي السياسة الخارجية بالتحديد المشاعر الشعبية، فالجماهير كانت مضللة وانفعالية وغير موثوقة بدرجة تجعلها غير قادرة على ممارسة أي تأثير مفيد على

صنع السياسة الخارجية. يجب أن تكون المصالح الحقيقية - وليس العواطف ولا اعتبارات الكبرياء - هي المحددات النهائية للسياسة.

كان فيصل يؤمن أنه يجب قيادة السياسة الخارجية بطريقة هادئة بواسطة رجال الدولة الذين ينبغي أن يحاولوا حل خلافاتهم بصبر ومثابرة. الحمقى فقط هم من يمضون لكسب أعداء. يجب أن تعرف الدولة مواطنيها وضعفها وكذلك نقاط قوتها، ولا ينبغي لها أبدا أن تضع لنفسها أهدافا أكبر مما يمكنها تحقيقه. ربما تحقق المغامرات نجاحات على المدى القصير، لكن من المحتمل أن تفشل على المدى الطويل.

كان مفهوم الملك فيصل عن دور السعودية مشابها لمفهوم والده. لم تكن لديه أوهام بشأن قيادة السعودية للعالم العربي، ولهذا كان حريصا على عدم معاداة مصر أو التنافس معها. وجد أسلوب عبد الناصر ديماجوجيا، لكنه كان واعيا بشعبية الزعيم المصري الكبيرة. كذلك كان يؤمن أنه حتى بدون عبد الناصر كانت مصر تمتلك مقومات لا يمكن أبدا للسعودية منافستها فيها. طالما تركت مصر النظام السعودي وشأنه كان سعود مستعدا لفعل كل ما في وسعه للتكيف معها، وبسبب هذا الموقف كان ينظر إليه باعتباره صديقا لمصر.

كصانع قرار على الصعيدين الداخلي والخارجي كان فيصل معروفا بأنه يأخذ وقته قبل التوصل لأي قرارات. كان يكره أن يلزم نفسه بقرار بشكل لا رجعة فيه قبل أن يكون مقتنعا تماما بصحة قراره. كان يرفض أن يتم استعجاله، وهكذا كان يعطي انطبعا في بعض الأحيان بأنه غير حاسم. وفي قلب هذا الحذر الشديد يمكن إيجاد جذور نظرية "فيصل اللغز"، لكن بمجرد أن كان فيصل يحسم أمره كان يلتزم بمساره بإصرار ثابت.

الموقف الداخلي عام 1962

في ديسمبر عام 1960 قدم الأمير فيصل استقالته في أعقاب رفض الملك فيصل الموافقة على الميزانية التي قدمها. قبل الملك الاستقالة على الفور، حيث كان متلهفا على استعادة سلطاته التنفيذية. وخلال العامين التاليين كان التنافس بين الملك وولي العهد هو العامل الأكثر أهمية في السياسة السعودية.

شكل الملك سعود حكومة جديدة برئاسته، وهو ما كان استمرارا للتقليد الذي يجعل رئيس الوزراء هو الرئيس التنفيذي. وكان العضو البارز في تلك الحكومة الجديدة هو الأمير طلال الذي كان معروفا بأرائه الليبرالية الصريحة، والذي كان يسعى وقتها لإعطاء النظام صورة ليبرالية شعبية. لكن سرعان ما اختلف مع الملك واستقال في يوليو 1961. وفي نفس الوقت استمر في الحصول على دعم معظم الأمراء بعد أن أصبح خارج السلطة. وحين اضطر

الملك سعود للسفر إلى الخارج للعلاج في نوفمبر 1961 لم يكن لديه خيار سوي تعيين فيصل وصيا على العرش.

عاد سعود في مارس 1962 وتم تشكيل حكومة جديدة كان فيها سعود رئيسا للوزراء وكان فيصل نائبا لرئيس الوزراء. في الماضي كان يقال أن فيصل تولى عن هذا المنصب الذي لم تكن له أي صلاحيات حقيقية. وربما كرد فعل للهجوم المصري المتزايد على النظام شعر الأخوان بالحاجة إلى المصالحة وقبل فيصل المنصب.

في أغسطس، وبسبب غضبه نتيجة مصادرة أملاكه في السعودية، هاجم الأمير طلال النظام السعودي علانية في مؤتمر صحفي في بيروت. ردت الحكومة السعودية بحرمانه من جواز سفره السعودي. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر انتقل طلال واثنين من أشقائه وواحد من أبناء عمومته إلى مصر لمواصلة التحريض ضد النظام.⁽⁵⁾

في سبتمبر 1962 كان النظام واقعا تحت عدة ضغوط. كانت الحملة المصرية العنيفة على أشدها، وبالمقارنة كان هجوم وسائل الإعلام السعودية غير مؤثر. كان انشقاق طلال أول تصدع واضح في تماسك العائلة التي كانت تفخر دائما بالجهة القوية التي كانت تقدمها إلى العالم. فبرغم العديد من الخلافات كان يتم الإبقاء على المظهر الزائف للوحدة. وحتى الخلافات المتعددة بين سعود وفيصل لم تصل أبدا إلى العلن، وهكذا كان تصرف طلال سابقة مقلقة للغاية. صارت مكانة الأسرة المالكة السعودية متدنية داخل وخارج البلاد. وعلاوة على ذلك كانت العلاقة بين سعود وفيصل مضطربة نوعا ما. لم يتوقع أحد هذا الترتيب الذي قبل فيه فيصل - برغم الدعم الذي كان يتمتع به - منصبا بلا أي صلاحيات مؤثرة لمدة طويلة.

ورغم أن معظم المراقبين الخارجيين كانوا ينظرون إلى النظام باعتباره معرضا لخطر الانهيار الوشيك لكن في الواقع لم يكن هناك خطر حقيقي.

يجب...تذكر أنه لا يوجد في المملكة العربية السعودية أي أحزاب من أي نوع، ولا أسر بارزة، ولا زعماء سياسيين يمكنهم منازعة القيادة السياسية بشكل فعال في حكم البلاد. كل المناصب الهامة في الحكومة يشغلها أمراء سعوديون...أو أشخاص لا يوجد أدنى شك في ولائهم للأسرة المالكة. والجيش الذي يمثل الخطر الوحيد المحتمل على النظام يتم إبقاؤه صغيرا (13 ألف)، وهو موزع على نطاق واسع في أنحاء البلاد، بينما الحرس الوطني - ما يسمى ب "الجيش الأبيض"...متأهب ضد أي خطر على الوضع القائم.⁽⁶⁾

كان الأمير فيصل بلا شك حريصا على قدرة النظام على البقاء حتى لو كانت هناك أوقات شعر فيها الملك سعود بالقلق. وهكذا حين تلقى الأخبار الخاصة بالثورة في اليمن كان النظام متوترا لكنه لم يكن معرضا لتهديد حقيقي.

الوضع الخارجي

تطور الأدوار العربية

1955-1956: الدور المناهض للاستعمار

بدأ الملك سعود حكمه بسياسة عربية نشطة بلغت أوجها عام 1955 من خلال تبني دور مناهض للاستعمار. لا يوجد أي تفسير مرضي لهذا التطور، لكن ربما هناك ثلاث اعتبارات متضمنة. أولا: رغم أن تاريخ العلاقات البريطانية-السعودية كان تاريخا من علاقات الصداقة بشكل أساسي لكن الدعم البريطاني للنظامين الهاشميين في العراق والأردن كان يثير الانزعاج دائما. كانت المنافسة النشطة بين الأسرة الهاشمية وأسرة آل سعود قوية، وقد استمرت منذ وقت طويل. كان مبدأ "صديق عدوي هو عدوي" مطبقا إلى حد ما، لكن الملك عبد العزيز كان مقتنعا بشدة بقيمة الصداقة مع البريطانيين ولم يسمح لأي خلاف بأن يفسدها. لم يعلق الملك سعود أهمية على تلك الصداقة، وبالتالي كان مفرطا في التعبير عن الاستياء من التحالف البريطاني - الهاشمي.

ثانيا: كان يثبت أنه للمواقف المناهضة للاستعمار شعبية متزايدة من خلال مقاومة الإمبريالية البريطانية. يمكن لسعود أن يبدو كبطل شعبي ليس فقط في بلاده وإنما في كل أنحاء العالم العربي. ربما تخيل سعود نفسه مهندس إنجاز ضخم يشبه إنجاز والده: تخليص شبه الجزيرة العربية، وربما الشرق الأوسط بأكمله، من الاستعمار البريطاني.

ثالثا: كانت هناك قضية البريمي التي اتضح أنها وضع مؤثر على الأدوار. كان يطالب بواحة البريمي كل من السعودية من جانب وحاكم أبو ظبي وسلطان مسقط وعمان من جانب آخر. في عام 1952 احتلت قوة سعودية الواحة. تم توقيع اتفاقية لتجميد الموقف مع بريطانيا التي كانت تتصرف بالنيابة عن الحاكم والسلطان، ثم تلت ذلك اتفاقية تحكيم عام 1954. أنشأت هذه الاتفاقية محكمة من خمسة أعضاء تتكون من ممثل بريطاني وممثل سعودي وثلاثة أعضاء محايدين. اجتمعت هذه المحكمة في جنيف في 11 سبتمبر 1955، وقبل أن يتم التوصل إلى قرار استقال الممثل البريطاني بحجة أن الممثل السعودي الذي كان مسؤولا حكوميا لا يمكنه أن يكون حكما غير منحاز. وفي أكتوبر اتهم مكتب العلاقات الخارجية

البريطاني السعودية باستخدام الرشوة لكسب دعم سكان الواحة. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر قامت قوة بقيادة بريطانية بطرد الحامية السعودية واحتلت البريمي.⁽⁷⁾ كان هناك رد فعل فوري حيث

...هبت كل الجزيرة العربية في ثورة مفرحة من الوطنية الغاضبة.
نادت الصحافة والإذاعة بالانتقام، وتم حشد قوة البلاد العسكرية في
موكب. كانت الجماهير تجوب الشوارع منادية بالجهاد...لم يكن الملك
أبدا أكثر شعبية من قبل.⁽⁸⁾

لم يكن لدى الملك سعود أي شك على الإطلاق في أن البريمي هي جزء من السعودية وكان
يؤمن أن الدعم البريطاني للطرف الآخر كان غير مبرر تماما. اعتبر أن طرد السعوديين من
الواحة عدوان بلا سبب.

اتحدت هذه الاعتبارات لتفقد إلى تبني دور مناهض للاستعمار. وفي فبراير 1955
أصدر الملك سعود بيانا يحذر من الأحلاف ويندد بالعرب الذين انضموا إليها.⁽⁹⁾ وفي أكتوبر
تم إبرام اتفاقية خاصة بتحالف مناهض للاستعمار بشكل أساسي مع مصر، وجرى تعزيزها من
خلال حلف جدة الثلاثي. وفي عام 1956 كانت السعودية ملتزمة تماما بالدور المناهض
للاستعمار. وفيما بعد تحدث أنتوني إيدن عن هذه المرحلة قائلا:

كان (الملك سعود) يقوم بمحاولات مستمرة لتقويض جيرانه في
الخليج العربي وعمان. كانت الرشوة السخية واسعة النطاق موجهة
ضد وضع بريطانيا في الشرق الأوسط. ونتيجة لذلك كان نظام ملكي
لدولة من العصور الوسطى يلعب لعبة السوفيت.⁽¹⁰⁾

في عامي 1955 و1956 كانت نظرة السعودية المناهضة للاستعمار تحدد علاقاتها
مع الدول العربية الأخرى. وهكذا كانت العلاقات قوية مع مصر وسوريا واليمن - والتي كانت
جميعها تتبنى أدوارا مناهضة للاستعمار. كانت العلاقات سيئة مع العراق، وكانت أسوأ مع
الأردن - باستثناء فترة قصيرة عام 1956 حين بدأ أن الملك حسين يتبنى دورا مناهضا
للاستعمار.

1957-1961: الدور المستقل

في وقت مبكر عام 1957 كان الملك سعود يعيد النظر في الدور المناهض
للاستعمار. لم يؤد عامان من السياسة النشطة المناهضة لبريطانيا في تحقيق نتائج كبيرة: لم تتم
استعادة البريمي. حظي الملك بقدر من الشعبية لكن كان الرئيس عبد الناصر هو من يستحوذ

على عقول الجماهير ومن ينال المديح في كل الانتصارات. كان ينظر إلى الملك سعود باعتباره شريكا صغيرا في الصراع ضد الإمبريالية. أظهرت حرب السويس أن السياسات المضادة للاستعمار ليست آمنة مثلما كانت تبدو في البداية. وبالإضافة إلى ذلك كانت سياسة عبد الناصر المناهضة للاستعمار تقود إلى صراع مع الولايات المتحدة، وهو احتمال لم يكن الملك يستحسنه بالنسبة لبلاده. ومن خلال هذا الإطار الذهني سافر سعود إلى الولايات المتحدة في يناير 1957 وهناك تم اكتشاف تشابه في الآراء وجري تشجيع الملك لكي يؤكد استقلاله عن مصر. وعند عودته انفصل سعود تدريجيا عن معسكر عبد الناصر حيث نشأ دور مستقل.

سرعان ما أدى الدور الجديد للسعودية إلى تحسن ملحوظ في العلاقات مع العراق والأردن. وصل الأمر إلى أن أرسل الملك سعود قوات لمساعدة الملك حسين في تعزيز وضعه عقب الصدام مع العناصر الناصرية. وخلال الأزمة السورية-التركية عرض سعود الوساطة دون جدوى. ورغم أن العلاقات مع مصر لم تتدهور على الفور لكن كان أصبح من الواضح أن البلدان كانا يبتعدان عن بعضهما البعض. فالآن بعد أن أصبح لا يوجد دور مناهض للاستعمار تلعبه السعودية اختفى الشيء الذي كان يوحد البلدين. أصبح الملك سعود مدركا للمصالح المشتركة التي خلقتها المؤسسة الملكية، وبدأ يرى عبد الناصر باعتباره خطرا محتملا على تلك المؤسسة.

حين تولي فيصل المسؤولية تم الحفاظ على الدور المستقل، لكن فيصل حرص على أن ينتهج مسارا محايدا في العلاقات العربية وعلى ألا يستفز مصر بأي شكل. تم استدعاء القوات السعودية من الأردن، ولم تؤد الثورة العراقية التي قامت في يوليو 1958 وقادت إلى تأسيس جمهورية إلى توتر العلاقات مع العراق. وحين تولي سعود المسؤولية مرة أخرى استمر في سياسات فيصل الحذرة.

وأثناء المرحلة المناهضة للاستعمار بدأ النظام السعودي على وشك قبول مبدأ القومية العربية. لكن الآن كان قد أصبح واضحا أن نسخة النظام السعودي للقومية العربية لم تكن هي نفسها التي كان يدعو إليها عبد الناصر وأتباعه. بالنسبة للحكام السعوديين كانت العروبة حقيقة واضحة في حد ذاتها بحيث أنه لا توجد حاجة لأي شرح نظري لها. ولأنهم كانوا ذوي أصول قبلية فقد كانوا يفكرون في أنفسهم باعتبار أنهم العرب الحقيقيين الأنقياء عرقيا. وبينما كانوا يعترفون بالروابط الخاصة بين الدول العربية فإنهم كانوا يرجعونها إلى الدين والجوار أكثر من العروبة. لم يعترفوا بأي روابط روحية تنبع من القومية العربية؛ لو كانت الوحدة ستصبح هي الهدف فيجب أن تقوم على الإسلام وليس العروبة.

لم يستطع منتقدو النظام السعودي أبدا - ومنهم الرئيس عبد الناصر في وقت لاحق - أن يفهموا كيف يمكن للحكام السعوديين الأحرار الحديث عن الإسلام رغم أساليبهم المسرفة والمتساهلة. كان هؤلاء المنتقدون يؤمنون أن التوجه الإسلامي كان مجرد إدعاء لكن الأمر لم يكن هكذا تماما. رغم أن النظام السعودي مثلما تطور في الخمسينيات كان يحمل القليل من التشابه مع الحركات الوهابية المتشددة السابقة لكنه مع ذلك كان وريثا للتراث الوهابي. كان الإسلام هو سبب وجود الدولة السعودية، سواء في نشأتها الأولى في القرن الثامن عشر أو في إعادة إحيائها على يد الملك عبد العزيز. وبغض النظر عن أي أخطاء في التطبيق كان الإسلام لا يزال هو الأيديولوجية الرسمية التي لا يمكن التي لا يمكن للقومية العربية كمذهب علماني منافستها.

1961-1962: الدور المناهض للاشتراكية

نظر النظام السعودي إلى تبني الجمهورية العربية المتحدة إجراءات اشتراكية في يوليو 1961 بقلق شديد. كانت الاشتراكية تعتبر مبدأ متعارضا مع الإسلام، ويمكن أن يصبح مدمرا. والآن بعد أن تم تطبيقه في مصر فإنه سيصبح أكثر خطورة. لكن النظام لم يكن متأكدا هل يخرج على الملأ ويندد بالاشتراكية بشكل صريح - وبالتالي يصبح عرضة لقطيعة مع مصر - أم يلتزم الصمت. انتقدت بعض المقالات في الصحف السعودية الاشتراكية لكن لم تصدر أي بيانات رسمية. وبعد انفصال سوريا تبني عبد الناصر دورا مناهضا للرجعية. انتهى تردد النظام السعودي وتبنت السعودية دورا مناهضا للاشتراكية.

والآن ظهرت كل الاختلافات والخلافات بين النظامين على السطح. تم تبادل الهجمات الدعائية الشرسة.⁽¹¹⁾ بالنسبة للنظام السعودي بدأ عبد الناصر مصمما على تدميره وكان على النظام أن يدافع عن نفسه. جرى الرد على إشارات عبد الناصر إلى القومية العربية ودمج الاشتراكية في مبدأ القومية من خلال الإشارة إلى الإسلام باعتباره الأيديولوجية الخاصة بالنظام السعودي. أصبحت العلاقات مع الدول العربية الأخرى التي تتبنى أدوارا مناهضة للاشتراكية -سوريا واليمن والأردن - وثيقة تماما.

تطور الأدوار الدولية

عدم الانحياز وتأييد أمريكا: 1953-1962

في الوقت الذي أصبح فيه سعود ملكا كانت السعودية لا تقيم أي علاقات دبلوماسية مع أي دولة شيوعية،⁽¹²⁾ واحتفظت في نفس الوقت بعلاقات ودية مع الولايات المتحدة. كان الملك

عبد العزيز يكره الشيوعية بشدة، وكذلك لم تكن هناك احتياجات سياسية ملحة تبرر الاتصالات مع الكتلة الشيوعية. وعلى الجانب الآخر لم تكن الولايات المتحدة تتبنى أي فلسفات خطيرة، وكانت في نفس الوقت مستعدة لتقديم السلاح والمساعدة الفنية. كان الاقتصاد يعتمد تماما تقريبا على استغلال النفط، وهو ما كانت تقوم به شركة أرامكو الأمريكية. كانت العلاقات بين الحكومة والشركة مرضية تماما؛ عملت الحكومة كل جهدها لتسهيل عمل الشركة بينما احترمت الشركة السيادة السعودية تماما. وفي عام 1951 تم توقيع معاهدة بين البلدين لضمان المساعدة العسكرية الأمريكية وتأجير القاعدة الجوية في الظهران.

أبقى الملك سعود على كلا التقليدين: لم تتم إقامة أي تمثيل دبلوماسي مع أي دولة شيوعية، ولم يتم تعزيز صفو العلاقات الودية مع الولايات المتحدة. وحتى في ذروة المرحلة المناهضة للاستعمار لم يكن هناك احتكاك مع الولايات المتحدة. لكن السعودية لم تدخل في أي تحالفات مع الولايات المتحدة.⁽¹³⁾ كانت السعودية بشكل رسمي من دول عدم الانحياز، ولم يكن هناك خلاف بين سعود وفيصل بشأن هذه النقطة. لم تكن هناك أي ميزة سيتم الحصول عليها من الدخول في أي تحالف رسمي.

الوضع الخارجي عام 1962

حدد دور السعودية المناهض للاشتراكية علاقاتها مع الدول الأخرى. كانت العلاقات مع مصر أسوأ مما كانت عليه في أي وقت مضى، بينما كانت العلاقات مع الدول المناهضة للاشتراكية - سوريا واليمن والأردن بشكل خاص - تصبح أقوى. وفي أغسطس تم توقيع اتفاقية مع الأردن لضمان التعاون العسكري والسياسي. قالت إذاعة القاهرة أن الاتفاقية كانت موجهة ضد مصر، وردت إذاعة عمان بتحدي قائلة: "نعم. نحن في تحالف ضد عبد الناصر".⁽¹⁴⁾

تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا في أعقاب حرب السويس ولم تكن قد أعيدت. لكن بعد عام 1957 توقفت السعودية عن اتباع سياسات مناهضة للاستعمار. لم تعد قضية البريمي موضوعا عاجلا رغم أنه كان لا يزال لم يتم حلها. وحتى في غياب العلاقات الرسمية كانت بريطانيا والسعودية تتحركان للتقارب مع بعضهما البعض.

كانت السمة الأكثر إزعاجا في وضع السعودية الخارجي عام 1962 هي الانحياز الأمريكي الملحوظ تجاه عبد الناصر. لم يتوقف الأمر عند عدم صدور أي رد فعل من الولايات المتحدة تجاه تحول مصر إلى دولة اشتراكية شبه شيوعية، لكنها كانت أيضا مستمرة في مساعدة عبد الناصر عسكريا، كما بدت غير عابئة بهجومه العنيف على النظام السعودي.

بالنسبة للحكام السعوديين كان هذا الموقف غير مفهوم وكان يمكن إرجاعه فقط إلى تفاهم سري استمر من خلاله عبد الناصر في الحصول على المساعدة الاقتصادية وحرية التصرف في العالم العربي مقابل التعهد بعدم مهاجمة إسرائيل والتمهيد بشكل تدريجي لتسوية إسرائيلية عربية. كانت الصداقة مع الولايات المتحدة دائما هي حجر الزاوية في السياسة الخارجية للسعودية، والآن شعر الحكام السعوديون بأنه قد تم التخلي عنهم وقت الحاجة، حيث أظهر "أصدقاؤهم" الأمريكيان الحياد أثناء مواجهة كانت تهدف إلى الإطاحة بهم. وربما كانت مناقشة هذا الموضوع مع المسؤولين الأمريكيين هي السبب في توجه الأمير فيصل إلى نيويورك في سبتمبر. ظاهريا كان هناك لرئاسة البعثة الدبلوماسية السعودية في الأمم المتحدة.

(1) انظر أعلاه ص 181.

(2) George A. Lipsky and others, Saudi Arabia, (New Haven: HRAF Press, 1959), p. 138.

(3) Gerald De Gaury, Faisal (London: Arthur Barker Limited, 1967), pp. 23-30.

(4) Michael Sheldon Cheney, Big Oilman From Arabia (London: Heinemann, 1958), p. 270.

(5) لمزيد من التفاصيل انظر

De Gaury, op., cit., pp. 103-109.

(6) H.B. Sharabi, Governments and Politics of the Middle East in the Twentieth Century (New Jersey: D. Van Nostrand Company, Inc., 1962), p. 234.

(7) لمزيد من التفاصيل حول مشكلة البريمي انظر

Lipsky and others, op., cit., pp. 139-140.

(8) Cheney, op., cit., p. 288.

(9) الأبحاث (مارس 1955)، ص 115.

(10) Sir Anthony Eden, Full Circle (London: Caswell, 1960), pp. 331-332.

(11) انظر أعلاه ص 184-187.

(12) حين دخل الملك عبد العزيز الحجاز كانت هناك قنصلية سوفيتية. كان الاتحاد السوفيتي أول دولة تعترف به كملك للحجاز. وفيما بعد أصبحت القنصلية مفوضية. وفي عام 1938 تم استدعاء الممثلين السوفيت وإغلاق المفوضية، ومنذ ذلك الوقت لم يكن هناك أي تمثيل دبلوماسي لأي دولة شيوعية.

(13) حين انتهت معاهدة طهران قاعدة طهران عام 1962 - بعد أن كان قد جرى تجديدها عام 1957 - لم يتم تجديدها مرة أخرى.

(14) Summary of World Broadcasts part 4 (London: B.B.C.) 5-9-1962, p.3.

الفصل الرابع عشر

التدخل السعودي: سرد

يسرد هذا الفصل التطورات المرتبطة بالتدخل السعودي وذلك اعتماداً على مصادر ملكية وسعودية في المقام الأول. وكما هو الحال في الفصل الثاني عشر فإن السرد يبدأ من يوم 27 سبتمبر وينتهي في يوم 7 نوفمبر.⁽¹⁾

27 سبتمبر

أعلن الحسن في نيويورك أنه سيتوجه إلى اليمن، وأصدر بياناً خاطب فيه الشعب اليمني قائلاً:

كونوا آمنين مطمئنين لأنني في طريقي إليكم. كذلك فإنني أطالب الزعماء القبليين والوجهاء بالاستعداد للقائنا في مكان سوف نخبرهم به عند وصولنا. كما أطلب من أولئك الذين حملوا السلاح ضد الملك أن يوقفوا أعمالهم العدائية. لقد سببتم ما يكفي من الفوضى. لو أنكم أوقفتم أعمالكم العدائية وتبتم فسوف نقابل خطاكم بالعفو وبرد يرضي الله.⁽²⁾

التقي الحسن مع الأمير فيصل. تجاهلت الصحافة والإذاعة في السعودية الثورة اليمنية تماماً.

28 سبتمبر

أرسل الملك سعود طائرة خاصة إلى الخرطوم لانتظار وصول الحسن وإحضاره إلى السعودية. أصدرت البعثة اليمنية في لندن بياناً قالت فيه أن التمرد لم يحظ بدعم شعبي وأن الحسن قد أصبح الآن هو الإمام الشرعي.⁽³⁾ وصل الحسن إلى لندن وقال أن التمرد قد قامت به

فقط مجموعة صغيرة من ضباط الجيش، وأعرب عن ثقته في أن الشعب اليمني سوف يسحق هذا التمرد.⁽⁴⁾ قال الحسن أنه لا توجد أنباء رسمية عن أن البدر قد قتل.⁽⁵⁾ التقى الحسن لاحقاً مع رئيس القسم العربي في مكتب الخارجية.⁽⁶⁾ قطع الأمير خالد شقيق الملك سعود رحلته إلى أوروبا وعاد إلى السعودية.⁽⁷⁾

29 سبتمبر

رفض منح الحسن تأشيرة لدخول السودان فطار إلى بيروت. ومن على متن الطائرة أرسل برقية إلى الرئيس عبد الناصر يطلب منه عدم التدخل في شئون اليمن الداخلية.⁽⁸⁾ وفي مطار بيروت قال الحسن أنه ينوي الذهاب إلى اليمن وتوحيد الشعب في حملة ضد الثوار.⁽⁹⁾ قالت إذاعة عمان⁽¹⁰⁾ أن "كل الأقاليم اليمنية- كل الشيوخ والعلماء والضباط والرجال - يدعمون الإمام الحسن".⁽¹¹⁾

30 سبتمبر

وصل الحسن إلى جدة واستقبله أفراد من الأسرة المالكة اعترفوا به إماماً. ثم طار إلى الرياض والتقى بالملك سعود حيث أكد له دعم المملكة العربية السعودية. وقالت صحيفة البلاد أن عبد الناصر وخروشوف - الشيوعيين العالميين - سارعا بالترحيب بالتمرد في اليمن رغم فشل المتمردين.⁽¹²⁾

1 أكتوبر

أبلغ عبد الرحمن البيضاني - نائب وزير الخارجية في حكومة الجمهورية اليمنية - القائم بالأعمال السعودي استياء حكومة اليمن من موقف حكومته تجاه الثورة اليمنية. طلب البيضاني من القائم بالأعمال التوجه إلى السعودية ونقل رسالة شفوية لحكومته بهذا الشأن. أمر البيضاني بغلق البعثة اليمنية في السعودية حتى يتم النظر في العلاقات بين البلدين.⁽¹³⁾ وفيما بعد قال البيضاني في خطاب:

كنا متشوقين لمقابلة أسرة حميد الدين، وكنا متشوقين لمقابلة سعود وأبناء سعود. لقد اتخذنا كل الإجراءات لنقل المعركة إلى الأراضي السعودية وإلى الرياض ذاتها إذا لزم الأمر. هذا ليس للاستهلاك المحلي ولا للدعاية. باسم حكومة جمهورية اليمن وباسم الشعب اليمني أعلن قبول التحدي السعودي. نحن في انتظار أن يبدأ.⁽¹⁴⁾

انتقل الحسن بصحبة أفراد آخرين من الأسرة المالكة اليمنية إلى نجران بالقرب من الحدود اليمنية، حيث تم إمداده بالمال والسلاح.⁽¹⁵⁾

2 أكتوبر

عبر الحسن وأفراد آخرين من الأسرة المالكة اليمنية الحدود من نجران إلى داخل اليمن. تلقى السلال برقية من الأمير طلال وشقيقه بدر وفواز.⁽¹⁶⁾

3 أكتوبر

امتدح الأمير طلال الطيارين السعوديين الذين فروا إلى مصر وقال: "نحن نتوقع الكثير من هذه التصرفات في الأيام القليلة القادمة".⁽¹⁷⁾ ذكر بيان رسمي سعودي أن الطائرة التي هبطت في مصر كانت تحمل "إمدادات عسكرية عادية" إلى الحامية الموجودة على الحدود السعودية الجنوبية. وقال البيان أن "المخابرات المصرية كانت قد اتصلت بقائد الطائرة وقامت بإغوائه للتورط في هذه الخيانة لشرفه العسكري ولتعاليم دينه".⁽¹⁸⁾ وأضاف البيان: أرادت القاهرة أن تستخدم هذه المؤامرة التي دبرتها بالتعاون مع الطيار لكي تعطي الانطباع بأن الحكومة السعودية تتدخل في شئون اليمن الشقيق من أجل تبرير العمل الإجرامي الذي تقوم به القاهرة الآن ضد الشعب اليمني.⁽¹⁹⁾

4 أكتوبر

أرسلت وزارة الخارجية السعودية إلى السفارة المصرية مذكرة احتجاج شديد على منح الجمهورية العربية المتحدة اللجوء للطيارين السعوديين "وهو مؤشر واضح على تدخل سافر في الشأن الداخلي لحكومة المملكة العربية السعودية"، وطلبت وزارة الخارجية عودة الطائرة وطاقتها فوراً.⁽²⁰⁾ وتعليقاً على هبوط طائرة سعودية ثانية في القاهرة قال بيان رسمي أن هذا "استمرار لمخططات صغيرة" بإغواء الخونة للتخلي عن مهمتهم المقدسة لحماية وطنهم.⁽²¹⁾

5 أكتوبر

قالت الإذاعة الملكية⁽²²⁾ أنه سيتم تشكيل حكومة تقدمية وأن "أبناء الشعب" سيشاركون فيها.⁽²³⁾ وصلت إلى صنعاء الأسلحة التي كانت على متن الطائرة السعودية التي هبطت في مصر.⁽²⁴⁾

6 أكتوبر

أعادت السفارة المصرية مذكرة الاحتجاج السعودية.⁽²⁵⁾ أنكر بيان لوزارة الدفاع طلب الضباط السعوديين اللجوء في اليمن.⁽²⁶⁾ استعرض الرئيس كيندي الوضع اليمني مع الأمير فيصل. "يعتقد أن الأمير قدم حجة قوية ضد الاعتراف الفوري بالمتمردين على أن أساس أن نتيجة الصراع لا تزال محل شك".⁽²⁷⁾

7 أكتوبر

قال بيان رسمي أنه

لم تكن هناك ولن تكن هناك أبدا أي مناوشات على الحدود اليمنية
السعودية، ولم يكن هناك ولن يكون هناك أبدا أي قتال أو تسلل... لا
توجد قوات سعودية على الحدود باستثناء الحاميات السعودية
العادية. (28)

وصل القائم بالأعمال السعودي في اليمن إلي السعودية وأكد أن البدر لم يقتل لكنه هرب.

8 أكتوبر

أرسل الملك سعود أحد مستشاريه ومعه أحمد الشامي للقاء الحسن على الحدود
السعودية – اليمنية ونقل تمنيات الملك له بالألا يحدث أي نزاع على الإمامة الآن بعد أن أصبح
معروفا أن البدر على قيد الحياة. قال الحسن أنه حين يظهر البدر سيعترف به إماما بدون
تردد. (29) وتعليقا على هبوط طائرتين سعوديتين جديتين في مصر قال بيان رسمي: "كل ما
حدث يثبت ما قلناه في بياناتنا السابقة عن المخابرات المصرية وأساليبها المختلفة لإغراء
ضعاف النفوس والخونة". (30)

9 أكتوبر

في عمان قال أحمد الشامي وزير الخارجية في حكومة الملكيين أن قوات الملكيين قد
احتلت "معظم اليمن". (31) قالت إذاعة صنعاء أن الالتباس والخوف قد انتشرا في القصور
الملكية السعودية منذ إعلان الجمهورية. (32) أعلنت إذاعة مكة أن الملك سعود قد تلقى برقيتين
من المواطنين الذين يقدمون له الدعم والولاء ويدعون بأقوى العبارات التصرفات الخائنة
للطيارين السعوديين الذين هبطوا في القاهرة. (33)

10 أكتوبر

تخلّى طلال عن لقب الأمير. وفي حديث لإذاعة القاهرة قال أن تصرفات الملك سعود
دعما للملكيين كانت "تجعل نهايته قريبة". (34) أعلنت إذاعة مكة انتهاء الصمت الذي التزمت به
بشأن التطورات في اليمن:

لقد سعينا لعدم التدخل في الأحداث التي تجري بين أشقائنا
وجيراننا... لكن التطورات والصدام بين الحق والزيغ وتدخل
الإذاعات المصرية بهدف التحريض على التفرقة بين طوائف الشعب
اليمني قد أعطانا الحق في أن ننقل للعالم العربي الحقيقة التي جمعناها
بشأن الأحداث في دولة اليمن الشقيقة من خلال المعلومات التي
تصلنا. (35)

قال البيضاني أن السلطات السعودية قد حشدت قواتها على الحدود اليمنية وبدأت في تهريب الأسلحة إلى اليمن، وهو أمر يرقى إلى العدوان ضد الجمهورية اليمنية. وأضاف: "هذا الوضع يجبر الحكومة اليمنية أن تعتبر نفسها في حالة حرب مع السعودية".⁽³⁶⁾ وصل وفد أردني إلى الرياض لمناقشة تنفيذ الاتفاقية التي تم توقيعها بين البلدين في أغسطس.⁽³⁷⁾

11 أكتوبر

قالت إذاعة مكة أن "قوات صاحب الجلالة الإمام تواصل تقدمها" في إب وصعدة.⁽³⁸⁾ تم تسليم مذكرتين للاحتجاج على التصرف المصري الخاص بمنح اللجوء للطيارين المنشقين والمطالبة بعودة الطيارين والطائرات إلى السفارة المصرية.⁽³⁹⁾

12 أكتوبر

قالت إذاعة مكة أن

التمرد في اليمن ليس حركة قومية ولا هو ثورة شعب مثلما تزعم الأبواق المسعورة. إنه تدخل أجنبي في شئون شعب حر وبرئ يحكمه إمام شرعي اختاره الشعب بالإجماع. وقد اعتمد المجرمون الذين يتدخلون في شئون اليمن على مساعدة بعض المنشقين من أجل التغطية على تدخلهم.⁽⁴⁰⁾

نفت الإذاعة التسلل السعودي وتهريب الأسلحة إلى اليمن.⁽⁴¹⁾ قال البيضاني: "ليعلم سعود أن حكومة الثورة سوف تدمر قصر سعود نفسه لو قام بتحريك جندي واحد ضد اليمن".⁽⁴²⁾ قررت الخطوط الجوية السعودية وقف كل رحلاتها إلى القاهرة.⁽⁴³⁾

13 أكتوبر

قال بيان رسمي أن السلطات السعودية قد رصدت في الأيام القليلة الماضية طائرات مجهولة الهوية تطير على ارتفاع شاهق فوق الأراضي اليمنية، وحذرت من أنه غير مسموح لجميع الطائرات الأجنبية الطيران فوق الأراضي السعودية بدون الحصول على إذن مسبق.⁽⁴⁴⁾ نفت إذاعة مكة مشاركة قوات سعودية في القتال في اليمن.⁽⁴⁵⁾

14 أكتوبر

ذكرت إذاعة مكة أن قوات الملكيين كانت تتقدم نحو صنعاء.⁽⁴⁶⁾ وقالت الإذاعة أن المصريين الذين تم إرسالهم إلى اليمن كانوا "ناصرين شيوعيين ليس لديهم احترام للدين كما أنهم يجهلون عادات وتقاليد الشعب اليمني".⁽⁴⁷⁾ أعادت السفارة المصرية مذكرات الاحتجاج السعودية.⁽⁴⁸⁾

15 أكتوبر

عبر الإمام محمد البدر الحدود ووصل إلى جيزان.⁽⁴⁹⁾ وفي رسالة إلى الملك حسين قال البدر أن خطة الثورة اليمنية قد تم وضعها في القاهرة.⁽⁵⁰⁾

16 أكتوبر

تلقي الملك سعود رسالة من البدر قال فيها البدر أن الرئيس عبد الناصر ومنذ أول يوم للثورة "دعم الحركة بإرسال طائراته المحملة بالأسلحة والإمدادات إلى صنعاء".⁽⁵¹⁾ نفت إذاعة مكة تقريراً بشأن وجود البدر في السعودية.⁽⁵²⁾

17 أكتوبر

أقال الملك سعود الحكومة وطلب من الأمير فيصل تشكيل حكومة جديدة.⁽⁵³⁾ قبل ذلك بعدة أيام احتج ستة وزراء إلى الملك بسبب تدخل السعودية إلى جانب الملكيين وطالبوا بإنهاء هذا التدخل. أعلن البدر عن تشكيل حكومة جديدة برئاسة الحسن.⁽⁵⁴⁾ أصدر الحسن بياناً اعترف فيه بالبدر إماماً.⁽⁵⁵⁾ وتعليقاً على التغيير في الحكومة السعودية قال طلال إنها كانت "محاولة للإبقاء على نظام منهار".⁽⁵⁶⁾

18 أكتوبر

نفت إذاعة مكة وقوع أي اشتباكات بين القوات السعودية و"المتحركة" في الجوف.⁽⁵⁷⁾ وقالت الإذاعة الملكية أن قوات الملكيين تواصل تقدمها على كل الجبهات.⁽⁵⁸⁾

19 أكتوبر

قالت إذاعة القاهرة أن زعماء القبائل في صعدة طالبوا الحكومة اليمنية باستعادة كل المناطق اليمنية التي كانت تحت السيطرة السعودية.⁽⁵⁹⁾

20 أكتوبر

نفى رئيس وزراء الأردن وجود أي قوات أردنية في اليمن.⁽⁶⁰⁾ قالت إذاعة مكة أن القبائل اليمنية "لن تسمح بأن يصبح اليمن الإسلامي دولة شيوعية".⁽⁶¹⁾ قال البدر "أنه يتم تجهيز الجيش الشعبي والنظامي للزحف المقدس باتجاه معقل الخيانة والعدوان".⁽⁶²⁾

21 أكتوبر

قال طلال أنه يتوقع ألا يتدخل فيصل في اليمن.⁽⁶³⁾

22 أكتوبر

قال الأمير فيصل في نيويورك أن سياسة السعودية تتماشى مع إيمانها بأن البدر هو حاكم اليمن الشرعي.⁽⁶⁴⁾ وقالت إذاعة مكة أن "المصريين الجرحى والمذعورين يملأون ساحة المعركة في مأرب".⁽⁶⁵⁾

23 أكتوبر

عقد الأمير فيصل مؤتمرا صحفيا في بيروت. وحين سئل عما إذا كانت السعودية سوف تساعد البدر أجاب فيصل:

يجب أن نعرف المساعدة أولا. يجب أن أشير في البداية إلى أن موقفنا تجاه حكومة البدر هو دعم الشرعية. وبالنسبة للمساعدة فهي تعتمد على طلب البدر وعلى طبيعة المساعدة.⁽⁶⁶⁾

وأضاف الأمير: "أود أن أذكر أننا نأمل ألا يتدخل أحد في الشأن الداخلي اليمني؛ أعنى أنه ينبغي أن تمنح الحرية لليمنيين لتحديد مستقبلهم بأنفسهم".⁽⁶⁷⁾ وحين سئل عن فرار الطيارين السعوديين إلى مصر. قال الأمير: "طيارون بلا قيمة أخذوا طائرة أو طائرتين وفروا بها. ماذا بعد؟ هذا يحدث في كل دولة وفي كل مكان".⁽⁶⁸⁾ أعلن طلال في القاهرة عن ميثاق جبهة التحرير الوطنية، وقال أن الجبهة سوف تناضل لإقامة حكومة وطنية ديمقراطية وستترك للشعب حرية اختيار نوع الحكومة التي يفضلونها.⁽⁶⁹⁾

24 أكتوبر

قال بدر شقيق طلال في القاهرة أن النظام السعودي كان "غارقا في التخلف والرجعية والاستبداد".⁽⁷⁰⁾

25 أكتوبر

وصل الأمير فيصل إلى الرياض ومضى على الفور في تشكيل الحكومة الجديدة. نفت إذاعة مكة تقريراً عن إذاعة صنعاء بشأن وفاة البدر.⁽⁷¹⁾

26 أكتوبر

تحدثت صحيفة الحياة نقلاً عن مصادر ملكية عن تقدم جديد للملكيين في سرورة.⁽⁷²⁾ وقال بيان ملكي أن "معنويات القبائل مرتفعة جداً وهم يقاتلون ضد الجمهورية الاشتراكية الشيوعية".⁽⁷³⁾

27 أكتوبر

بثت إذاعة مكة تسجيلاً لخطاب ألقاه البدر عبر الإذاعة الملكية أكد فيه لليمنيين أنه معهم "قلبا وقالبا".⁽⁷⁴⁾ ونفت الإذاعة لجوء عدد من الضباط السعوديون إلى صنعاء.⁽⁷⁵⁾ تحدثت الإذاعة الملكية عن حالات انضمام إلى صفوف قوات الإمام.⁽⁷⁶⁾

28 أكتوبر

ذكرت مصادر ملكية أن القتال كان يدور على عدة جهات من ضمنها سرورة.⁽⁷⁷⁾

29 أكتوبر

قالت إذاعة مكة أن هناك "صراعا عنيفا خلف الكواليس" بين عبد الناصر وقادة مصريين آخرين بشأن الوضع الحرج الذي وضع عبد الناصر نفسه فيه من خلال تدخله في اليمن. وقالت الإذاعة أن عامر قد أرسل إلى اليمن "ليرى ما يمكن عمله لسحب القوات المصرية، أو على الأقل لإبقائها بعيدا عن القتال".⁽⁷⁸⁾

30 أكتوبر

أصدرت حكومة الملكيين بيانا بشأن السياسات يعد بإصلاحات في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.⁽⁷⁹⁾ قال البيضاني في صنعاء:

سعدنا بصد العدوان السعودي وسحق القوات السعودية داخل الأراضي اليمنية. لكن لو استمر العدوان فسوف نكون مضطرين لنقل المعركة إلى داخل الأراضي السعودية بما يتفق مع الحق القانوني في الدفاع عن النفس. لذلك فإن حكومتكم تعلن الآن أنه يجب على كل القيادات العسكرية في مختلف الأقاليم اليمنية أن تجهز على الفور قوات الحرس الوطني لأقصى درجة لكي تكون في حالة تأهب واستعداد للتحرك الفوري نحو الحدود السعودية إذا لزم الأمر، تمهيدا لبدء الجهاد والتصدي للغزاة المعتدين.⁽⁸⁰⁾

31 أكتوبر

تم تشكيل الحكومة السعودية الجديدة.⁽⁸¹⁾ نقلت إذاعة مكة عن الإذاعة الملكية أسماء حوالي 180 من ممن قالت أنهم مظلئون مصريون قتلوا في سررة ومأرب.⁽⁸²⁾ قال السلال: أن عدونا هو سعود المستبد الكافر الفاجر... لو كان سعود مغرورا ومستمر في عدوانه ضد بلادنا فسوف نشن معركة حاسمة ونشعل حربا مدمرة.⁽⁸³⁾

أصدرت حكومة الملكيين بيانا تحت الشعب المصري على الانتفاض ضد عبد الناصر لمنعه من القيام بأعمال العصابات في اليمن والتسبب في موت المصريين على يد الأبطال اليمنيين.⁽⁸⁴⁾ قال بيان رسمي حكومي عن المحادثات التي عقدت في الرياض بين الوفدين الأردني والسعودي بشأن تطبيق اتفاقية الطائف أن الجانبين ناقشا المسائل الاقتصادية والعسكرية والإدارية والثقافية المختلفة المتعلقة بالاتفاقية.⁽⁸⁵⁾

1 نوفمبر

ذكر البيضاني أن القوات السعودية قد هاجمت "الليلة الماضية" الحدود اليمنية الشمالية في منطقة حرض. وقال أن القوات اليمنية ألحقت خسائر فادحة بالقوات السعودية.⁽⁸⁶⁾ وتحدثت إذاعة مكة نقلا عن الإذاعة الملكية عن قتال عنيف في حرض.⁽⁸⁷⁾

2 نوفمبر

قال البيضاني:

... لقد أمرنا قواتنا المقاتلة بالتحرك إلى الشمال كما أمرنا أسطولنا بالتحرك من الحديدة نحو القسم الشمالي من شواطئ اليمن بحيث يمكن لقواتنا أن تكون جاهزة ومستعدة لدخول الأراضي السعودية بمجرد صدور الأوامر بذلك – حين نقرر نقل المعركة إلى داخل الأراضي السعودية.⁽⁸⁸⁾

وقال السلال أن الملك سعود "سوف يكتشف أن المعركة الحاسمة مع السعودية ستدور في الرياض".⁽⁸⁹⁾

3 نوفمبر

قال بيان رسمي أنه في 2 نوفمبر شنت طائرات الجمهورية العربية المتحدة التي تعمل مع المتمردين "خمس غارات على الحدود السعودية" محدثة خسائر في صفوف النساء والأطفال والمسنين المسالمين العزل". وقال البيان أن تلك الغارات هي "أعمال عدوانية بربرية من جانب حكومة الجمهورية العربية المتحدة ضد سكان وممتلكات المملكة العربية السعودية". وفي الختام قال البيان:

بينما تعرب حكومة المملكة العربية السعودية عن احتجاجها الشديد على هذه الأعمال العدوانية فإنها تعتبر حكومة الجمهورية العربية المتحدة مسئولة عن جميع عواقب تلك العمال، وتحتفظ لنفسها بحق اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لصد هذا العدوان السافر، والقيام بكل ما يلزم من جهود في هذا الصدد.⁽⁹⁰⁾

نفت إذاعة مكة تقارير عن وجود جنود سعوديين في حرض، وقالت أنه ليس لحكومة السعودية أي ضباط أو جنود في اليمن.⁽⁹¹⁾

4 نوفمبر

بثت إذاعة مكة بيانا للملكيين يقول أن قوات الإمام قد استولت على كل "الأودية والقرى والعربات والدبابات والأسلحة في حرض".⁽⁹²⁾ ونقلت إذاعة مكة عن الإذاعة الملكية أن

قوات البدر كانت تشد حصارها حول صنعاء، وأن كل الطرق والممرات بين صنعاء وصعدة كانت في أيديها.⁽⁹³⁾ قال السلال:

أصدر المجلس الأعلى أوامره بأن تدخل قواتنا نجران وجيزان لاستعادة الأراضي اليمنية المغتصبة لو لم يبق سعود ملك النساء والعشيقات في مكانه.⁽⁹⁴⁾

5 نوفمبر

قال بيان للملكيين أن قلعة سروة قد سقطت بعد عدة أيام من القتال الشرس الذي تم فيه القضاء على "المظليين المصريين".⁽⁹⁵⁾

6 نوفمبر

ذكر بيان رسمي أنه في يوم 5 نوفمبر قصفت طائرة مصرية وثلاث وحدات بحرية مصرية قريتين على الحدود السعودية "وبهذا شنت عدوانا على الأراضي والمياه السعودية وأحدثت أضرارا كبيرا لهاتين القريتين وسكانهما".⁽⁹⁶⁾ أبلغ وكيل وزارة الخارجية القائم بالأعمال المصري أنه بسبب العدوان المسلح السافر المستمر من جانب الجمهورية العربية المتحدة فإن الحكومة السعودية قد قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة.⁽⁹⁷⁾ وقال متحدث باسم وزارة الخارجية:

...تعرضت المملكة العربية السعودية بشكل مؤسف لمدة طويلة لحملات منحازة وظالمة يغلب عليها الحقد والضغينة وتحركها رغبة حكومة القاهرة التي تضاعف حقدتها في السيطرة وبث بذور الفرقة. وصلت خيانتها إلى حد أنها بدأت ومازالت مستمرة في غارات جوية عدوانية على الأراضي السعودية. وبهذه الأنشطة العدوانية تجاهلت حكومة القاهرة كل روابط الدم والدين واللغة والجوار، بالإضافة إلى انتهاكها لكل عرف وقانون وتحالف دولي. بل إنها حتى قد انتهكت أبسط مبادئ الإنسانية من خلال قتل الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء المسالمين. تم استتفاذ كل أمل في التفاهم. وهكذا فقد اضطرت المملكة العربية السعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة القاهرة.⁽⁹⁸⁾

أعلن الأمير فيصل عن برنامج لإصلاحات بعيدة المدى.⁽⁹⁹⁾

7 نوفمبر⁽¹⁰⁰⁾

قال البيضاني: "لقد تم قطع علاقاتنا مع السعودية منذ أن قمنا بطرد القائم بالأعمال السعودي في اليمن حين وقع العدوان السعودي ضدنا".⁽¹⁰¹⁾ قال الملك سعود للصحفيين في الرياض:

أنا أؤكد لكم أن كل الشعب والقبائل اليمنية تلتف حول صاحب الجلالة الإمام. كل القبائل هناك تزحف نحو صنعاء وطليلة القوات الزاحفة هي على بعد خمسة وثلاثين ميلا من العاصمة صنعاء. لولا تدخل الطيران المصري الذي قصف السكان المسالمين لكان تم تطهير صنعاء من المتمردين.⁽¹⁰²⁾

وأضاف الملك سعود:

لقد سمعتم بالعدوان الذي قامت به الطائرات والوحدات البحرية المصرية ضد بعض قرانا على الحدود. على أي حال نحن نتخذ إجراءاتنا لحماية بلادنا وأمن أراضينا.⁽¹⁰³⁾

(1) انظر أعلاه ص 212.

(2) The Times, September 28, 1962.

(3) The Daily Telegram, September 29, 1962.

(4) The Guardian, September 28, 1962.

(5) The Times, September 29, 1962.

(6) The Guardian, September 29, 1962.

(7) الأهرام، 29 سبتمبر 1962، ص 11.

(8) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969. كان الشامي هو الوزير اليمني في لندن في ذلك الوقت، وكان مع الحسن على متن الطائرة.

- (9) الحياة، 30 سبتمبر 1962، ص 1.
- (10) خلال الفترة التي تجاهلت فيها إذاعة مكة الثورة كانت إذاعة عمان تقدم رواية الملكيين عن التطورات في اليمن.
- (11) Summary of World Broadcasts part 4 (London: B.B.C.) (Hereafter SWB), 2-10-1962, p.7.
- (12) البلاد، 30 سبتمبر 1962، ص 1.
- (13) SWB, 3-10-1962, p.1.
- (14) Ibid., p. 3.
- (15) كان أول مبلغ حصل عليه الحسن هو 4 آلاف جنيه ذهب (حوالي 20 ألف جنيه إسترليني). في تلك المرحلة المبكرة لم يكن يتم تقديم الأسلحة الثقيلة؛ حصل الحسن على عدة آلاف من البنادق.
- (16) SWB, 4-10-1962, p.1.
- (17) SWB, 5-10-1962, p.5.
- (18) Ibid., p. 6.
- (19) أم القرى، 5 أكتوبر 1962، ص 1.
- (20) أم القرى، 12 أكتوبر 1962، ص 1.
- (21) نفس المصدر.
- (22) كانت هذه الإذاعة تبث باسم مملكة اليمن المتوكلية، وقد منحها السعودية للملكيين وكانت تقع قرب الحدود اليمنية.
- (23) SWB, 8-10-1962, p.3.
- (24) Ibid.
- (25) أم القرى، 12 أكتوبر 1962، ص 1.
- (26) SWB, 9-10-1962, p.6.
- (27) New York Times, October 7, 1962.
- (28) البلاد، 7 أكتوبر 1962، ص 1.
- (29) أحمد محمد الشامي، مقابلة، لندن، 4-3-1969.
- (30) SWB, 10-10-1962, p.8.
- (31) SWB, 11-10-1962, p.5.
- (32) Ibid., p. 7.

(33) Ibid., p. 9.

(34) SWB, 12-10-1962, p.1.

(35) Ibid., p. 2.

(36) SWB, 12-10-1962, p.8.

(37) الحياة، 11 أكتوبر 1962، ص 2. انظر أعلاه ص 275.

(38) SWB, 13-10-1962, p.3.

(39) أم القرى، 19 أكتوبر 1962، ص 2.

(40) SWB, 15-10-1962, p.5.

(41) SWB, 13-10-1962, p.6.

(42) SWB, 15-10-1962, p.3.

(43) البلاد، 12 أكتوبر 1962، ص 1.

(44) SWB, 16-10-1962, pp.2-3.

(45) البلاد، 14 أكتوبر 1962، ص 1.

(46) SWB, 16-10-1962, p.5.

(47) Ibid.

(48) Ibid., p.2.

(49) بعد أن فر البدر من صنعاء توجه نحو الحجاز وكان يقوم بحشد الدعم القبلي أثناء تحركه. وبعد فشله في الاستيلاء على حجة التي كانت في يد الجمهوريين تقدم البدر نحو الحدود السعودية. لمزيد من التفاصيل حول أنشطة البدر منذ وقت مغادرته صنعاء انظر

Scott Gibbons, The Conspirators (London: Howard Baker, 1967), pp. 19-24.

Dana Adams Schmidt, Yemen: The Unknown War (London: The Bodely Head, 1968), pp. 31-35.

(50) SWB, 17-10-1962, p.4.

(51) البلاد، 17 أكتوبر 1962، ص 1.

(52) SWB, 18-10-1962, p.2.

(53) البلاد، 18 أكتوبر 1962، ص 1.

(54) SWB, 16-10-1962, p.5.

(55) البلاد، 18 أكتوبر 1962، ص 3.

- (56) SWB, 19-10-1962.
(57) SWB, 20-10-1962, p.5.
(58) SWB, 22-10-1962, p.3.
(59) Ibid.
(60) SWB, 23-10-1962, p.2.
(61) Ibid., p.10.
(62) Ibid., p.3.
(63) Ibid., p.12.

(64) البلاد، 23 أكتوبر 1962، ص 1.

- (65) SWB, 24-10-1962, p.5.

(66) الحياة، 24 أكتوبر 1962، ص 4.

(67) نفس المصدر.

(68) نفس المصدر.

- (69) SWB, 25-10-1962, p.4.
(70) SWB, 6-11-1962, p.1.
(71) SWB, 25-10-1962, p.6.

(72) الحياة، 26 أكتوبر 1962، ص 1.

(73) نفس المصدر.

- (74) SWB, 30-10-1962, p.1.
(75) Ibid., p.4.
(76) Ibid., p.3.

(77) الحياة، 28 أكتوبر 1962، ص 1.

- (78) SWB, 31-10-1962, p.4.
(79) SWB, 1-11-1962, p.1.
(80) Ibid., p.4.
(81) Ibid., p.7.
(82) Ibid., p.5.
(83) SWB, 2-11-1962, p.6.
(84) Ibid., p 7

(85) Ibid.

(86) SWB, 3-11-1962, p.2.

(87) Ibid., p.4.

(88) SWB, 5-11-1962, p.1.

(89) Ibid., p.2.

(90) Ibid.

(91) Ibid.

(92) SWB, 6-11-1962, p.10.

(93) Ibid.

(94) Ibid., p.11.

(95) SWB, 7-11-1962, p.3.

(96) SWB, 8-11-1962, p.7.

(97) Ibid., p.6.

(98) Ibid.

(99) من بين أمور أخرى ألغى البرنامج المكون من 10 نقاط العبودية ووعد بإدخال قانون أساسي (دستور) لإصلاح النظام القضائي وكبح جماح الشرطة الدينية. لمزيد من التفاصيل انظر المملكة العربية السعودية، الأمير فيصل يتحدث (وزارة الإعلام، 1963)، ص 7-11.

(100) بحلول يوم 7 نوفمبر كانت السعودية قد أنفقت ما يقدر 25 مليون ريال (حوالي 2 مليون جنيه إسترليني) في شكل منح مباشرة وأسلحة قدمت إلى الملكيين.

(101) SWB, 9-11-1962, p.7.

(102) أم القرى، 9 نوفمبر 1962.

(103) نفس المرجع.

الفصل الخامس عشر

التدخل السعودي: تحليل

يناقش هذا الفصل طلب الملكيين للمساعدة ثم يتناول بالتحليل الاستجابة السعودية.

طلب الملكيين للمساعدة

بمجرد أن سمع الحسن بالثورة قرر مقاومتها. في ذلك الوقت كان يصدق التقارير بشأن وفاة البدر فاعتبر نفسه الإمام الجديد. لم تراوده الشكوك في أنه يستطيع سحق الثورة. وكان من الطبيعي أن يرحب بالمساعدات الخارجية، وكان يأمل أن تساعد كلاً من السعودية وبريطانيا .

في ثورتي 1948 و 1955 وقفت السعودية مع الشرعية في اليمن. وهذه المرة، ومع تبني النظام السعودي دوراً مناهضاً للاشتراكية وكون المواجهة مع مصر في أوجهها لم يكن هناك شك في أن السعودية ستقدم الدعم إلى الملكيين. لكن الحسن – وهو زيدي متعصب – كان ينظر إلى حكام السعودية الوهابيين بنفور، وكانت الضرورة فقط هي ما دفعته إلى السعي للحصول على مساعدتهم.

كان لقاء الحسن مع الأمير فيصل مخيباً للآمال. أخبره فيصل أنه يعتبر ما يحدث في اليمن شأنًا داخلياً لن تتدخل السعودية فيه، بل وحتى طلب من الحسن عدم دخول اليمن عبر الأراضي السعودية.⁽¹⁾ كان ما قدمه فيصل هو تعاطف وليس مساعدة.

وحين وصل إلى لندن كانت خطته هي أن يذهب إلى عدن ومن هناك يعبر إلى اليمن، لكنه سرعان ما اكتشف أن البريطانيين لم يكونوا يرغبون أن تكون المحميات نقطة انطلاق لعمليات الملكيين. فرغم أن البريطانيين كانوا متعاطفين معه إلا أنهم كانوا ملتزمين رسمياً بسياسة الحياد، ولم يكونوا مستعدين للتدخل لصالح الملكيين. كان التطور الإيجابي هو مبادرة الملك سعود بإرسال طائرة لانتظاره في الخرطوم . كان من الواضح أن رغبة فيصل في عدم التدخل تمثل رأي الأمير أكثر من كونها تمثل السياسة السعودية. مع رفض البريطانيين تقديم دعم نشط كانت المساعدة السعودية ضرورية، لذلك غير الحسن خطته السابقة وتوجه إلى السعودية.

الاستجابة السعودية⁽²⁾

الرؤية

رأى الملك سعود في الثورة اليمنية تمرداً بقيادة مصرية من شأنه أن يمنح مصر موضع قدم في شبه الجزيرة العربية ويشجع على التخريب. لم يكن لدى الملك أدنى شك في أن الرئيس عبد الناصر هو من خطط للتمرد وحرّض عليه. كان عبد الناصر يفعل ما في وسعه لتدمير الأنظمة الملكية علناً عن طريق الحملات الدعائية العنيفة وسراً عن طريق شبكات المخابرات. كان الملك مقتنعاً بأن التمرد في اليمن تم الترتيب له بواسطة المخابرات المصرية: كان يمنياً بالاسم فقط. في هذه المرحلة تجاهل الملك سعود تماماً احتمال أن الثورة قد تكون يمنية حقاً.

كان ما حدث في اليمن هو تمرد - تحدي مجموعة من الضباط لقادتهم الشرعيين. بحسب فكر الملك لم تكن الثورة مبررة أبدا. كان من المحتم أن تؤدي إلى انهيار القانون والنظام وأن تتبع منها حكومة أسوأ من الحكومة التي قضت عليها. لم يكن هناك مبرر لهذا التمرد في اليمن. كان سعود يدرك أن حكم الإمام أحمد كان قاسيا وتقليديا للغاية. لكن بعد أن انتهى هذا الحكم الآن فإن البدر كان قد قام بالفعل بإصلاحات وهامة، وكان المزيد في الطريق. لو كان الضباط الذين قاموا بالتمرد مهتمين حقا بالإصلاحات لكان عليهم دعم الإمام ومساعدته في تنفيذ تلك الإصلاحات. لكنهم بدلا من ذلك قتلوه غدرا وأعلنوا الجمهورية.

كانت الثورة كلمة أعظم من أن تطبق على تصرفات عملاء عبد الناصر السريين في اليمن. لم تكن القبائل ولا العلماء ولا أي شخص ذكي حقا ليويد التمرد. لكن هؤلاء تم غسل مخهم بواسطة الدعاية الناصرية. لم يكونوا يملكون أي قوة أو مكانة حقيقية، وبالتالي يمكن إزاحتهم. غالبية الشعب اليمني - أولئك الذين يفهمون - سوف يعارضون حتما هذه المؤامرة. وهكذا تجاهل الملك سعود الدعم الحقيقي الذي حظيت به الثورة في المدن وفي المناطق الشافعية. كان يعتبر الثورة مجرد تمرد بلا أي دعم شعبي حقيقي يسانده.

كان الملك يخشى أن يكون التمرد في اليمن مجرد الخطوة الأولى في مخطط ناصري. سوف تكون حكومة الثوار في اليمن تابعة لعبد الناصر، والذي حسب نواياه وأغراضه، سيكون الحاكم الحقيقي لليمن. وحين يكون عبد الناصر آمنا في قاعدته اليمنية فسوف يركز على السعودية بهدف تدمير النظام السعودي واستبداله بحكومة صورية. وفي النهاية سوف تقع شبه الجزيرة العربية بأكملها - بما فيها آبار البترول - في يديه. كان سعود يشك في أن الطمع في البترول هو ما كان يحرك عبد الناصر. ربما يتحدث عن القومية والوحدة والشعارات المضللة الأخرى، لكن البترول هو ما كان يسعى وراءه.

لم يكن التمرد فقط يمنح عبد الناصر قاعدة في شبه الجزيرة العربية لكنه كان سيشجع على القيام بحركات تمرد مشابهة. لم يكن الملك يعتقد بوجود خطر لتمرد وشيك في بلاده، لكن التمرد في اليمن كان سابقة خطيرة للغاية. لو سمح له بالنجاح فسوف يشجع الثوار في كل مكان. لو أمكن للثورة أن تحدث في اليمن - أكثر البلاد العربية تقليدية وتخلفا - فلم لا تحدث في السعودية؟ لا يجب أن يسمح للجمهورية بدخول شبه الجزيرة العربية بدون مقاومة.

في الأيام التي تلت الثورة بدا أن آراء الملك سعود قد ثبتت صحتها. أوحى الترحيب الحماسي بالثورة في وسائل الإعلام المصرية بتواطؤ مصري. جاء الاعتراف بالجمهورية بعد يومين فقط من التمرد. لم يكن بإمكان عبد الناصر حتى ينتظر حتى يصبح عملاؤه مسيطرين على كل الأوضاع.

التصنيف والذاكرة

صنف الملك سعود الثورة باعتبارها خطرا على السعودية. استحضرت الثورة ذكريات الارتباط باليمن في الماضي، وكذلك "العدوان المصري". في ثورتي 1948 و1955 دعمت السعودية الشرعية في اليمن، وفي المرتين فاز الطرف الذي كانت السعودية تدعمه. هذه المرة هناك أسباب أكثر تدعو إلى دعم الحكومة الشرعية. فبعكس المرتين السابقتين تم إعلان جمهورية، وكانت مصر تقف علانية وبشكل استفزازي مع التمرد. جعل هذان العاملان التمرد الحالي خطرا أكبر من سابقه. كان الملك واثقا أن الإمام الشرعي سيخرج منتصرا مرة أخرى. كان ينظر إلى الثورة باعتبارها مؤامرة مصرية مما جعلها تستحضر الذكريات الخاصة بمحاولات مصر تقويض نظام الحكم السعودي. اعتبر الملك سعود أن بلاده قد حاولت دائما الاحتفاظ بعلاقات ودية مع مصر. فيما بين عامي 1954 و1957 كان الملك سعود حليفا مقربا لعبد الناصر. فقط حين أصبحت نوايا عبد الناصر التوسعية واضحة ابتعدت السعودية تدريجيا عن الارتباط به. لم يتخذ سعود خطوة إيجابية لإيقاف توسع عبد الناصر إلا عام 1958. تم اتخاذ هذه الخطوة من أجل الحفاظ على استقلال سوريا. اعتبر الملك أنه لم يكن هناك أي سبب لشعور عبد الناصر بالسخط لأنه هو نفسه كان منخرطا في أعمال مماثلة طوال الوقت. كاد تصرف الملك أن يكلفه عرشه. اعتذر سعود إلى عبد الناصر وقام بشرح دوافعه وأبدى كل إشارة على حسن النية. لكن عبد الناصر لم يتخل أبدا عن حلمه بتحويل العالم العربي بأكمله إلى إمبراطورية مصرية. وحين فشل في تحقيق ذلك تحت شعار الوحدة كان يحاول الآن تحقيقه تحت راية الاشتراكية - ذلك المذهب الكافر الغريب المدمر.

بدلا من رؤية الانفصال باعتباره النتيجة الحتمية لأساليبه الاستبدادية في سوريا، وجه عبد الناصر اللوم إلى "الرجعيين"، وهي كلمة يبدو أنه كان يعني بها كل من هو غير مستعد للخضوع له. بدأ حملة شرسة وكانت السعودية بشكل خاص معرضة لضغط متزايد. في العالم العربي في العام الذي تلى الانفصال أثبت عبد الناصر أنه يبذل كل ما في وسعه في سعيه المحموم لتدمير النظام في السعودية.

عملية صنع القرار

شعر الملك سعود بالحاجة إلى الرد على التهديد الذي كانت تمثله الثورة. لم يكن من طبيعته الانتظار والتفكير مليا. كان يعتبر أن التراخي سوف يترجم فقط باعتباره ضعفا. واجه سعود ثلاثة بدائل:

- 1- أن يقدم الدعم السياسي والمعنوي إلى الملكيين.
- 2- أن يمنح الملكيين السلاح والإمدادات والمال وأن يسمح لهم بالعمل من الأراضي السعودية.

3- أن يتدخل عن طريق إرسال قوات سعودية.

استبعد الملك البديلين الأول والثاني باعتبارهما غير كافيين. لقد باغتت الثورة النظام اليمني. قتل البدر. لم تكن هناك مقاومة ملكية منظمة في اليمن. بدا أن الثوار مسيطرين على المدن على الأقل. كان الحسن بعيدا. كان بحاجة إلى السلاح والإمدادات بالإضافة إلى قاعدة لعملياته. وفي ظل هذه الظروف لن يكون الدعم السياسي وحده تأثير حاسما.

كان البديل الثالث غير عملي وغير مرغوب على حد سواء. كان غير عملي لأن السعودية لم تكن في وضع يتيح لها إرسال قوات إلى اليمن. كان الجيش النظامي صغيرا ولم يكن مجهزا لمثل هذه المغامرة. كان الجيش غير النظامي غير مدرب ولا مسلح لحرب خارجية. كان الوجود الرمزي أسوأ من غياب أي وجود، وكان وجود مؤثر أكبر من قدرات البلاد العسكرية. وعلاوة على ذلك فإن السعودية لم تكن تعتبر مثل هذا التدخل مرغوبا. سيكون من الصعب تبريره، ومن المؤكد تقريبا أنه سيؤدي إلى تدخل مصر. كان الصدام العسكري المباشر مع مصر هو آخر ما يريده الملك.

اعتبر الملك البديل الثاني ملائما فقط في ظل هذه الظروف. يمكن للسعودية أن تدعم الملكيين بالسلاح وتقدم لهم المال. كانت للملك حرية كاملة في إدارة موارد البلاد المالية ولم يكن مسئولا أمام أي أحد. كان بديلا آمنا. لن يكون هناك ضحايا سعوديون. سيدور القتال بواسطة اليمنيين أنفسهم. وبحلول يوم 28 سبتمبر كان الملك قد توصل إلى قرار. ستدعم السعودية الملكيين من خلال منحهم السلاح والمال والسماح لهم باستخدام الأراضي السعودية، ولكن لن يتم إشراك أي قوات سعودية.

أعلن الملك رؤيته لمستشاريه وكذلك للأمراء البارزين الذين وافقوا على قراره بالإجماع. لم يكن على الملك التعامل مع الآراء المخالفة، فطلال وشقيقاه - الأمراء أصحاب الآراء الليبرالية القوية الذين ربما ينظرون إلى الثورة اليمنية بشكل مختلف - هم الآن في الخارج يحرضون ضد النظام.

كان موقف الأمير فيصل مختلفا عن موقف الملك. من الطبيعي أن فيصل كان بحاجة إلى المزيد من المعلومات والوقت للتوصل إلى قرار. رغم أنه كان يعتبر أنه من المحتمل أن عبد الناصر هو من حرض على الثورة لكنه كان يعتقد أن عبد الناصر قد ارتكب خطأ. سوف يفوز الملكيون بالتأكيد، وبالتالي لم يكن هناك شيء لتربحه السعودية من التدخل. سوف تكون فترة من المراقبة بدون تدخل هي أفضل سياسة يتم اتباعها.⁽³⁾ لكن فيصل شعر أنه مع تعرض النظام السعودي للضغط كان عليه أن يدعن للملك. أي صدام علني بينه وبين الملك سوف يكون

كارثيا. لذلك فقد أرسل رسالة إلى الملك سعود يبلغه فيها أنه سيدعم تماما أي قرارات يتخذها الملك.

كانت معرفة الملك سعود باليمن تعود إلى عام 1934 حين قاد الجيش السعودي في الحرب اليمنية – السعودية. وقد علمته تجربته الشخصية أن رجال القبائل الزيدية كانوا مقاتلين أشداء. كاد جيشه أن يهزم على أيديهم. وطالما كانوا إلى جانب الإمام فإن النصر مؤكد. اعتقد سعود أن العاطفة الدينية سوف تغلب على أي اعتبار آخر، وأن القبائل الزيدية سوف تدعم الإمام. أظهر تاريخ اليمن القديم والحديث أن الجانب الذي كان يحظى بولاء القبائل الزيدية هو الذي يفوز.

على المستوي الدولي كان سعود يظن أن السعودية تخوض المعركة وحيدة. كان عبد الناصر، وبتشجيع نشط من الاتحاد السوفيتي، في طريقه إلى السيطرة على العالم العربي. كان أصدقاء السعودية - الولايات المتحدة وبريطانيا - يتابعون وهم مكتوفي الأيدي. بدا أن عبد الناصر بإمكانه أن يفلت بأي شيء يقوم به حتى الآن. بعد أن أصبح من الواضح للغاية أنه هو من حرض على الثورة اليمنية لم تفعل الولايات المتحدة ولا بريطانيا أي شيء في العالم العربي. كان الأردن فقط هو من يقف بقوة مع السعودية. كانت كل الدول العربية الأخرى تخشى عبد الناصر. كان على السعودية أن تعتمد على نفسها. بالنسبة لتفكير الملك كان وقوفها ضد عبد الناصر في اليمن يتضمن كل عناصر البطولة.

لم يشك الملك سعود أبدا في مسئولية عبد الناصر عن التمرد وتوقع منه أن يستمر في دعم عملائه. بدون الدعم المصري لن يمكن الثوار من البقاء. لكن الملك سعود توقع أن يرسل عبد الناصر أسلحة وربما مستشارين ولكن ليس قوات. كان السبب في السرية التي فرضت على التدخل السعودي يعود بشكل أساسي إلى أن سعود لم يكن يرغب في إثارة عبد الناصر إلى حد التدخل النشط. وفي وقت مبكر من شهر أكتوبر توقع الملك نصرا للملكيين بعد خمسة أو ستة أشهر على الأكثر.

كان سعود يعرف أنه لن يوافق كل مواطنيه على قراره بالتدخل دعما للملكيين. كان يدرك تماما فاعلية دعاية عبد الناصر وتوقع أن يصدقه بعض السعوديين. كان سعود يرى أن أولئك الذين كانوا يدعمون الثورة اليمنية كانوا إما مضللين أو غير مخلصين لنظامه. في كلتا الحالتين كانوا أقلية صغيرة غير مؤثرة ويمكن تجاهلهم تماما.

التنفيذ

جرى تنفيذ التدخل السعودي في سرية. لم يتم الإعلان عن وصول الحسن أو عن اجتماعه مع سعود ولم يرد أي ذكر عن المساعدة التي تلقاها الحسن. رسميا ادعت السعودية

عدم التدخل. وفي الأسبوعين الأولين الذين أعقبا الثورة تجاهلت الصحافة والإذاعة تماما تقريبا الثورة اليمنية . لكن أكتشف التدخل السعودي فورا من قبل الحكومة المصرية التي لم تكتف بالإعلان عنه لكن قامت بتضخيمه بدرجة كبيرة. أطلق عليه اسم "عدوان" وكان يقال أن القوات السعودية تشارك فيه.

لم يمثل تنفيذ القرار الخاص بدعم الملكيين صعوبة كبيرة. رغم أن السعودية لم تكن مستعدة عسكريا للحالات الطارئة لكنها كانت قادرة مع ذلك على إمداد الملكيين بالبنادق والأسلحة الخفيفة الأخرى. تم الترتيب لاستيراد أسلحة أكثر. سبب فرار الطائفة السعودية المحملة بالأسلحة إلى القاهرة حرجا سياسيا لكنه لم يؤثر على تدفق المساعدة للملكيين.

كانت نجران وجيزان قرب الحدود اليمنية هي النقاط التي يتم منها إرسال الأسلحة والإمدادات إلى داخل اليمن. لم يكن عبور الحدود يمثل أي مشكلة . لم يتم تسليم أي أسلحة أو إمدادات إلى رجال القبائل اليمنية مباشرة. كانت كل المساعدات توجه عبر الحسن. كان هناك التزام تام بقرار الملك الذي يقضي بعدم مشاركة أي قوات سعودية في القتال. في حين شارك بعض السعوديون في نقل الإمدادات عبر الحدود، وفيما بعد تدريب الملكيين، لكن لم يشارك أي سعودي فعليا في القتال.

انتقل الحسن وأفراد آخرين من الأسرة المالكة إلى داخل اليمن وأنشأوا مركزا رئيسيا داخل الأراضي اليمنية. كانوا يعودون إلى السعودية فقط من أجل المشاورات الهامة. ورغم أن الملكيين كانوا ينتقلون بحرية عبر الحدود لكن "التسلل" من الحدود السعودية لم يكن عاملا حاسما في الحرب. كانت القبائل التي حاربت مع الملكيين تعيش في اليمن.

ردود الفعل

بعد أسبوع من بدء الملكيين عملياتهم كانت هناك مؤشرات مشجعة حيث نجحوا في احتلال صعدة وترسيخ أقدامهم في مأرب ومنطقة الجوف. كانت هناك أعداد متزايدة من القبائل تنضم إليهم. بدا الجمهوريون محاصرين في المدن. قوبلت الأنباء بشأن هروب البدر بالترحيب حيث أظهرت الجمهوريين والمصريين باعتبارهم كاذبين. ثبت أن مخاوف الملك سعود من نشوب صراع بين الحسن والبدر كانت غير مبررة. اعترف الحسن طوعا بابن شقيقه إماما. وتحت قيادة الإمام الشاب الذي يحظى بشعبية كان الملكيون بلا شك ليحرزوا مزيدا من الانتصارات. كانت مسألة عودة الإمام مرة أخرى إلى صنعاء مسألة وقت.

على المستوى الدولي وكما توقع سعود كانت السعودية تقف بمفردها ولم يكن معها سوى الأردن. كانت وسائل الإعلام الأردنية تروج لانتصارات الملكيين ورفضت بشجاعة "أكاذيب" عبد الناصر. وصلت مجموعة من الضباط الأردنيين لتدريب الملكيين والعمل

كمستشارين عسكريين لهم. كان الاتحاد السوفيتي من بين أول من اعترف بالمتمردين، والأمر الغريب أن الولايات المتحدة لم تكن مقتنعة بأن تبقى محايدة فبدت على وشك الاعتراف بالمتمردين. كان موقف بريطانيا أكثر عقلانية. على الأقل تجاهلت أنشطة الملكيين في بيحان في محمية عدن وبدت غير متعجلة في الاعتراف بالجمهورية.

بحلول منتصف أكتوبر أصبح حجم المشاركة المصرية في اليمن واضحاً. كان الملك يعرف بدون أدنى شك أن مصر قد أرسلت وحدات قتالية إلى اليمن. شجعت القوات المصرية الجمهوريين الذين بدأوا في إصدار بيانات تنذر بالسوء ولم يكن من الممكن الاستمرار في تجاهلها. رغم أن سعود تنبأ بمشاركة مصر لكنه فشل في توقع حجم تلك المشاركة، وكانت رؤية الجيش المصري على حدوده هي الأمر الأكثر إثارة للقلق.

كان سعود يدرك تماماً تدني وضع قواته المسلحة في أي صدام مع الجيش المصري. ظل الأردن إلى جانب السعودية ووصلت ست طائرات عسكرية أردنية إلى السعودية. كان الأمر يتعلق بالمساعدة التي سوف يقدمها الأردن. كانت السعودية تأمل أنه لو وصل الأمر إلى هجوم مصري مباشر على السعودية فإن الولايات المتحدة سوف تعمل على كبح جماح عبد الناصر. لكن حتى تلك اللحظة أفلت عبد الناصر بإرسال قوات إلى اليمن. قدمت الولايات المتحدة تطمينات غامضة لكنها لم تتخذ أي إجراءات حازمة.⁽⁴⁾

التطور الآخر الذي أقلق الملك هو المعارضة المتزايدة في الداخل للتدخل في اليمن. لم يكن الملك يتوقع موافقة بالإجماع لكنه أيضاً لم يتوقع معارضة نشطة. كان انشقاق الطيارين السعوديين إلى مصر تصرفاً يتسم بتحدي غير مسبوق في تاريخ البلاد. أخرج هذا التصرف الملك وأدى إلى تفويض سلطة الحكومة وتقوية موقف عبد الناصر. وما كان أكثر إزعاجاً من هروب الطيارين هو الاحتجاج القوي الذي عبر عنه أعضاء الحكومة الستة. في مذكرة إلى الملك قال الوزراء أن دعم السعودية للملكيين كان غير مبرر وقد يسبب مخاطر للبلاد لم تكن تستطيع التكيف معها. طالب الوزراء بوقف دعم الملكيين. لم يكن من الممكن تفسير معارضة الوزراء على أنه مؤامرة مصرية. لم يكن الوزراء شباباً متحمسين من السهل خداعهم ولم يكونوا معرضين لدعاية عبد الناصر. كانوا رجالاً ذوي خبرة ومعرفة وولاء غير مشكوك فيه للنظام. استطاع الملك أن يستنتج أن قرار التدخل كان يفتقر للشعبية أكثر مما كان يعتقد.

حين واجه الملك سعود معارضة في الداخل إلى جانب تواجد القوات المصرية في اليمن أبدى علامات على التردد. من ناحية كان لا يزال مقتنعاً بحكمة قراره وكانت انتصارات الملكيين تثبت صحة رأيه. ومن ناحية أخرى كان خطر الصدام العسكري مع مصر يصبح أكبر وكانت المعارضة في الداخل تصبح أقوى. كان وقف التدخل الآن سيظهر الضعف والخضوع

للضغط. وكان الاستمرار في التدخل يعني مواجهة مخاطر أكبر في اليمن ومعارضة أكبر في الداخل والخارج. قرر الملك أن أفضل طريقة للخروج من الأزمة هي تفويض المسؤولية إلى فيصل. كان سعود متأكدا أن فيصل سيواصل دعم الملكيين فقرر ترك له لكي يواجه العواقب. وبمجرد انتهاء هذه المرحلة الخطيرة يستطيع الملك استعادة سلطته وقتما يريد.

تغيير الحكومة

جاء قرار سعود بتعيين فيصل رئيسا للوزراء مفاجأة لفيصل نفسه. على مدى العامين السابقين كان الملك مصرا على الاحتفاظ بمنصب رئيس الوزراء. كان فيصل يعرف أن عدم قدرة سعود على التأقلم مع الوضع هي فقط ما دفعته إلى أن يطلب منه تولي رئاسة الوزراء. ومع ذلك لم يتردد فيصل في قبول المسؤولية. كان واثقا أن بإمكانه التعامل بشكل فعال مع الأزمة.

كان موقف الأمير فيصل من مشكلة اليمن يتغير بشكل تدريجي. في البداية كان يفضل عدم التدخل ولم يشجع الحسن على أن يتوقع المساعدة من السعودية. وبمجرد أن قرر الملك التدخل قبل القرار برغم مخاوفه. وحين طلب منه تشكيل حكومة جديدة كان فيصل قد توصل إلى استنتاج كان مفاده أنه يجب على السعودية أن تستمر في دعمها للملكيين.

كان هناك تطوران مسئولان عن قرار فيصل الجديد: العداء الذي أظهرته الجمهورية ووصول قوات مصرية إلى اليمن. أثبت كل من طرد القائم بالأعمال السعودي من اليمن وتصريحات البيضاني بوضوح أن نظام الثوار كانت لديه نوايا عدائية تجاه السعودية. في ذلك الوقت لم يكن من الممكن القول بأن السعودية قد تدخلت. بدا أن الجمهوريين كانوا مهتمين بخوض معارك عبد الناصر أكثر من اهتمامهم بإصلاح اليمن. كان البيضاني قد هاجم السعودية حتى قبل تولي السلطة. والآن كان يفعل ذلك وهو يمتلك سلطة رسمية. لم تكن السعودية لتقف وتشاهد فقط هذه الحكومة السورية وهي تهاجمها بوقاحة.⁽⁵⁾

كان التطور الآخر والأكثر أهمية بكثير هو وجود القوات المصرية. لم تعد القضية الآن صراعا بين الملكيين والجمهوريين في اليمن. كان أمن السعودية قد أصبح على المحك. لم يعد الأمر يتعلق بالتدخل وإنما بالبقاء.

... لقد وجدنا أنفسنا جميعا في وضع لم يكن لدينا فيه خيار سوى التصرف وفقا لمبادئنا وديننا وشرفنا. لقد وجدنا أنفسنا في موقف لم يكن لدينا فيه أي بديل سوى الدفاع عن أنفسنا والدفاع عن بلادنا. أعلن حكام مصر أنهم قد أرسلوا حملتهم للقتال في اليمن من أجل تدمير بلادنا والسيطرة عليها. لذلك تم دفعنا في وضع لم نمتلك فيه أي

بدیل سوى الدفاع عن أنفسنا. لكل دولة لكل بلد في العالم الحق في الدفاع عن النفس.(6)

كان فیصل یعتقد أنه بالنسبة لمصر لم یكن یهم ما إذا كان البدر أو السلال هو من یحكم صنعاء. كانت مصر بعيدة جدا عن الیمن ولم یكن أمنها متأثرا بأي شكل بنظام الحكم في الیمن. لم یثبت قرار عبد الناصر بإرسال قوات إلى الیمن فقط بما لا یدع مجالا للشك أن عبد الناصر هو نفسه من حرض على التمرد لكنه أظهر أيضا إلى أي حد كان مستعدا أن یمضي في سعيه لتدمير أنظمة الحكم الملكية العربية. كان وجود جيش مصري في الیمن تحديا مباشرا وواضحا للسعودية. لم یكن بإمكان السعودية أن ترد بمواجهة عسكرية، لكن كان بإمكانها الاستمرار في دعم الملكيين الذين سيقومون بدورهم بإرهاق عبد الناصر وهزيمته في نهاية المطاف.

كان فیصل متأكدا أن القبائل الزيدية المحافظة بشدة لن تقبل بديلا عن الإمامة العريقة. وعلاوة على ذلك فإنها لن تسمح لغازي بأن یخضعها. كان عبد الناصر قد أخطأ التقدير بشكل فادح. لن یكون أكثر نجاحا في الیمن مما كان الأتراك. لكن عبد الناصر نفسه كان قد اختار خوض هذه المعركة ولم یترك للسعودية أي بدیل سوى الدفاع عن نفسها من خلال دعم الملكيين.

كان فیصل مقتنعا أن السعودية كانت محقة أخلاقيا وقانونيا. كان التدخل المصري غزوا واسع النطاق للیمن.

كلکم تعرفون العلاقات القوية التي تربط هذا البلد بهذه الدولة الشقيقة – الیمن. أيها الأخوة، لیست لنا أي إطماع في الیمن. تشهد أحداث التاريخ وكذلك - أنتم أنفسكم - أنه لیست لدينا أي أطماع اقتصادية أو سياسية أو عسكرية هناك. حين اندلعت هذه الثورة المشنومة مؤخرا في الیمن لم نتدخل على أمل أن شعب الیمن سیتترك وشأنه لكي یقرر مصيره بنفسه. قبل يوم أو یومین بدأ الأسطول والطيران في نقل قوات مصرية إلى الیمن لیس لكي تساعد الیمنیین إنما لاستعبادهم وحكمهم.(7)

وفي المقابل كانت السعودية فقط تساعد الحكومة الشرعية التي كانت معرضة لخطر عدوان خارجي.

كلكم تعرفون أن هناك معاهدة بين هذه البلاد وحكومة صاحب الجلالة الإمام ووفقا للقانون الدولي طالما هذه الحكومة موجودة فإن حقوقها موجودة... لذلك فنحن ندعم الحكومة الشرعية في اليمن.(8)

بلا شك كان فيصل يدرك أن قرار الملك سعود بالتدخل في اليمن وفر لعبد الناصر حجة للتدخل هو أيضا. لكن فيصل كان قد توصل في ذلك الوقت إلى استنتاج مفاده أنه سواء مع دعم سعودي للملكيين أو في غيابه كان عبد الناصر ليرسل قواته. بدا يفكر في التدخل السعودي باعتباره مختلفا تماما عن التدخل المصري. لأن التدخل السعودي كان على نطاق أصغر بكثير كان بالكاد يمكن اعتباره تدخلا.

أيها الأصدقاء – بم نساعد إخوتنا في اليمن؟ لو إننا نساعد بعضا منهم بالطعام وبالأشياء الأخرى التي تساعد في الحفاظ على حياتهم فهل تعتبر هذه مساعدة؟ نحن لم نرسل أساطيل وطائرات ودبابات لحرق القرى والمنازل والأطفال والمسنين.(9)

لم يعط فيصل أهمية للمعارضة في الداخل مثلما فعل سعود. اعتبر الطيارين "بلا قيمة" واعتبر أن الوزراء فقط شعروا بالخوف. كان فيصل يعتقد أن سوء حكم سعود قد أدى إلى بعض القلق المشروع وإلى تراجع في مستوى الدعم. كان ينوي التعامل مع هذا من خلال الإعلان عن برنامج الإصلاحات واسعة النطاق وتطبيقه بشكل تدريجي .

رغم أن فيصل لم يشك أبدا أن الاستمرار في التدخل في اليمن سوف يتضمن بعض المخاطر لكنه كان يعتقد أنه لم يكن يملك أي خيار سوى قبول هذه المخاطر. "لو أننا سنموت فلنمت بشرف".(10) ومع ذلك كان فيصل متأكدا أن عبد الناصر لن يتجرأ على محاولة غزو السعودية. وبعد تشكيل الحكومة قرر فيصل أنه على السعودية أن تكثف مساعدتها للملكيين عن طريق تقديم المزيد من المنح لهم وإمدادهم بأسلحة أفضل وأثقل. لكن الأمير التزم بمبدأ عدم مشاركة أي سعودي في القتال. كان حريصا مثل سعود على تفادي أي صدام مباشر مع المصريين. وبهذه العقلية طلب من الأردن سحب طائراته.

وفي وقت مبكر من نوفمبر كان فيصل مستعدا لصراع طويل ومريع، ومع تورط مصر إلى هذه الدرجة لم تكن هناك أي نهاية في الأفق. أشار قصف مصر للأراضي السعودية وما تلاه من قطع للعلاقات الدبلوماسية إلى مدى التدهور في العلاقات السعودية المصرية. أصبحت اليمن ساحة القتال في الحرب غير المعلنة. لم يكن فيصل متفائلا أكثر من اللازم، لكن لم تكن لديه أي شكوك بشأن النتيجة النهائية.

(1) الدكتور رشاد فرعون، مقابلة، الرياض، 22-11-1969.

(2) انظر أعلاه ص 241.

(3) في عام 1965 تذكر الملك فيصل: حين وقع ذلك الحدث (الثورة) كنت في الأمم المتحدة... في ذلك الوقت لم نكن نريد التدخل. كان التدخل حينئذ غير وارد".

Arab Political Documents 1963 (Beirut: Political Studies and Public Administration Department of the American University, n.d.), p. 320.

(4) بحسب وينتال وبارتليت حين عبر الأردن والسعودية عن مخاوفهما من أن سلامتهما سوف تتأثر بقبول الولايات المتحدة للجمهوريين فإن الوزير دين راسك "أكد للحكومتين أنه بعكس اليمن فإن كلتا البلدين لديهما 'أصدقاء أقوياء' يقلقون ويهتمون بشدة لمصيرهما. انظر

Edward Weintal and Charles Bartlett, Facing the Brink (London: Hutchinson, 1967), p. 38.

(5) في عام 1965 قال الملك فيصل متذكرا الفترة التي أعقبت الثورة اليمنية: "...اعتاد السلال كثيرا على أن يوجه تهديداته لنا وأن يحذرنا أنه سوف يدمر عروش الرجعيين في الرياض باستخدام طائراته".

Arab Political Documents 1963 op., cit., p. 232.

(6) خطاب يوم 5 سبتمبر 1963؛ الأمير فيصل يتحدث (وزارة الإعلام، 1963)، ص 114.

(7) خطاب يوم 25 يناير 1963؛ نفس المرجع، ص 28.

(8) نفس المرجع.

(9) نفس المرجع، ص 30.

(10) خطاب يوم 4 مارس 1963؛ نفس المرجع، ص 35.

بعض الدلالات النظرية

إن حدود دراسة الحالة معروفة تماماً دراسة معروفة تماماً بحيث لا توجد حاجة لتوضيحها هنا. هناك العديد من سمات الوضع التي تعتبر فريدة مما يجعل من الممكن أن يصبح التعميم مضللاً. وقد جرى التأكيد مراراً وبشكل صحيح على مخاطر القياس غير المميز. ورغم ذلك يمكن لدراسة الحالة أن تقدم إشارات لبعض الفرضيات المفيدة التي ربما يكون لها تطبيق يتجاوز الحالة الخاصة. توجد تسع فرضيات تتم مناقشتها هنا بدون إدعاء أنه قد تم "إثباتها". لقد عملت الدراسة فقط على لفت الانتباه إلى تلك الفرضيات لذلك يجب اختبارها عدة مرات قبل أن يتم تأكيد قابليتها للتطبيق المحدود حتى.

في حين كان هناك العديد من المدنيين المنخرطين في معارضة النظام اليمني لكن ثورة 1962 كانت بالأساس حركة عسكرية قام بها ضباط في الجيش النظامي. لم يشترك فيها أي مدنيين. كان الضباط يسيطرون على حكومة ما بعد الثورة. مثلما حدث تماماً في الثورة المصرية عام 1952 والثورة العراقية عام 1958 فقد أثبتت الثورة المصرية ان الجيش هو التهديد الأكثر خطورة الذي يواجه النظام الملكي. 1 - في الدول الملكية غير الديمقراطية وغير المتقدمة يوجد الوضع الثوري المحتمل في الجيش. يعتبر الجيش القوة الوحيدة القادرة على تحدي الوضع القائم حيث يعتبر بعض الضباط أنفسهم حتما قادة المستقبل. وفي معظم الأحوال يكون هؤلاء الضباط في العشرينات أو الثلاثينات من عمرهم. ومن غير المؤكد أن تنجح أكثر الإجراءات الأمنية كفاءة من جانب الأنظمة الملكية في تطهير الجيش من احتمالات الثورة

تجراً الضباط اليمنيون على التحرك بسبب عدم الرضا الشعبي واسع النطاق عن نظام الإمامة. لم تتحقق المطالب الهامة. عجزت جهود النظام لتحفيز الدعم عن تحقيق أهدافها. كان الشافعيون ككل يحملون مظالم كثيرة. 2- يتحول وضع ثوري محتمل إلى محاولة للاستيلاء على السلطة فقط إذا تمت ملاحظة تآكل في الدعم الذي يحظى به النظام. رغم أن أسباب تراجع الدعم تختلف في كل حالة لكن يوجد استياء شعبي ملحوظ في كل المحاولات الثورية التي تسعى إلى تدمير نظام قائم.

بسبب أحوال اليمن المتخلفة، وخاصة في ضوء النظرة المحافظة للقبائل الزيدية، كان الثوار اليمنيون يخشون من ألا تنجح أي ثورة في اليمن. أظهر انهيار محاولتي 1948 و1955 أنه لا توجد فرصة للثورة بدون دعم خارجي. ربما لم يكن الضباط اليمنيون ليقوموا بثورة 1962 ما لم يكونوا متأكدين بدرجة معقولة من تدخل مصري. 3- في دولة فشلت فيها محاولات سابقة للتغيير الثوري لن يقوم الثوار بمحاولة تالية ما لم يلاحظوا دعماً خارجياً محتملاً. وهكذا رغم أنه في معظم الحالات ما يحفز على التدخل هو حرب أهلية، لكن في بعض الحالات يشجع توقع التدخل الثورة التي تقود إلى حرب أهلية. يمكن أن تكون الدعوات الخارجية للثورة مؤثرة بقدر ما تقود الثوار المتشككين إلى توقع الدعم الخارجي.

كان الرئيس عبد الناصر يؤمن بأن فشل الثورة في اليمن سيكون نجاحاً لـ "الرجعيين" الذين - بالاشتراك مع الإمبرياليين - كانوا مصممين على عزل وتدمير نظامه. كان الملك سعود يعتقد أن عبد الناصر هو من حرض على الثورة التي كان مقتنعاً إنها كانت ستمنح مصر المعادية له موطئ قدم في شبه الجزيرة العربية وتشجع على التخريب. وهكذا رأي كل منهما تهديداً. 4- رؤية التهديد هي شرط أساسي للتدخل. بينما يبدو لمراقب خارجي أن هناك خطر واضح فبالنسبة لصانع القرارات المشاركين حقيقة التهديد ليست محل شك أبداً. ربما يقولون أن

التهديد هو غير مباشر أو طويل المدى، لذلك فهو ليس واضحاً للغاية. يصف صناع القرار دوماً تدخلاتهم - وربما يؤمنون فعلاً بذلك - بأنها إجراءات دفاعية يتم اتخاذها استجابة لأعمال عدائية مستفزة.

لا يوجد دليل على أن الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة كانا مرتبطين على التوالي بالقرارات المصرية والسعودية للتدخل في اليمن. تم اتخاذ هذه القرارات بواسطة قوى صغيرة مهمة باعتبارها إقليمية بالكاد مرتبطة بالاستراتيجيات العالمية. 5- مع الوضع في الاعتبار الاختلاف في الحجم فإن القوى الصغير قادرة على التدخل كقوى كبرى. أظهرت التطورات المتتالية في اليمن أنه بشكل نسبي كان التدخل المصري في اليمن أكبر من التدخل الأمريكي في فيتنام وأنه بكل متناسب كانت المساعدة التي حصل عليها الملكيون من السعودية أكبر من المساعدة التي حصلت عليها فيتنام الشمالية من الاتحاد السوفيتي لأن القوى الصغيرة كان أقل قلقاً من حدوث مواجهة نووية وكانت لديها التزامات دولية أقل يمكنها في ظروف معينة أن تتمتع بقوة أكبر للتدخل مقارنة بالقوى الكبرى. وفي حين أن المعارضة النشطة من جانب قوى كبرى قد تثني قوة صغيرة عن التدخل لكن لا يوجد تشجيع سواء كان نشطاً أو غير نشط مطلوب لكي تبدأ قوة صغيرة في التدخل.

لا يمكن فهم التدخل المصري والسعودي إلا في ضوء المواجهة التي كانت تدور على مدى عام تقريباً قبل الثورة بين الجمهورية العربية المتحدة من ناحية وبين اليمن والأردن والسعودية من ناحية أخرى. كانت المواجهة نفسها هي ذروة الشكوك التي تولدت أثناء التفاعات في الخمسينات. 6- التدخل ليس حدثاً منعزلاً ومستقلاً على الإطلاق بل هو حلقة في سلسلة من الأحداث. التدخل يشبه أحد الأعراض أكثر من كونه يشبه مرضاً. أي تحليل للتدخل يجب أن يخصص اهتماماً للخلفية الخاصة بالعداء والخوف بقدر الاهتمام المخصص إلى الحدث الخاص بالتدخل نفسه. وفيما يخص التدخل ربما يتضح أن القرارات اليومية الروتينية في التحليل النهائي هي مهمة بنفس الدرجة مثلها مثل القرارات الأكثر دراماتيكية المرتبطة بالتدخل الفعلي.

لم تفكر الجمهورية العربية المتحدة ولا السعودية في آثار الثورة اليمنية على العلاقات اليمنية المصرية أو العلاقات اليمنية السعودية. كان عبد الناصر بشأن إحراز "الرجعيين" لانتصار، وكان الملك سعود منزعجاً من احتمال تحول اليمن إلى دولة هدامة تابعة لمصر. 7- نادراً ما يكون التدخل ناتجاً عن علاقة بين الدول التي تطلبه والدول التي تقوم به؛ يكون هناك طرف ثالث مشارك على الأقل. كل مواجهة تعني تدخلاً محتملاً، ولهذا فكلما كانت

هناك مواجهات في العالم كلما ستكون هناك حالات تدخل. وبالعكس فإن تحقيق التصعيد في أي مواجهة يشير إلى أن فرص التدخل المحتمل قد تراجعت.

لم يكن الرئيس عبد الناصر ولا الملك سعود قادرين على التنبؤ بسير الأحداث في اليمن. توقع كلا منهما أن يفوز الطرف الذي كان يدعمه. خلال شهور قليلة لم يكن أي منهما قادرا على التنبؤ بحجم تورط بلاده. 8- يميل صناع القرار في الدولة التي تقوم بالتدخل إلى المبالغة في تقدير حجم الطرف الذي يساندونه والتقليل من تقديرات تكلفة التدخل. يكون هؤلاء القادة قادرين على الاستمرار في هذا الاعتقاد من خلال رؤية الانتصارات الصغيرة باعتبارها نقاط تحول وتجاهل الانتصارات التي يحققها العدو. ويكون صناع القرار في الدولة التي تطلب التدخل متلهفين على الحفاظ على الدعم الخارجي، فيشتركون في هذه العملية من خلال الاستمرار في الوعد بنهاية سريعة للحرب في صالحهم.

توقع البعض أنه مع تولي فيصل رئاسة الوزراء ستوقف السعودية مساعدتها للملكيين. كانت هذه التوقعات قائمة على الحذر المعروف عن الأمير، لكن اتضح أن السعودية واصلت التدخل على نطاق أوسع وبشكل أكثر فاعلية. 9- لا يؤدي تغير الحكومة في مرحلة مبكرة من التدخل إلى التخلي عن سياسة التدخل ما لم تكن رؤية صناع القرار الجدد مختلفة بشكل جذري عن رؤية أولئك الذين اتخذوا القرار بالتدخل في البداية. في دولة غير ديمقراطية يكون الانتقال السلمي للسلطة أقل احتمالا لأن يوقف التدخل مقارنة بالإطاحة بالحكومة باستخدام العنف.

المراجع

الكتب

باللغة العربية

- عبد الله، عبد الإله. نكسة الثورة في اليمن. غير منشور، لا يوجد تاريخ.
- عبد الرحمن، محمد محمد. أرض البطولات والأمجاد. القاهرة: مطبعة التحرير، لا يوجد تاريخ.
- أحمد، مكرم محمد. الثورة جنوب الجزيرة: عدن واليمن. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ.
- الأحرار والبدن. غير منشور، 1955، منشور للاتحاد اليمني بدون توقيع.
- العالم العربي. القاهرة: الجامعة العربية، 1949.
- أبونت، سلفاتور. حديث اليمن السعيدة. ترجمة طه فوزي، بيروت: دار الآداب، لا يوجد تاريخ.
- عقل، محمد صادق وهيام أبو عافية. أضواء على ثورة اليمن. القاهرة، كتب قومية، لا يوجد تاريخ.
- العرشي، حسين بن أحمد. بلوغ المرام. القاهرة: Imprimerie C.E. Albertiri.
- الطار، محمد سعيد. التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1965.
- أيوب، محمد السيد. اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة. القاهرة: دار المعارف، 1963.
- العظم، نزيه مؤيد. رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا يوجد تاريخ.
- البيضان، عبد الرحمن. أسرار اليمن. القاهرة: كتب قومية، 1962.
- _____ أبعاد الثورة اليمنية. بيروت: 1967، لا يوجد تاريخ.
- _____ العائلة المتوكلية. الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ.
- البراي، راشد. اليمن والانقلاب الأخير. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1948.
- الدباغ، مصطفى مراد. جزيرة العرب. مجلدان. بيروت: دار الطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ.
- فخري، أحمد. اليمن ماضيه وحاضره. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1957.

- فرج، محمد. يمنيات. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ.
- القادري، نهاد. عن اليمن والثورة. غير منشور، لا يوجد تاريخ.
- غالب، محمد أنعم. اليمن. بيروت: دار الكتاب العربي، 1966.
- الغزالي، عبد المنعم. العدوان البريطاني على عمان واليمن. القاهرة: دار الفكر، 1957.
- الحداد، محمد يحيى. تاريخ اليمن السياسي العام. المجلد الأول. القاهرة: المطبعة السلفية، لا يوجد تاريخ.
- الهاجري، محمد أحمد. خلاصة تاريخ اليمن قديما وحديثا. القاهرة: مطبعة الأنوار، 1964.
- الحلوجي، عبد الستار. الزبيري شاعر اليمن. القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1968.
- حمزة، عبد القادر. ليلتان في اليمن. القاهرة: غير منشور، 1949.
- حسن، حسن إبراهيم. اليمن. القاهرة: دار المعارف، لا يوجد تاريخ.
- حسن، محمد. قلب اليمن. بغداد: مطبعة النهضة، 1966.
- حسن، ناجي. ثورة زيد بن علي. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1966.
- الحسني، عبد الله. مؤتمر حرص. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1966.
- هوك، إيفا. سنوات في اليمن وحضرموت. ترجمة خيرى حماد، (بيروت: دار الطليعة، 1962)
- الاتحاد اليمني. ليقف النزيف في اليمن. غير منشور، لا يوجد تاريخ.
- _____ التقرير العام، عدن: 1961.
- _____ نحن أحرار اليمن. القاهرة: دار الهنا للطباعة، لا يوجد تاريخ.
- جواهر، حسن محمد ومحمد السيد أيوب. اليمن. القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، 1967.
- الجرفي، عبد الله بن عبد الكريم. المقتطف من تاريخ اليمن. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1951.
- الجمهورية العربية المتحدة، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر.
- الجزء 3. القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، لا يوجد تاريخ.
- _____ نشرة الوثائق. العام 12، مجلد 2، القاهرة: مصلحة الاستعلامات، لا يوجد تاريخ.
- _____ خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر
- 1952-1959. القاهرة: اخترنا لك، 1959.
- لجنة كتب قومية. اليمن الثورة والسلام. القاهرة: كتب قومية، 1965.
- _____ محاضر مباحثات الوحدة. القاهرة: الأهرام، 1963.

المملكة العربية السعودية، بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين. مكة: مطبعة أم القرى.

منصور، أنيس. اليمن ذلك المجهول. القاهرة: الدار القومية للطباعة، لا يوجد تاريخ.

مطر، فؤاد. اليمن جمهورية واحد وخمسون إماما. بيروت: دار النهار للنشر، 1968.

مغنية، محمد جواد. الشيعة والتشيع (بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ).

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. رسالة إلى اليمن. القاهرة: لا يوجد تاريخ.

المنجد، صلاح الدين. اليمن والمتحدة. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1962.

نعمان، أحمد محمد. كيف نفهم قضية اليمن. القاهرة: دار النيل للطباعة، 1957.

_____ مآل القضية اليمنية. عدن: دار الجنوب للطباعة والنشر، لا يوجد تاريخ.

_____ إلى المناضلين في اليمن. دار البعث، لا يوجد تاريخ.

_____ رسالة إلى أبناء اليمن في الوطن والمهجر. القاهرة:

الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ.

نعمان، محمد أحمد. الأطراف المعنية في اليمن. بيروت: مؤسسة الصبان وشركاه، 1965.

_____ التاريخ الأثم. الاتحاد اليمني، لا يوجد تاريخ.

_____ الحركة الوطنية في اليمن. عدن: الاتحاد اليمني، لا يوجد

تاريخ.

الرمادي، جمال الدين. اليمن في ركب التحرر الثوري. القاهرة: كتب قومية، لا يوجد تاريخ.

رفاعي، أحمد فريد. رحلتى إلى اليمن العربية السعيدة. القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، لا يوجد تاريخ.

الريحاني، أمين. ملوك العرب. بيروت: المطبعة العلمية، 1929.

سعيد، أمين. فيصل العظيم. بيروت: دار الكاتب العربي، لا يوجد تاريخ.

_____ تاريخ الدولة السعودية. المجلد الثاني. بيروت: دار الكتاب

العربي، 1964.

سالم، السيد مصطفى. تكوين اليمن الحديث. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1963.

السلال، عبد الله وآخرون. من وراء الأسوار. بيروت: دار الكتاب العربي، لا يوجد تاريخ.

السقاف، أحمد محمد زين. أنا عائد من اليمن. بيروت: دار الكتاب العربي، 1962.

الشعبي، قحطان محمد. الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن. القاهرة: دار النصر، 1962.

الشامي، أحمد محمد. قصة الأدب في اليمن. بيروت: دار الكتاب التجاري، 1965.
_____ إمام اليمن أحمد حميد الدين. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1965.

_____ دامغة الدوامغ. لندن: معهد الإمام الهادي، 1966.
شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1963.
_____ تاريخ اليمن الثقافي. أربع مجلدات. القاهرة: مطبعة الكيلاني الصغير، 1967.

الشوكانى، محمد علي. البدر الطالع. القاهرة: مطبعة السعادة، 1929.
الشهاري، محمد علي. طريق الثورة اليمنية. القاهرة: دار الهلال، لا يوجد تاريخ.
الترسيبي، عدنان. اليمن وحضارة العرب. بيروت: مكتبة الحياة، لا يوجد تاريخ.
ثورة التحرير اليمنية وواجب الجندي العربي. القاهرة: القوات المسلحة، لا يوجد تاريخ.
الويسى، حسين بن علي. اليمن الكبرى. القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، 1962.
الوليد، أبو. معالم اليمن. الاتحاد اليمني: لا يوجد تاريخ.
عبد الواسع، عبد الواسع يحيى. تاريخ اليمنى. القاهرة: المطبعة السلفية، 1927.
الوزير، إبراهيم علي. لكى لا نمضى فى الظلام. بيروت: دار الأندلس، 1963.
_____ بين يدي المأساة. بيروت: دار الأندلس، 1963.
الوزير، زيد علي. دراسات فى الشعر اليمنى. بيروت: غير منشور، 1964.
اليمن ظاهره وباطنه. القاهرة، غير منشور، 1946.
اليمن المنهوبة والمنكوبة. غير منشور، لا يوجد تاريخ.
محمد محمود الزبيرى. الإمامة وخطورتها على وحدة اليمن. بيروت: الاتحاد اليمنى، لا يوجد تاريخ.

باللغة الإنجليزية

Abercrombie, M.I.M Johnson. The Anatomy of Judgment. London: Hutchinson, 1965.

Arab Bureau. The Handbook of Yemen. Cairo: Government Press.

Arab Political Documents, 3 volumes: 1963, 1964, 1965. Beirut: The Political Studies and Public Administration Department of the American University in Beirut, n.d.

John S. Badeau. The American Approach To The Arab World. New York: Harper & Row Publishers, 1968.

Beer, Eliezer. Army Officers in Arab Politics and Society. London: Pall Mall, 1970.

Belhaven, The Master of. Kingdom of Melchior. London: John Murray, 1949.

————— The Uneven Road. London: John Murray, 1955.

Bethmann, Erich W. Yemen On the Threshold. Washington, D.C.: American Friends of the Middle East, 1960.

Binder, Leonard. The Ideological Revolution in the Middle East. New York: John Wiley & Sons, Inc., 1964.

Black, Joseph E. and Kenneth S. Thompson (editors). Foreign Policies in A World Of Change. New York: Harper & Row Publishers, 1963.

Boswarth, Clifford Edmund. The Islamic Dynasties. Edinburgh University Press, 1967.

Burton, J.W. Systems, States, Diplomacy and Rules. London: Cambridge University Press, 1968.

Bury, G. Wyman. Arabia Infelix. London: Macmillan and Co. Limited, 1915.

Campbell, John, C. Defence of The Middle East. New York: Harper & Brothers, 1958.

The Charter, Cairo: Information Department, 1962.

Cheney, Michael Sheldon. Big Oilman From Arabia. London: Heinemann, 1958.

Cooke, Hedley V. Challenge and Response In the Middle East. New York: Harper & Brothers, 1952.

Coon, Carleton S. Measuring Ethiopia And Flight Into Arabia. Boston: Little, Brown, and Company, 1955.

Cortada, James N. The Yemen Crisis. Los Angeles: University of California, 1965.

Cremeans, Charles D. The Arabs and the World. London: Frederick A. Praeger, 1963.

De Gaury, Gerald. Faisal. London: Arthur Barker Limited, 1967.

Der Meulen, D. van. Faces in Shem. London: John Murray, 1961.

Easton, David. A Systems Analysis of Political Life. New York: John Wiley & Sons. Inc., 1967.

Eden, Sir Anthony. Full Circle. London: Caswell, 1960.

Encyclopedia of Islam vol. IV. London: Luzac & Co., 1929.

Farrago, Ladislav. The Riddle Of Arabia. London: Robert Hale Limited, 1939.

Farouhy, A. Introducing Yemen. New York: Orientalia, 1947.

Fayein, Claudine. A French Doctor in the Yemen. Translated by Douglas McKee. London: Robert Hale Ltd., 1957.

Frankel, Joseph. The Making Of Foreign Policy. London: Oxford University Press, 1963.

Freeman-Grenville, G.S.P. The Muslim and Christian Calendars. London: Oxford University Press, 1963.

Gibbons, Scott. The Consiprators. London: Howard Baker, 1967.

Great Britain. The Yemen. London: Central Office of Information. 1960.

Harris, Walter B. A Journey Through The Yemen. Edinburgh: William Blackwood and Sons, 1983.

Helfritz, Hans. The Yemen: A Secret Journey. Translated by M. Heron. London: John Allen & Unwin Ltd., 1958.

Heyworth-Dunne, Gamal-Eddine. The Yemen. Cairo: The Renaissance Bookshop., 1952.

Hickinbotham, Sir Tom. Aden. London: Constable and Company Ltd., 1958.

Hitti, Philip. History of the Arabia. London: Macmillan & Co., Ltd., 1956.

Holden, David. Farwell To Arabia. London: Faber & Faber, 1966.

Hellingworth, Clare. The Arabs and The World. London: Methune & Co., Ltd., 1952.

Halt, P.M. (editor). Political and Social Change In Modern Egypt. London: Oxford University Press, 1968.

Hurewitz, J.C. Middle East Politics: The Military Dimension. London: Pall Mall Press, 1969.

Ingrams, Harold. Arabia and The Isles. London: John Murray, 1966.

————— The Yemen. London: John Murray, 1963.

Jacob, Harold F. Kings of Arabia. London: Mills & Boon Limited, 1923.

Kerr, Malcolm. The Arab Cold War 1958-1964. London: Oxford University Press, 1965.

Khalil, Muhammad. The Arab States And The Arab League 2 volumes. Beirut: Khayats, 1962.

King, Gillian. Imperial Outpost-Aden. Oxford University Press, 1964.

Kirk, George E. Contemporary Arab Politics. London: Methuen & Co., Ltd., 1961.

Lenguel, Emil. Egypt's Role in World Affairs. Washington: D.C: Public Affairs Press, 1957.

Lewis, Bernard. The Middle East And the West. London: Weidenfeld and Nicholson, 1963.

Lipsky, George A. and others. Saudi Arabia. New Haven: HRAF Press, 1959.

Little, Tom. South Arabia Arena of Conflict. London: Pall Mall Press, 1967.

Marco, Eric. Bibliography On Yemen And Notes On Macha. Florida: University of Miami Press, 1960.

Mansfield, Peter. Nasser's Egypt. Harmondsworth, Middlesex: Penguin African Library, 1969.

McClelland, Charles A. Theory And The International System. New York: The Macmillan Company 1966.

The Middle East Record 2 volumes: 1960 and 1961. Tel Aviv: The Israeli Oriental Society, n.d.

Nasser, Gamal Abdul. Egypt's Liberation: The Philosophy of the Revolution. Washington: D.C.: Public Affairs Press, 1957.

Paige, Glenn D. The Korean Decision. New York: The Free Press, 1968.

Feretz, Don. The Middle East Today. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1963.

Philby, H.St. J.B. Arabian Jubilee. London: Robert Hale Limited, 1952.

Saudi Arabia. London: Ernest Benn Limited, 1955.

Arabia. London: Ernest Benn Limited, 1930.

Forty Years In The Wilderness. London: Ernest Benn Limited, 1957.

Phillips, Wendell. Qataban and Sheba. London: Victor Gollanon, 1955.

Playfair, R.L. A History Of Arabia: Felix Of Yemen. Bombay: The Bombay Government, 1859.

Polk, William R. The United States And The Arab World. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1965.

Reilly, Sir Bernard. Aden And The Yemen. London: Her Majesty's Stationary Office, 1960.

Nationalism And Revolution In The Arab World. Princeton: D. Van Nostrand Company, Inc., 1966.

Sharafaddin A.H. Yemen. Rome: Daily American Commercial Printing Section, 1961.

Sommerville-Large, Peter. Tribes and Tribulations. London: Robert Hale, 1967.

Sorensen, Reginald. Aden, The Protectorates, And The Yemen. London: Fabian International and Commonwealth Bureaux, 1961.

Synder, Richard and others. Foreign Policy Decision-Making. New York: The Free Press of Glenene, 1962.

Stark, Freya. East Is West. London: John Murray, 1945.

Thornby, Max Heston. Peop.le And Policy In The Middle East. New York: W.W. Norton & Company Ltd., 1964.

Toy, Barbara. The Highway Of Three Kings. London: John Murray, 1968.

Tritton, A.S. The Rise Of The Imams Of Sana. London: Oxford University Press, 1925.

Vatikiotis, P.J. The Egyptian Army in Politics. Bloomington: Indiana University Press, 1961.

Waterfield, Gordon. Sultan of Aden. London: John Murray, 1968.

Wavell, A.J.R. A Modern Pilgrim In Mecca And A Siege In Sana. London: Constable & Company Ltd., 1912.

Weintal, Edward and Charles Bartlett. Facing the Brink. London: Hutchinson, 1967.

المقالات

باللغة العربية

"قصة الثورة"، اليمن الجديدة (سبتمبر 1963)، 9-12.
الزبيري، محمد محمود. الحضارة اليمنية القديمة ما سر انهيارها العربي (سبتمبر 1960)،
53-58.

"اليمن القديمة بين

الأسطورة والتاريخ"، العربي (نوفمبر 1960)، 52-60.
"اليمن في طريق الثورة"، اليمن الجديدة (سبتمبر 1963)، 5-8.

باللغة الإنجليزية

Abercrombie, Thomas J. "Behind the Veil of Troubled Yemen", National Geographic Magazine (March, 1961), 403-445.

Attwood, William. "Nasser Talks", Look (March, 1968), 57.

Brown, William R., "The Yemeni Dilemma", The Middle East Journal (Autumn, 1963), 349-367.

Cherkasov, B. "In The New Yemen", International Affairs (Moscow), (June, 1963), 40-44.

Clark, Harlan B. "Yemen-South Arabia's Mountain Wonderland", The National Geographic Magazine (November, 1947), 631-672.

Gullescu, Stanko. "Yemen: The War And Haradh Conference", The Review of Politics (July, 1966), 319-331.

Hart, Jane Smiley. "Basic Chronology for a History of the Yemen", The Middle East Journal (Winter-Spring, 1963), 144-153.

Heath, M.L. "Arabian Extremities", Royal Central Asian Journal (July-October, 1960), 260-269.

Heyworth-Dunne, J. "The Yemen", Middle Eastern Affairs, (February, 1958), 55-57.

Hoogstraal, Harry. "Yemen Opens The Door To Progress", The National Geographic Magazine (February, 1952), 213-241.

Ingrams, Harold. "The Outlook In South-West Arabia", Royal Central Asian Society (July-October, 1956), 176-186.

"A Journey In The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (January, 1946), p. 58-69.

Jansen, G.H. "The Problems of South-West Arabia", The World Today (August, 1963), 333-343.

Kapeliuk, Amnon. "Stalemate In Yemen", New Outlook (October, 1963), 13-18.

Kapil, Menahem. "Yemen Stuggles For Progress", New Outlook (November-December, 1957), 34-39.

Khadduri, Majid. "Coups and Counter-Coups in the Yemen, 1948", International Affairs (January, 1952), 59-68.

Maero, Eric. "Yemen – A Brief Survey", Journal of the Royal Central Asian Society (January, 1949), 42-53.

"The Yemen – Some Recent Literature", Journal of the Royal Central Asian Society (January, 1958), 43-54.

McClean, Neil "The War in The Yemen", Royal Central Asian Journal (April, 1964), 102-111.

Roucek, Joseph. "Yemen In Geopolitics", Contemporary Review (December, 1962), 310-317.

Seager, H.W. "The Yemen and The Aden Protectorate", Contemporary Review (May, 1957), 292-299.

"The Yemen", Journal of the Royal Central Asian Society (July-October, 1955), 214-230.

Seager, Heather. "Guests Of The Iman", Blackwood's Magazine (June, 1955), 481-491.

Seale, Patrick. "The War In Yemen", The New Republic (January 26, 1963), 9-11.

Serjeant, R.B. "The Mountain Tribes Of The Yemen", The Geographical Magazine (June, 1942), 66-72.

Smiley, D. "The War in The Yemen", The Journal of The Royal United Service Institution (November, 1963), 326-335.

المواد غير المنشورة

باللغة العربية

المهدي لدين الله، "البحر الزاخر"،

British Museum MSS, OR 4021.

المنصور بالله ب. حمزة، "العقد الثمين"،

British Museum MSS, OR 3976.

باللغة الإنجليزية

El-Batrikm Abd El-Hamid. "Turkish And Egyptian Rule In Arabia 1810-1841", Ph.D. Thesis, University of London, 1947.

Geddes, Charles D. "The Yurifid Dynasty of Sana", Ph.D. Thesis, University of London, 1959.

Little, Richard. "Egyptian Intervention In Yemen", M.A. Thesis, Leigh University, 1968.

Lloyd, Luther Richard. "Political Development of Yemen 1948-1963; a preliminary study", M.A. Thesis, American University of Beirut, 1965.

"Notebook of Abdurrahman Conde – Yemen 1962-1963", Nic. 25, The

American University of Beirut.

Solaim, Soliman A. "Pan-Arabism As A Subordinate System With Socail Reference To South Arabia And Yemen, M.A. Thesis, University of Southern California, 1966.

الدوريات

باللغة العربية

الأبحاث (بيروت)، 1952.

الأهرام (القاهرة)، 1961-1962.

البلاد (جدة)، 1962.

الحياة (بيروت)، 1962.

الإيمان (صنعاء)، 1955-1956.

الجمهورية (القاهرة)، 1962.

النصر (تعز)، 1955-1961.

أم القرى (مكة)، 1962.

سبأ (تعز)، 1955-1961.

الطليلة (تعز)، 1959-1960.

باللغة الإنجليزية

The Daily Telegraph, 1962.

The Economist, 1950-1962.

The Guardian, 1962.

Middle East Journal, 1948-1962.

Middle Eastern Affairs, 1950-1962.

New York Times, 1962.

The Times, 1962.

Summary of World Broadcasts Part 4 (London: B.B.C.), 1961-1962.

المقابلات

أحمد البدر، الإمام. مقابلة، الطائف، 18 - 12 - 1969.

فرعون، الدكتور رشاد. مقابلة، الرياض، 22-11-1969. في عام 1962 كان الدكتور فرعون مستشارا للأمير فيصل ومرافقا له.

الخولي، مقابلة، الدكتور حسن صبري. القاهرة، 18-1-1970. في عام 1962 كان الدكتور فرعون مسئولا عن مكتب الشؤون الخارجية في رئاسة الإمارات العربية المتحدة.

نعمان، محمد أحمد. مقابلة، بيروت، 27-10-1969. كان الدكتور نعمان أحد الأعضاء البارزين في الاتحاد اليمني.

العبيكان، محمد. الرياض، 20-12-1969. كان الدكتور العبيكان الوزير السعودي في اليمن 1957-1960.

الشامي، أحمد محمد. مقابلة، لندن، 28-2-1969؛ 4-3-1969؛ بيروت، 16-10-1969. في عام 1962 كان السيد الشامي الوزير اليمني في المملكة المتحدة، وفي أكتوبر من نفس العام أصبح وزير الخارجية في حكومة الملكيين.

مكتبة
غازي جبار الرحمن الوعبي
Ghazi A. Alghosaini's
Library